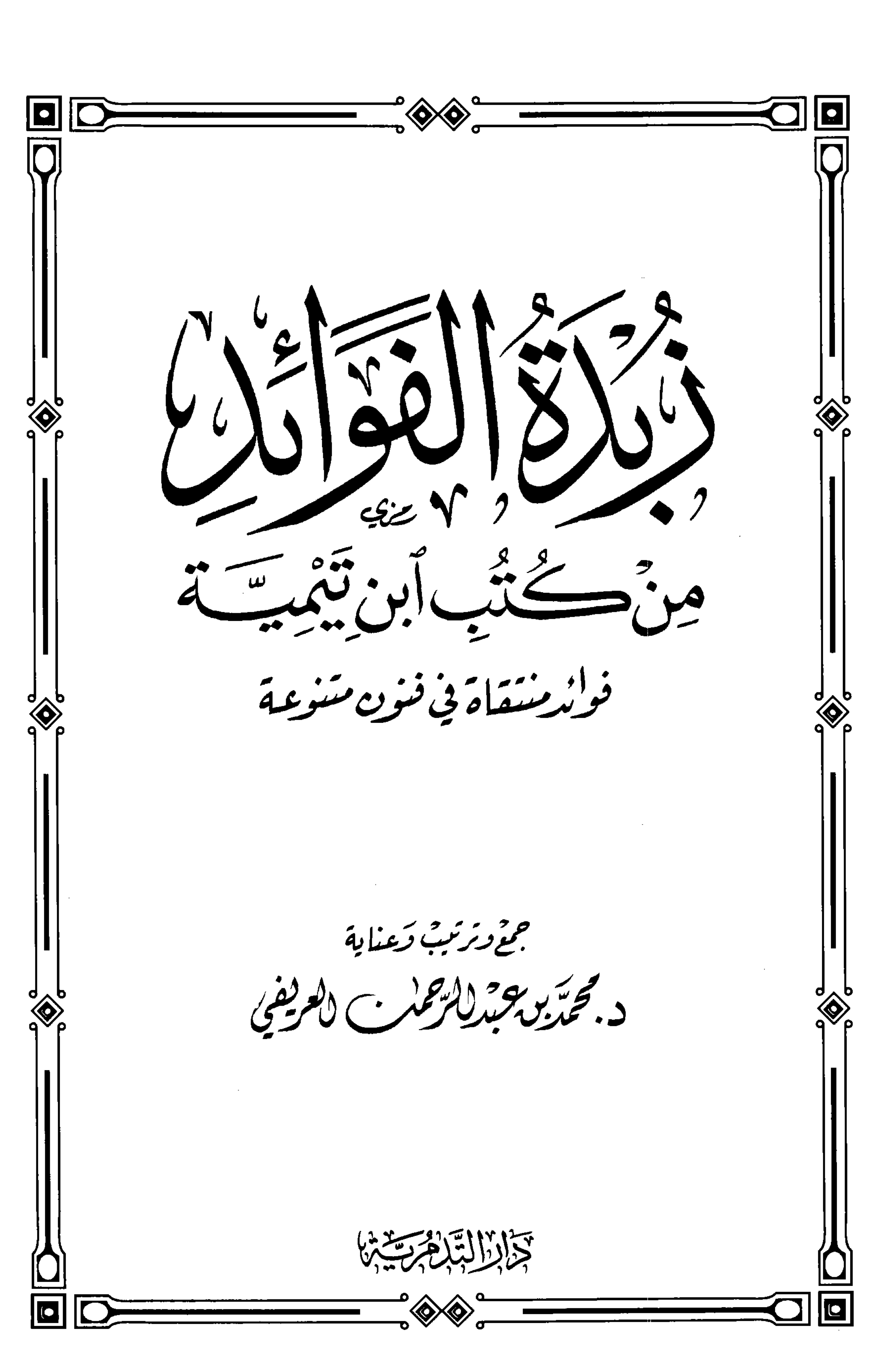


زبدة الفوائد

من

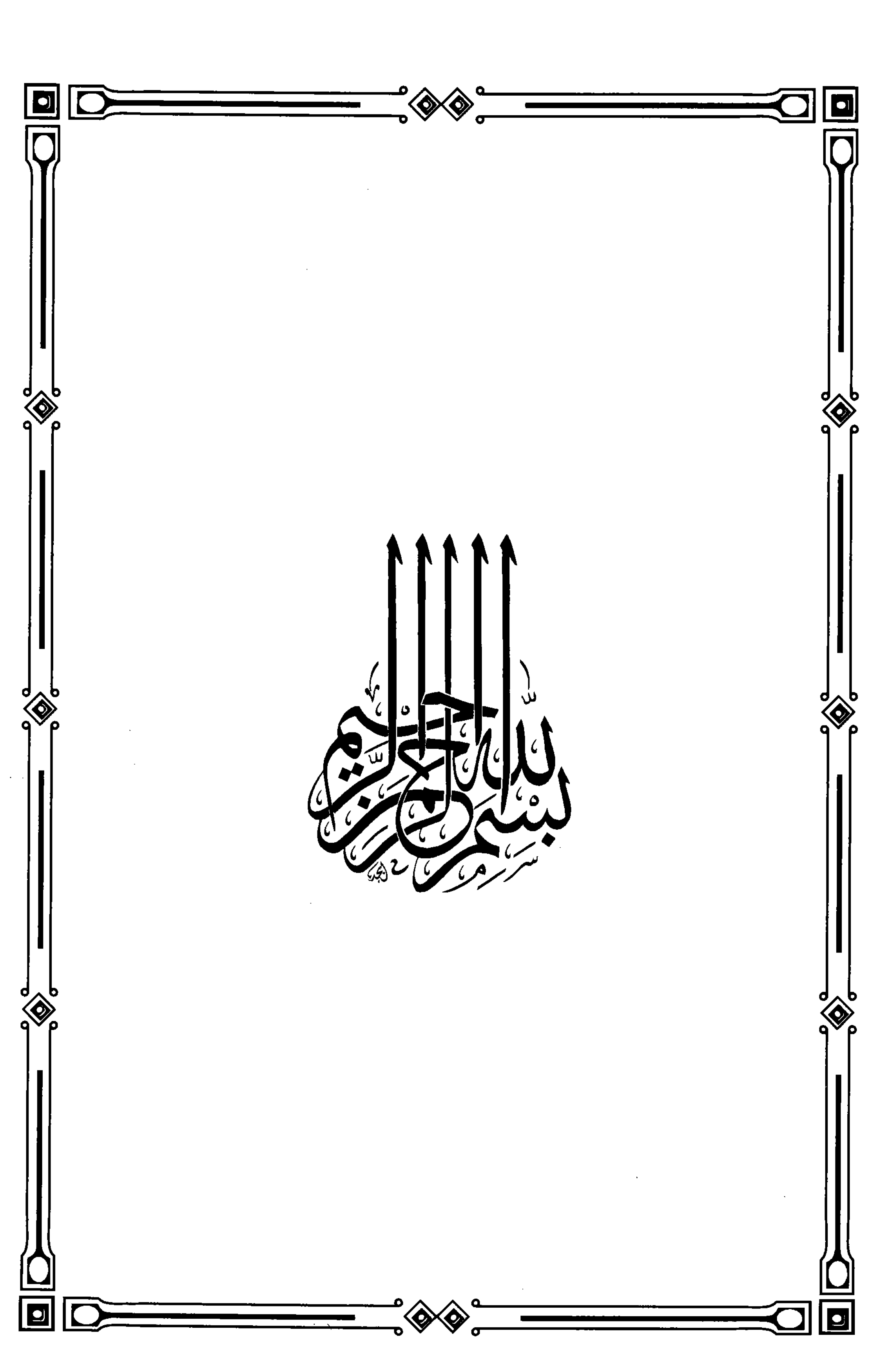
كتب ابن تيمية

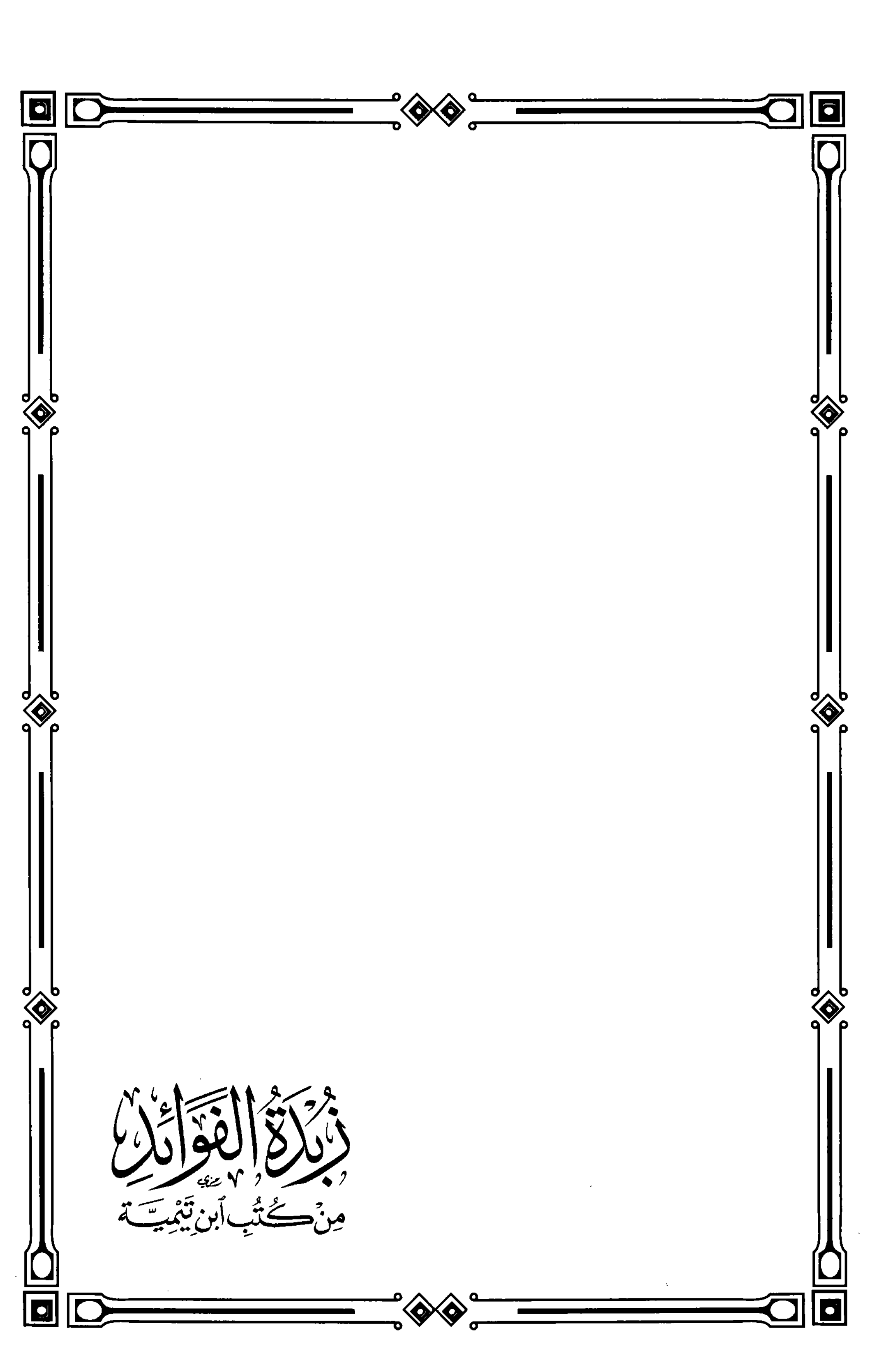
فوائد منتقاة في فنون متنوعة

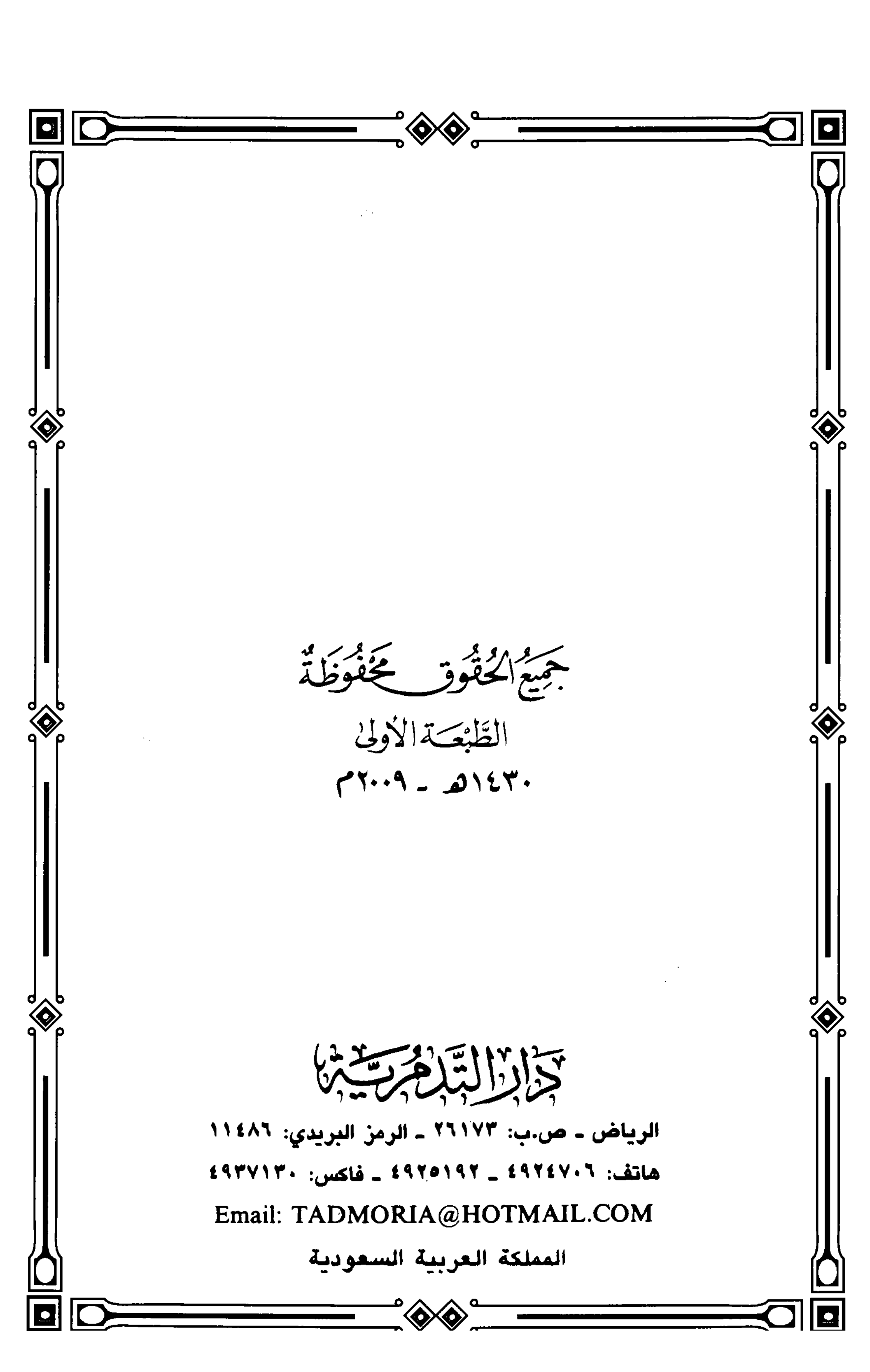
جمع وترتيب وعناية

د. محمد بن عبد الرحمن العريفي

دار التدمرية


بسم الله الرحمن الرحيم


زبدة الفوائد
من كتب ابن تيمية



الطَّبْعَة الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار التدمرية

الرياض - ص.ب: ٢٦١٧٣ - الرمز البريدي: ١١٤٨٦
هاتف: ٤٩٢٤٧٠٦ - ٤٩٢٥١٩٢ - فاكس: ٤٩٣٧١٣٠
Email: TADMORIA@HOTMAIL.COM
المملكة العربية السعودية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على قائد الغر المحجلين، نبينا محمد إمام الموحدين، وقدوة السالكين، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من سار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإني أحمد ربي «الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله تعالى الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[1].

هم ورثة الأنبياء وصفوة الأتقياء، القائمون بالحق علماً وعملاً، ودعوة للخلق إلى الله على طرقهم ومناهجهم الصديقية، قرنهم الله في كتابه بالأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، فقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ

---

(١) هذه الخطبة مقتبسة من الخطبة التي افتتح بها الإمام أحمد كتابه: الرد على الزنادقة والجهمية، ت: الفقي، وذكرها ابن وضاح في كتابه: البدع، (ص٣٢ ح٣) مسندة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأشار شيخ الإسلام إلى ذلك بصيغة التمريض حيث قال: ويروى نحو هذا عن عمر رضي الله عنه. .اهـ. درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٩).

وكذا عزاها ابن القيم لابن وضاح وقال: «هذه الخطبة نقلها الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب، ووافقه فيها. .».اهـ الصواعق المرسلة (٣/ ٩٢٨).

ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء:٦٩] فجعل درجة الصديقية معطوفة على درجة النبوة.

فهؤلاء هم الربانيون الراسخون في العلم، وهؤلاء هم ورثة الأنبياء، الوسائط بين الرسول وأمته، خلفاؤه وأولياؤه وحزبه، وخاصته وحملة دينه وشرعه، الآمرون بالمعروف، الناهون عن المنكر، المجاهدون في سبيل الله الذين لا يخشون في الله لومة لائم، القائمون بحقوق الله وحقوق خلقه، حتى يأتي أمر الله لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم.

وإن من هؤلاء العلماء الربانيين شيخ الإسلام وعلامة الزمان، فريد دهره ووحيد عصره، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الدمشقي، الذي نذر وقته ونفسه، وحياته كلها لله تعالى، يجاهد في سبيل الله بالقول والقلم، والنفس والمال، نذر حياته كلها لله تعالى علماً وتعلماً وتعليماً وجهاداً ونشراً للحق ودفاعاً عنه، ودحضاً للباطل وبياناً لعواره وزَيفه.

قال الإمام البزار في معرض كلامه عن شيخ الإسلام: «اتفق كل ذي عقل على أنه ممن عنى نبينا ﷺ بقوله: **«إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها»**[(١)]، فلقد أحيا الله به ما كان قد درس من شرائع الدين، وجعله حجة على أهل عصره أجمعين، والحمد لله رب العالمين. اهـ»[(٢)].

(١) الحديث: رواه أبو داود، كتاب الملاحم، والحاكم في المستدرك (٤/٣٩٦)، وقال الإمام السيوطي: «اتفق الحفاظ على تصحيحه»، كما نقله في عون المعبود (١١/٣٩٦)، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ٢/ح ٥٩٩).

(٢) الأعلام العلية (ص٢٠ ـ ٢١).

جاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فترة من الزمان كثرت فيها البدع والخرافات والمناهج العوجاء، حتى أصبح المؤمن الموحّد فيها غريباً محارَباً طريداً.

ولهذا:

لما قام بالحق والدفاع عنه، ناصبه العداء كثير من الخلق، وعلى الأخص بعض طلبة العلم، والمعدودين من العلماء والقضاة، حتى بلغ الأمر إلى أن أوعزوا إلى الوجهاء من الأمراء ونحوهم التنكيل به، بل سعى بعضهم إلى قتله.

ولذا فقد عاش فترة من عمره مسجوناً حتى أتاه اليقين وهو في السجن.

فعليه رحمة الله ورضوانه.

وإن من فضل الله تعالى عليه وعلى الناس أن قيضه الله لبيان السنة وقمع البدعة، وتوضيح التوحيد وتجليته، وتعرية الباطل وكشف عواره، وبيان زيغه وزيفه وبطلانه، وذلك من خلال مناظراته، ومصنفاته التي اهتمّ فيها ببيان الأصول والقواعد التي يستفيد منها من بعده في الرد على أهل البدع.

ولقد اعتنى الشيخ بالتصنيف في أصول الدين أكثر من غيرها من العلوم، وعلل ذلك بقوله:

الفروع:

أمرها قريب ومن قلد المسلم فيها أحد العلماء المقلدين جاز له العمل بقوله، ما لم يتيقن خطأه.

وأما الأصول:

فإني رأيت أهل البدع والضلالات والأهواء، كالمتفلسفة والباطنية والملاحدة، والقائلين بوحدة الوجود، والدهرية والقدرية والنصيرية،

والجهمية والحلولية والمعطلة والمجسمة والمشبهة، والراوندية والكلابية والسليمية، وغيرهم من أهل البدع قد تجاذبوا فيها بأزمة الضلال، وبان لي أن كثيراً منهم إنما قصد إبطال الشريعة المقدسة المحمدية، الظاهرة العلية على كل دين، وأن جمهورهم أوقع الناس في التشكيك في أصول دينهم.

ولهذا:

قلَّ أن سمعت أو رأيت معرضاً عن الكتاب والسنة، مقبلاً على مقالاتهم إلا وقد تزندق أو صار على غير يقين في دينه واعتقاده.

فلما رأيت الأمر على ذلك، بان لي أنه يجب على كل من يقدر على دفع شبههم وأباطيلهم، وقطع حجتهم وأضاليلهم، أن يبذل جهده ليكشف رذائلهم ويزيف دلائلهم، ذباً عن الملة الحنيفية، والسنة الصحيحة الجلية...

فهذا ونحوه هو الذي أوجب أني صرفت جل همي إلى الأصول وألزمني أن أوردت مقالاتهم وأجبت عنها بما أنعم الله تعالى به من الأجوبة النقلية والعقلية». اهـ.[1].

وأثناء عملي في رسالة الدكتوراه «موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الصوفية» يسر الله تعالى لي قراءة واستعراض جميع كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، فرأيت فيها درراً متناثرة، وفوائد متكاثرة، فكنت أنتهب ما يقع عليه نظري من ثمين الصيد، وأقيده بقيد، ثم بدا لي أن أخرج هذه الفوائد مع خدمتها بترقيم وتعليق وتخريج وعناية، لتكون قريبة التناول، سهلة التداول بين إخواني من طلبة العلم، فكان هذا السفر الذي بين يديك «زبدة الفوائد من كتب ابن تيمية».

---

(١) الأعلام العلية (ص٣٥ ـ ٣٧).

وسبق هذا الكتاب كتابي الآخر وهو «الدرر البهية من فتاوى ابن تيمية» وفيه ٣٥٠ فائدة منتقاة متنوعة من مجموع فتاوى ابن تيمية.

وختاماً:

فإني أشكر الله تعالى، وأحمده حمداً يليق بجلاله وإنعامه على ما امتن به عليّ ووفقني إليه من إتمام هذا العمل، وهذا جهد بشري، من عبد مُقِلّ، ولا يخلو عمل البشر من الخطأ والزلل، والسهو والنسيان، فأسأل الله تعالى أن يغفر لي تقصيري، وأن يتقبل جهدي وينفع به، وأن يجعل هذا البحث خالصاً لوجهه الكريم، ولبنة في طريق الدعوة إلى منهج السلف، والرد على أهل البدع والضلالات، وسبباً في نشر عقيدة سلف هذه الأمة.

كما أسأله أن يلهمني الصواب والرشد والسداد، وأن يعيذني من فتنة القول والعمل، وأن يغفر لشيخ الإسلام، ويعلي درجته، ويجزل مثوبته.

ثم أشكر الأخ عبد الناصر باكثير، الذي ساعدني في تنسيق الفوائد والعناية بها للطبع.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

د. محمد بن عبد الرحمن العريفي

دكتوراه في العقيدة والأديان والمذاهب المعاصرة

ص.ب/ ١٥١٥٩٧ الرياض١١٧٧٥

Arefe5@yahoo.com



ترجمة موجزة
لشيخ الإسلام ابن تيمية

تمهيد:

الحديث عن شيخ الإسلام ابن تيمية وسيرته يعتبر أمراً صعباً! لا لقلة المادة العلمية فيه، بل كثرتها وتوفرها وشمولها لجوانب عديدة، مما جعل البحث والكتابة عنها فيه مشقة.

قال الإمام الذهبي(١) في معرض كلامه عن شيخ الإسلام: «وهو أعظم من أن يصفه كلمي، أو ينبه على شأوه قلمي، فإن سيرته وعلومه ومعارفه ومحنه وتنقلاته تحتمل أن ترصع في مجلدتين». اهـ.(٢).

فمن كل جوانب شخصيته يمكن تسطير الدراسات فيه، فالباحث يتردد كثيراً في ماذا يكتب، وماذا يدع منها؛ ولذا تنوعت الدراسات والبحوث التي تناولت شخصيته، وأفردت في ترجمة شخصيته المصنفات الكثيرة، والبحوث العديدة، وعقدت المؤتمرات والندوات لدراسة جوانب تلك الشخصية، وقد بلغت البحوث والمصنفات المترجمة لابن

---

(١) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الدمشقي الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله، الحافظ المؤرخ العلامة المحقق، تركماني الأصل، ولد سنة (٦٧٣هـ)، بدمشق، وتوفي فيها، سنة (٧٤٨هـ)، طاف كثيراً من البلدان، كف بصره سنة (٧٤١هـ)، تصانيفه كبيرة كثيرة، تقارب المائة، منها: تاريخ الإسلام، سير أعلام النبلاء، وغيرها.

انظر: الدرر الكامنة (٢/ ٨٧)، طبقات الشافعية (٦/ ٩٤)، الأعلام (٢/ ٣١٥).

(٢) العقود الدرية (ص٢٣ ـ ٢٤)، الشهادة الزكية (ص٤٢ ـ ٤٣).

تيمية ـ سواء كان خاصاً بها أو ضمن جملة من التراجم ـ أكثر من مائة وخمسين بحثاً ومصنفاً[(١)].

ولهذا رأيت أن ما كتب عن الشيخ فيه غنية عن دراسة سيرته دراسة مطولة، فآثرت الاختصار، والاقتصار على بعض ما قيل عن سيرته، والإشارة إلى بعض أحواله.

نسبه:

هو شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية النميري الحراني ثم الدمشقي[(٢)].

---

(١) ممن اجتهد في استقصاء ما صنف حول شخصية شيخ الإسلام: محمد بن إبراهيم الشيباني في كتابه «أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله» ذكر جملة من المصنفات والبحوث التي تناول شخصية ابن تيمية بالبحث والدراسة.
انظر: د. عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي في كتابه: «شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده في الحديث وعلومه» (١/ ٢٢٥ ـ ٢٧٠) ذكر خمسة وتسعين كتاباً أفرد لترجمة شيخ الإسلام، وأكثر من مائة وأربعين كتاباً من السير والتراجم والتاريخ التي ترجمت للشيخ، وعشرين بحثاً في الدراسات الاستشراقية، وسأذكر بعض المصادر في ترجمة الشيخ في آخر الترجمة.

(٢) ذكرت روايات في سبب تسمية «تيمية» قيل: إن جده محمد بن الخضر حج على درب تيماء، فرأى هناك طفلة، فلما رجع وجد امرأته قد ولدت له بنتاً، فقال: يا تيمية يا تيمية، ـ يعني أنها تشبه التي رآها بتيماء ـ فلقب بذلك، وقيل: إن جده محمداً كانت أمه تسمى: تيمية، وكانت واعظة، فنسب إليها، وعرف بها، ولا تعارض بين الروايتين؛ إذ يمكن الجمع بينهما، فالبنت التي سميت تيمية هي الجدة التي نسب إليها الشيخ، بعد اشتهارها بالعلم والوعظ.
وقيل: إن تيمية لقب لجده الأعلى. =

مولده ونشأته:

ولد الشيخ يوم الاثنين، العاشر، وقيل: الثاني عشر، من شهر ربيع الأول، سنة إحدى وستين وستمائة ببلدة حران وبقي فيها إلى أن بلغ سبع سنين، ثم انتقل والده به وبإخوته إلى دمشق هرباً من التتار، فساروا بالليل ومعهم الكتب، على عجلة ـ لعدم الدواب ـ فكاد العدو يلحقهم، ووقفت العجلة، فابتهلوا إلى الله واستغاثوا به، فنجوا وسلموا، وقدموا دمشق في أثناء سنة سبع وستين وستمائة[1].

ونشأ الشيخ في بيئة علمية؛ إذ كانت أسرته أسرةً لها مكانتها في العلم والفضل؛ ونشأ في مدينة من تتميز بكثرة العلم العلماء، ونلحظ أن من ترجم للأسرة يذكر ـ على وجه الخصوص لما هربوا من التتار ـ بأنهم حملوا الكتب على عجلة، دون غيرها من المتاع؛ وهذا دليل على مكانة الكتب لدى الأسرة وأهميتها مما يؤكد على أن الأسرة أسرة علم.

بدأ الشيخ في طلب العلم وتحصيله في سن مبكر، وبرع فيه، فقد «سمع مسند الإمام أحمد بن حنبل مرات، وسمع الكتب الستة الكبار والأجزاء، ومن مسموعاته معجم الطبراني الكبير.

وعُنيَ بالحديث، وقرأ ونسخ، وتعلم الخط والحساب في المكتب،

= و«النميري» نسبة إلى قبيلة نمير ـ من قبائل العرب ـ وهي بطن من عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن.

و«حراني» نسبة مكانية إلى بلد حران، وهي مدينة مشهورة من أرض الجزيرة بين دجلة والفرات، وهي الآن في تركيا، وقد كانت آنذاك مهد العلم والعلماء، ومن أهم مراكز الديانات القديمة.

انظر: العقود الدرية (ص٢)، الوافي بالوفيات (٧/ ١٥)، سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٢٨٩).

(١) انظر: العقود الدرية (ص٢ ـ ٣)، الأعلام العلية (ص٢١)، الوافي بالوفيات (٧/ ١٥)، البداية والنهاية (١٣/ ٢٤١، ٢٢٥)، وغيرها من مصادر ترجمته.

وحفظ القرآن، وأقبل على الفقه، وقرأ العربية على ابن عبد القوي[1] ثم فهمها، وأخذ يتأمل كتاب سيبويه[2] حتى فهم في النحو، وأقبل على التفسير إقبالاً كلياً حتى حاز فيه قصب السبق، وأحكم أصول الفقه، وغير ذلك.

هذا كله وهو بعد ابن بضع عشرة سنة، فانبهر أهل دمشق من فرط ذكائه، وسيلان ذهنه، وقوة حافظته، وسرعة إدراكه». اهـ.[3].

فهو من صغره كان شغوفاً بالعلم والقراءة، مُجِدّاً في التحصيل، لا يؤثر على الاشتغال بالعلم لذة، ولا يؤثر أن يضيع منه لحظة، وكان آية في سرعة الحفظ.

وقد ذُكر أنه لما كان صبياً في بداية أمره:

أراد والده أن يخرج بأولاده يوماً إلى البستان على سبيل التنزه، فقال له: يا أحمد تخرج مع إخوتك تستريح!

فاعتلَّ عليه، فألحَّ عليه والده، فامتنع أشد الامتناع.

فقال: أشتهي أن تعفيني من الخروج، فتركه وخرج بإخوته، فظلوا يومهم في البستان، ورجعوا آخر النهار.

---

(١) محمد بن عبد القوي بن بدران المرداوي المقدسي الحنبلي، شمس الدين أبو عبد الله، المحدث النحوي، ولد سنة (٦٠٣هـ)، وتوفي سنة (٦٩٩هـ).
انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٤٣).

(٢) عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، الملقب بسيبويه، إمام في النحو، أخذه عن الخليل بن أحمد، وغيره، طلب الفقه والحديث مدة، ثم أقبل على العربية، فساد أهل العصر، من مصنفاته: «الكتاب». توفي سنة (١٨٠هـ)، عن بضع وثلاثين سنة.
انظر: السير (٨/ ٣٥١)، العبر (١/ ٢١٥)، تاريخ بغداد (١٢/ ١٩٥)، البداية والنهاية (١٠/ ١٧٦)، شذرات الذهب (١/ ٢٥٢).

(٣) العقود الدرية (ص٣).

فقال: يا أحمد أوحشت إخوتك اليوم، وتكدَّر عليهم؛ بسبب غيبتك عنهم، فما هذا؟!

فقال: يا سيدي إنني اليوم حفظت هذا الكتاب ـ لكتاب معه[1] ـ.

فقال: حفظته؟! كالمنكر المتعجب من قوله.

فقال له: استعرضه عليَّ.

فاستعرضه، فإذا به قد حفظه جميعه!!

فأخذه وقبله بين عينيه، وقال: يا بني لا تخبر أحداً بما قد فعلت، خوفاً عليه من العين ـ أو كما قال ـ[2].

وقال الذهبي في معرض كلامه عن شيخ الإسلام:

«نشأ في تصون تام، وعفاف، وتأله وتعبد، واقتصاد في الملبس والمأكل، وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره، ويناظر ويفحم الكبار، ويأتي بما يتحير منه أعيان البلد في العلم، فأفتى وله تسع عشرة سنة، بل أقل، وشرع في الجمع والتأليف من ذلك الوقت، وأكب على الاشتغال، ومات والده ـ وكان من كبار الحنابلة وأئمتهم ـ فدرس بعده بوظائفه، وله إحدى وعشرون سنة، واشتهر أمره، وبعُد صيته في العالم، وأخذ في تفسير الكتاب العزيز في الجُمَع على كرسي، مِن حِفظه، فكان يورد المجلس ولا يتلعثم، وكذا كان الدرس بتؤدة وصوت جهوري فصيح». اهـ.[3].

---

(١) الكتاب هو «جنة المَنَاظر وجنة المُناظِر» وهو مجلد صغير.
انظر: أعيان العصر للصفدي «مخطوط»، نقلاً عن: شيخ الإسلام ابن تيمية سيرته وأخباره عند المؤرخين (ص٥١).

(٢) الرد الوافر (ص٢٣٥)، وانظر: شيخ الإسلام ابن تيمية سيرته وأخباره عند المؤرخين (ص٥١).

(٣) سير الأعلام (١٧/ ٥٣٢).

وقال بعض قدماء أصحابه ـ وقد ذكر نبذة من سيرته ـ:

«أما مبدأ أمره ونشأته فقد نشأ من حين نشأ في حجور العلماء، راشفاً كؤوس الفهم، راتعاً في رياض التفقه ودوحات الكتب، الجامعة لكل فن من الفنون، لا يلوي إلى غير المطالعة والاشتغال والأخذ بمعالي الأمور، خصوصاً علم الكتاب العزيز والسنة النبوية ولوازمه، ولم يزل على ذلك خلفاً صالحاً، سلفياً، متألهاً عن الدنيا، صَيِّناً، تقياً، براً بأمه، ورعاً، عفيفاً، عابداً، ناسكاً، صواماً، قواماً، ذاكراً لله تعالى في كل أمر، وعلى كل حال، رجاعاً إلى الله تعالى في سائر الأحوال والقضايا، وقافاً عند حدود الله تعالى وأوامره ونواهيه، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر بالمعروف.

لا تكاد نفسه تشبع من العلم، فلا تروى من المطالعة، ولا تملّ من الاشتغال، ولا تكلّ من البحث، وقلَّ أن يدخل في علم من العلوم من باب من أبوابه إلا ويفتح له من ذلك الباب أبواب، ويستدرك مستدركات في ذلك العلم على حذاق أهله، مقصوده الكتاب والسنة»[1].

بعض صفاته:

اتصف رحمه الله بصفات كريمة، وأخلاق نبيلة، من جملتها:

كثرة الذكر والاستغفار:

فإنه مع كثرة انشغاله بجهاد أهل البدع والضلالات والرد عليهم وتأليف الرسائل والكتب في بيان ضلالهم، وكان كثير الاستغفار، ونُقل عنه أنه قال: إنه ليقف خاطري في المسألة والشيء أو الحالة التي تشكل عليَّ فأستغفر الله تعالى ألف مرة أو أكثر أو أقل، حتى ينشرح الصدر،

---

(١) العقود الدرية (ص٤ ـ ٥).

وينحل إشكال ما أشكل، قال: وأكون إذ ذاك في السوق أو المسجد أو الدرب أو المدرسة، لا يمنعني ذلك من الذكر والاستغفار إلى أن أنال مطلوبي[1].

كما أن من عبادته أنه لا يكلمه أحد ـ بغير ضرورة ـ بعد صلاة الفجر، فلا يزال في الذكر حتى ترتفع الشمس[2].

كما كان متصفاً بالتواضع، والكرم، والإيثار، والورع.

أما زهده في الدنيا ومتاعها والتجرد عن الدنيا :

فإن الله تعالى جعل ذلك له شعاراً من صغره، ومما يدل على زهده بالدنيا منذ صغره ما ذُكر أن والد الشيخ قال لمعلم الشيخ ـ وهو صبي ـ في القرآن: أحِب إليك أن توصيه، وتعده بأنك إن لم تنقطع عن القراءة والتلقين أدفع إليك كل شهر أربعين درهماً، ودفع إليه أربعين درهماً، وقال: أعطه إياها، فإنه صغير وربما يفرح بها، فيزداد حرصُه في الاشتغال بحفظ القرآن ودرسه، وقلٍّ له: لك في كل شهر مثلها، فامتنع الشيخ من قبولها، وقال: يا سيدي إني عاهدت الله تعالى أن لا آخذ على القرآن أجراً. ولم يأخذها[3].

بل «لقد اتفق كل من رآه ـ خصوصاً من أطال ملازمته ـ أنه ما رأى مثله في الزهد في الدنيا، حتى لقد صار ذلك مشهوراً، بحيث قد استقر في قلب القريب والبعيد من كل من سمع بصفاته على وجهها، بل لو سئل عامي من أهل بلد بعيد من الشيخ من كان أزهد أهل هذا العصر، وأكملهم في رفض فضول الدنيا، وأحرصهم على طلب الآخرة؟ لقال: ما سمعت بمثل ابن تيمية رحمة الله عليه، وما اشتهر له ذلك إلا لمبالغته

---

(١) العقود الدرية (ص٥ ـ ٦).
(٢) انظر: الأعلام العلية (ص٣٧ ـ ٣٨).
(٣) انظر: الأعلام العلية (ص٤٤).

فيه، مع تصحيح النية»[1].

وقال الذهبي:

«وما رأيت في العالم أكرم منه، ولا أفرغ منه عن الدينار والدرهم، لا يذكره، ولا أظنه يدور في ذهنه، وفيه مروءة، وقيام مع أصحابه، وسعي في مصالحهم، وهو فقير لا مال له». اهـ.[2].

ومن أبرز صفاته التي يعترف بها الخصم قبل المحب: الحلم والعفو عمن ظلمه، وبلغ من حلمه رَحِمَهُ اللَّهُ أن قال بعضُ مخالفيه وخصومُه: «ما رأينا أتقى من ابن تيمية؛ لم نبق ممكِناً في السعي فيه، ولما قدِر علينا عفا عنا»[3].

ومن جملة ما ذكر من حلمه:

ما نُقل عنه أنه قال: إن السلطان[4] لما جلس بالشباك أخرج من جيبه فتاوى لبعض الحاضرين في قتله، واستفتاه في قتل بعضهم، قال: ففهمت مقصوده، وأن عنده حنقاً شديداً عليهم؛ لما خلعوه وبايعوا الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير[5]، فشرعتُ في مدحهم،

---

(١) الأعلام العلية (ص٤٤ ـ ٤٥).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٩٦).

(٣) العقود الدرية (ص٢٨٣)، والقائل هو القاضي زين الدين ابن مخلوف قاضي المالكية.

وانظر: البداية والنهاية (١٤/ ٥٤).

(٤) أي الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون.

(٥) المظفر بيبرس الجاشنكير المنصوري، ركن الدين، من سلاطين المماليك، كان من مماليك المنصور قلاوون، تولى السلطة سنة (٧٠٨هـ)، لما تخلى الملك الناصر عن الملك، عندما استقر بالكرك، وكان من المعظمين لنصر المنبجي، الاتحادي، الحلولي، خصم شيخ الإسلام، وقد أوذي الشيخ بسببه، وأدخل إلى السجن، وأرسل إلى الإسكندرية كهيئة المنفي بسببه. وقد زالت دولة =

والثناء عليهم وشكرهم، وأن هؤلاء لو ذهبوا لم تجد مثلهم في دولتك، أما أنا فهم في حِلٍّ من حقي ومن جهتي، وسكَّنتُ ما عنده عليهم[1].

ومن ذلك أيضاً:

أنه لما مرض أياماً يسيرة، وكان إذ ذاك الكاتب شمس الدين الوزير[2] بدمشق المحروسة. فلما علم بمرضه استأذن في الدخول عليه لعيادته، فأذن الشيخ له في ذلك، فلما جلس عنده أخذ يعتذر له عن نفسه، ويلتمس منه أن يحله مما عساه أن يكون قد وقع منه في حقه من تقصير أو غيره. فأجابه الشيخ رضي الله عنه: بأني قد أحللتك وجميع من عاداني وهو لا يعلم أني على الحق. وقال ـ ما معناه ـ: إني قد أحللت السلطان الملك الناصر[3] من حبسه إياي؛ لكونه فعل ذلك مقلداً غيره معذوراً،

= المظفر سنة (٧٠٩هـ)، لما عاد السلطان الناصر إلى الملك. قتل سنة (٧٠٩هـ). انظر: البداية والنهاية (١٤/ ٤٧ ـ ٥٦)، النجوم الزاهرة (٨/ ٢٣٢)، الأعلام (٢/ ٧٩).

(١) انظر: العقود الدرية (ص٢٨٢)، وانظر: البداية والنهاية (١٤/ ٥٤).

(٢) وهو: شمس الدين غبريال ابن صنعة الله، أسلم سنة (٧٠١هـ)، وولي نظر الدواوين بدمشق سنة (٧١٣هـ)، وكانت وفاته سنة (٧٣٤هـ).
انظر: الرد الوافر (ص١٦٣).

(٣) السلطان الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون المملوكي، أبو الفتح تولى السلطة عام ٦٩٣، وبعد سنتين خلع بالملك المنصور حسام الدين لا حين، فأقام المنصور حتى قتل سنة (٦٩٨هـ)، فأحضر السلطان من الكرك وبويع المرة الثانية، وفي سنة (٧٠٨هـ)، لوح بعزل نفسه وأقام بالكرك، وتولى الملك المظفر بيبرس، فأقام إلى رمضان في السنة التالية خرج طائفة من كبار الأمراء فاستنهضوه الملك الناصر، وكرهوا ولاية بيبرس، فخرج الناصر معهم إلى دمشق وبايعه أمراء الشام، فلما تحقق بيبرس من قدوم الناصر خرج وهرب إلى الصعيد فدخل السلطان القلعة يوم عيد الفطر سنة (٧٠٩هـ)، واتفقت عليه كلمة المسلمين، فأقام ملكاً مطاعاً حتى مات سنة (٧٤١هـ)، وكان من محبي ابن تيمية. =

ولم يفعله لحظ نفسه، بل لما بلغه مما ظنه حقا من مبلغه، والله يعلم أنه بخلافه. وقد أحللت كل واحد مما كان بيني وبينه إلا من كان عدواً لله ورسوله[1].

ومما وهبه الله من الصفات سرعة الحفظ وقوته :

فإنه كان يمر بالكتاب فيطالعه مرة فينتقش في ذهنه، فيذاكر به، وينقله في مصنفاته بلفظه ومعناه[2]، وهذا أمر مشهور عنه، يذكره كل من ترجم له وتحدث عنه.

ومما ذكر في هذا الشأن :

أن «بعض مشايخ العلماء بحلب قدم إلى دمشق، وقال:

سمعت في البلاد بصبي يقال له أحمد بن تيمية، وأنه سريع الحفظ، وقد جئت قاصداً لعلي أراه!

فقال له خياط: هذه طريق كتابه، وهو إلى الآن ما جاء، فاقعد عندنا الساعة يجيء يعبر علينا ذاهباً إلى الكتاب.

فجلس الشيخ الحلبي قليلاً، فمر صبيان.

فقال الخياط للحلبي: هذاك الصبي الذي معه اللوح الكبير هو أحمد بن تيمية.

فناداه الشيخ، فجاء إليه، فتناول الشيخ اللوح فنظر فيه، ثم قال:

يا ولدي امسح هذا حتى أملي عليك شيئاً تكتبه! ففعل، فأملى عليه من متون الأحاديث أحد عشر أو ثلاثة عشر حديثاً، وقال له:

= انظر: العبر (٤/ ١٢٥)، البداية والنهاية (١٤/ ١٩٠)، شذرات الذهب (٦/ ١٣٤).

(١) انظر: الأعلام العلية (ص٧٢).

(٢) الرد الوافر (ص٢٣٤ ـ ٢٣٥)، وانظر: الأعلام العلية (ص٢٠).

اقرأ هذا، فلم يزد على أن تأمله مرة بعد كتابته إياه ثم دفعه إليه، وقال:

اسمعه عليَّ، فقرأه عليه عرضاً كأحسن ما أنت سامع، فقال له:

يا ولدي امسح هذا. ففعل، فأملى عليه عدة أسانيد انتخبها، ثم قال:

اقرأ هذا، فنظر فيه كما فعل أول مرة!!

فقام الشيخ وهو يقول: إن عاش هذا الصبي ليكونن له شأن عظيم؛ فإن هذا لم يُرَ مثله ـ أو كما قال ـ». اهـ.[(١)].

ومن الصفات التي تميز بها الشيخ:

الشجاعة وقوة القلب، حتى قال الذهبي عنها: «وأما شجاعته فيها تضرب الأمثال، وببعضها يتشبه أكابر الأبطال». اهـ.[(٢)].

وقد تميز الشيخ بذلك تميزاً ظاهراً، ومن هذا برزت فيه صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله سواء كان بالنفس أو اللسان أو القلم.

والمطلع على سيرة الشيخ وحياته يدرك هذا الجانب في حياته، وليس مبالغة إن قيل: إن حياته كلها جهاد وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، فما من منكر يمر عليه الشيخ في ذهابه وإيابه إلا أزاله وأنكره[(٣)]. وما الأذى الذي ناله الشيخ، والمحن التي ابتلي بها، والسجن الذي مكث فيه سنين عديدة؛ إلا بسبب إنكاره لكثير من البدع والخرافات والمنكرات علماً وعملاً.

---

(١) العقود الدرية (ص٤).

(٢) العقود الدرية (ص٧)، الرد الوافر (ص٧٢)، الشهادة الزكية (ص٤٢).

(٣) انظر الأعلام العلية (ص٣٩).

«وكان رَحِمَهُ اللهُ سيفاً مسلولاً على المخالفين، وشجىً في حلوق أهل الأهواء المبتدعين، وإماماً قائماً ببيان الحق ونصرة الدين». اهـ.[(١)].

وقد كانت له جهوداً كبيرة مشهورة في جهاد التتار[(٢)]، وكسر شوكة الرافضة[(٣)] والباطنية[(٤)]، وكشف ضلالات الصوفية، وأهل

---

(١) العقود الدرية (ص٧).

(٢) التتار: هم بادية الترك، كما ذكر شيخ الإسلام، وكانوا يسكنون منغوليا جنوب شرق سيبريا على حدود الصين، ويسمون المغول، والمغل، من أكابر ملوكهم والذين قاموا بغزو بلاد الإسلام، جنكيز خان.
انظر تاريخهم وما فعلوا ببلاد المسلمين: البداية والنهاية (١٣/ ٨٢ وما بعدها)، الكامل (١٢/ ٣٦١)، اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٣١٥، ٣٦٩)، دائرة المعارف الإسلامية (٤/ ٥٧٦).

(٣) الرافضة: طائفة من غُلاة الشيعة، سُمّوا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر، وهم مُجمعون على أن النبي ﷺ نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه، وأظهر ذلك وأعلنه، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي ﷺ، بل تعدّوا ذلك إلى الوقيعة في خيار الصحابة طعناً وسباً وتكفيراً، وهم فرق وطوائف كثيرة كل فرقة تكفر غيرها.
انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٨٨)، الملل والنحل (١/ ١٤٦)، الفرق بين الفرق (ص٢١، ٢٩، ٥٣).

(٤) الباطنية: سُموا بذلك لأنهم ادعوا أن لنصوص الشريعة ظاهراً وباطناً، وزعموا أن العامة هم المرادون بظواهر النصوص، أما من ارتقى إلى علم الباطن فقد انحطت عنه التكاليف، وأطلقوا عليها: الأغلال، وقالوا: إنهم هم المرادون بقوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وغرضهم بذلك إبطال الشرائع، ونفي المعاد والجنة والنار، والباطنية أشر الطوائف على المسلمين، وأول من دعا إلى هذا المذهب: عبد الله بن ميمون القداح (مولى جعفر الصادق) في زمن المأمون.
وذكر شيخ الإسلام (بيان التلبيس ١/ ٢٥٩ - ٢٦٠) أن اسم الباطنية في كلام الناس يقال على صنفين:
أحدهما: من يقول: للكتاب والسنة باطن يخالف ظاهرها، وهؤلاء هم =

الخرافات[1]، وقد ذكر كثير ممن ترجم للشيخ قصصاً ومواقفَ تدل على شجاعة الشيخ وقوته، وإنكاره للمنكر، وجهاده.

ومن ذلك:

ما ذكره تلميذه البزار[2] بقوله: «كان رَحِمَهُ اللَّهُ من أشجع الناس وأقواهم قلباً، ما رأيت أحداً أثبت جأشاً منه، ولا أعظم عناء في جهاد العدو منه، كان يجاهد في سبيل الله بقلبه ولسانه ويده، ولا يخاف في الله لومة لائم».

= المشهورون عند الناس باسم الباطنية، وهؤلاء قسمان: قسم يرون ذلك في الأعمال الظاهرة كالصلاة والصيام والحج..، ويرون أن الخطاب المبين لوجوب هذه الواجبات وتحريم المحرمات، ليس هو على ظاهره المعروف عند الجمهور، ثم قال: «وهؤلاء زنادقة منافقون باتفاق سلف الأمة الإسلام، ولا يخفى نفاقهم على من له بالإسلام أدنى معرفة..» وذكر أن من هؤلاء زنادقة الصوفية من الاتحادية الحلولية، وهذا القسم الذي ذكره الشيخ هم المعنيون هنا.

أما القسم الثاني: فهم الذين يقولون بالباطن المخالف للظاهر في العلميات، وأما العمليات فيقرونها على ظاهرها، وذكر شيخ الإسلام أن هذا قول عقلاء الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام.

انظر: التبصير في الدين (ص٨٣)، رسالة في القرامطة لابن الجوزي (ص٣٦)، رسائل إخوان الصفا (ص١٣٨ ـ ١٤٤)، ط. دار صادر، بيروت.

(١) انظر: الفتاوى المجلد الثامن والعشرين والخامس والثلاثين فيها بعض رسائله وفتاويه وذكر شيء من جهاده لتلك الطوائف، وانظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة، ففيه تفصيل وذكر أمثلة على ذلك (١/ ١٥٨ ـ ١٧٠).

(٢) عمر بن علي بن موسى الأزجي البزار، سراج الدين أبو حفص، ولد سنة (٦٨٨هـ)، صحب شيخ الإسلام وأخذ عنه، وكان ذا عبادة وتهجد، وله مصنفات في الحديث والفقه والرقائق، توفي بالطاعون في ذي القعدة سنة (٧٤٩هـ).

انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٤٤)، الدرر الكامنة (٣/ ٢٥٦)، شذرات الذهب (٦/ ١٦٣)، الرد الوافر (٢١٠ ـ ٢١١).

وأخبر غير واحد أن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان إذا حضر مع عسكر المسلمين في جهاد يكون بينهم واقيتهم وقطب ثباتهم، إن رأى من بعضهم هلعاً أو رِقّة أو جبانة شجعه وثبته، وبشره ووعده بالنصر والظفر والغنيمة، وبيَّن له فضل الجهاد والمجاهدين، وإنزال الله عليهم السكينة...

وحدثوا أنهم رأوا منه في فتح عكة أموراً من الشجاعة يعجز الواصف عن وصفها، قالوا: ولقد كان السبب في تملك المسلمين إياها بفعله ومشورته وحسن نظره.

ولما ظهر السلطان غازان[1] على دمشق المحروسة جاءه مِلِك الكرج، وبذل له أموالاً كثيرة جزيلة على أن يمكنه من الفتك بالمسلمين من أهل دمشق، ووصل الخبر إلى الشيخ، فقام من فوره وشجع المسلمين ورغبهم في الشهادة، ووعدهم على قيامهم بالنصر والظفر والأمن وزوال الخوف، فانتُدِب منهم رجال من وجوههم وكبرائهم وذوي الأحلام منهم، فخرجوا معه إلى حضرة السلطان غازان.

فلما رآهم السلطان قال: من هؤلاء؟

فقيل: هم رؤساء دمشق.

فأذن لهم، فحضروا بين يديه، فتقدم الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أولاً، فلما أن رآه

---

(١) غازان بن أرغون بن أبغا بن هلاكو بن تولي بن جنكيز، وذكر ابن كثير أن اسمه: «محمود بن أرغون بن أبغا». تولى السلطة بعد أبيه أرغون الذي مات مقهوراً سنة (٦٩٠هـ)، ثم دخل الإسلام في الرابع من شعبان سنة (٦٩٤هـ)، على يد إبراهيم بن محمد بن حمويه الجويني، وقد اختار مذهب أهل السنة، وقد خلفه أخوه خدا بنده في السلطة. ولد سنة (٦٧٠هـ)، وتوفي في شوال، سنة (٧٠٣هـ)، قيل أنه مات مسموماً.
انظر: البداية والنهاية (١٤/ ٢٩)، المنتقى من منهاج الاعتدال (ص١٨)، حاشية رقم (٢).

أوقع الله له في قلبه هيبة عظيمة حتى أدناه وأجلسه، وأخذ الشيخ في الكلام معه أولاً في عكس رأيه عن تسليط المخذول ملك الكرج على المسلمين، وضمن له أموالاً، وأخبره بحرمة دماء المسلمين، وذكّره ووعَظه، فأجابه إلى ذلك طائعاً، وحقنت بسببه دماء المسلمين، وحميت ذراريهم، وصين حريمهم.

وحدثني من أثق به عن الشيخ وجيه الدين ابن المنجا[1] ـ قدس الله روحه ـ قال:

كنت حاضراً مع الشيخ حينئذ، فجعل ـ يعني الشيخ ـ يحدث السلطان بقول الله ورسوله في العدل وغيره، ويرفع صوته على السلطان في أثناء حديثه، حتى جثا على ركبتيه، جعل يقرب منه في أثناء حديثه، حتى لقد قرب أن تلاصق ركبتُه ركبةَ السلطان، والسلطان مع ذلك مقبل عليه بكليته، مصغ لما يقول، شاخص إليه، لا يعرض عنه، وأن السلطان من شدة ما أوقع الله ما في قلبه من المحبة والهيبة سأل من يخصه من أهل حضرته:

من هذا الشيخ؟! وقال ـ ما معناه ـ: إني لم أر مثله، ولا أثبت قلباً منه، ولا أوقع من حديثه في قلبي، ولا رأيتني أعظم انقياداً مني لأحد منه، فأخبر بحاله وما هو عليه من العلم والعمل.

وسأله: إن أحببت أن أعمر لك بلد آبائك حران، وتنتقل إليه، ويكون برسمك.

فقال: لا والله، لا أرغب عن مهاجر إبراهيم ﷺ أستبدل به غيره، فخرج من بين يديه مكرماً معززاً، قد صنع له الله بما طوى عليه نيته

---

(١) محمد بن عثمان ابن المنجا، وجيه الدين، من أكبر رجالات الشام في عصره، وممن رافق شيخ الإسلام عند مقابلة غازان، توفي سنة (٧٠١هـ).
انظر: الرد الوافر (ص١١٢).

الصالحة من بذله نفسه في طلب حقن دماء المسلمين فبلغه ما أراده، وكان ذلك أيضاً سبباً لتخليص غالب أسارى المسلمين من أيديهم وردهم على أهلهم وحفظ حريمهم، وهذا من أعظم الشجاعة والثبات وقوة الجأش.

وأخبرني من لا أتهمه :

أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ حين وُشِي به إلى السلطان المعظم الملك الناصر محمد، أحضره بين يديه، قال: فكان من جُملة كلامه: إنني أُخبرت أنك قد أطاعك الناس، وأن في نفسك أخذ الملك!

فلم يكترث به، بل قال له ـ بنفس مطمئنة وقلب ثابت وصوت عال سمعه كثير ممن حضر ـ:

أنا أفعل ذلك؟! والله إن ملكك وملك المغل لا يساوي عندي فلسين.

فتبسم السلطان لذلك، وأجابه في مقابلته ـ بما أوقع الله له في قلبه من الهيبة العظيمة ـ: إنك والله لصادق، وإن الذي وشى بك إليَّ كاذب، واستقرَّ له في قلبه من المحبة الدينية ما لولاه لكان قد فتك به منذ دهر طويل، من كثرة ما يلقى إليه في حقه من الأقاويل الزور والبهتان، ممن ظاهر حاله للطغام العدالة، وباطنه مشحون بالفسق والجهالة». اهـ.[1].

وقال الذهبي عنه:

«ولقد نصر السنة المحضة والطريقة السلفية، واحتج لها ببراهين ومقدمات وأمور لم يسبق إليها، وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون، وهابوا وجسر هو عليها، حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قياماً لا مزيد عليه: وبدعوه، وناظروه، وكابروه، وهو ثابت لا

(١) الأعلام العلية (ص٦٣ ـ ٦٦).

يداهن ولا يحابي، بل يقول الحق المرَّ الذي أداه إليه اجتهاده، وحدة ذهنه، وسعة دائرته في السنن والأقوال، مع ما اشتهر عنه من الورع وكمال الفكرة وسرعة الإدراك والخوف من الله والتعظيم لحرمات الله، فجرى بينه وبينهم حملات حربية ووقائع شامية ومصرية، وكم من نوبة قد رموه عن قوس واحدة فينجيه الله، فإنه دائم الابتهال كثير الاستغاثة قوي التوكل ثابت الجأش، له أوراد وأذكار يدمنها بكيفية وجعية.

وله من الطرف الآخر محبون من العلماء والصلحاء ومن الجند والأمراء ومن التجار والكبراء وسائر العامة تحبه لأنه منتصب لنفعهم ليلاً ونهاراً بلسانه وقلمه.

وأما شجاعته فبها تضرب الأمثال وببعضها يتشبه أكابر الأبطال:

فلقد أقامه الله في نوبة غازان والتقى أعباء الأمر بنفسه وقام وقعد وطلع وخرج واجتمع بالملك مرتين بقطلوشاه وببولاي(١)، وكان قبجق(٢) يتعجب من إقدامه وجرأته على المغول.

وله حدة قوية تعتريه في البحث حتى كأنه ليث حرب.

وهو أكبر من أن ينبه مثلي على نعوته فلو حلفت بين الركن والمقام

---

(١) قطلوشاه وبولاي هما من أكبر قادة غازان بعد فرارهما من المملكة، وقطلوشاه كان قائد جيش التتار في معركة شقحب، قتل سنة (٧٠٧هـ).
انظر: البداية والنهاية (١٤/ ٤٤ ـ ٤٥)، وانظر: الرد الوافر (ص٧٢).

(٢) سيف الدين قبجق المنصوري والي دمشق سنة (٦٩٦هـ)، ثم انحاز إلى غازان، وكان أحد الذين مالؤوا ملك الأرمن على نهب «داريا» و«المزة» و«صالحية دمشق»، وفي ذيل العبر وصف بأنه أحد الشجعان والأبطال، وكان تركياً، تام الشكل، محبباً إلى الرعية. قارب الستين. توفي بحماة سنة (٧١٠هـ)، وقيل إنه سقي.
انظر ترجمته في: ذيل العبر (٤/ ٢٥)، البداية والنهاية (١٣/ ٣٥١)، (١٤/ ٨، ٥٥)، الرد الوافر (ص٧٢).

لحلفت أني ما رأيت بعيني مثله ولا والله ما رأى هو مثل نفسه في العلم». اهـ.[1].

هذا شيء يسير من صفاته، وقد صدق القائل:

ماذا يقول الواصفون له ... وصفاته جلت عن الحصر
هو حجة الله قاهرة ... هو بيننا أعجوبة الدهر
هو آية للخلق ظاهرة ... أنوارها أربت على الفجر[2]

مكانته وأقوال العلماء فيه:

تبوأ الشيخ مكانة عالية، ومنزلة رفيعة لدى معظم المسلمين، بل اتفق أهل العلم على إمامته، ولقب بشيخ الإسلام في حياته[3].

وقد تميز الشيخ بعلمه، إذ لم يقتصر في طلبه على فن أحد، بل أخذ بفنون العلم كلها، فبرز فيها، وأتقنها، حتى قال العلامة كمال الدين بن الزملكاني[4]: «كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم أن أحداً لا يعرفه مثله،

---

(١) العقود الدرية (ص١١٧ ـ ١١٨)، الرد الوافر (ص٧١ ـ ٧٢)، الشهادة الزكية (ص٤١ ـ ٤٢).

(٢) العقود الدرية (ص٩)، الشهادة الزكية (ص٣٨)، تاريخ ابن الوردي (ص٢/ ٤١٠)، البداية والنهاية (١٤/ ١٤٠).

(٣) انظر: كتاب الرد الوافر على أن من زعم بأن من سمى ابن تيمية: شيخ الإسلام؛ كافر. ذكر فيه مؤلفه جمعاً من العلماء؟ أكثر من ثمانين عالماً لقبوا ابن تيمية بشيخ الإسلام.

(٤) محمد بن أبي الحسن علي بن عبد الواحد الأنصاري الشافعي ابن الزملكاني، كمال الدين أبو المعالي، ولد في ليلة الاثنين ثامن شوال سنة (٦٠هـ)، وقيل سنة (٦٦٧هـ)، تولى مناظرة شيخ الإسلام غير مرة، ومع ذلك فكان يعترف بإمامته، ولا ينكر فضله ولا بره، وتوفي في شهر رمضان سنة (٧٢٧هـ).
انظر: الرد الوافر (ص٢٢، ٢٦٣).

وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك، ولا يعرف أنه ناظر أحداً فانقطع معه، ولا تكلم في علم من العلوم سواء أكان من علوم الشرع أم غيرها إلا فاق فيه أهله والمنسوبين إليه، وكانت له اليد الطولى في حسن التصنيف، وجودة العبارة، والترتيب والتقسيم والتبيين». اهـ.[1].

وقال الحافظ المزي[2]:

«ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا أتبع لهما منه». اهـ.[3].

وقال الذهبي عنه:

«وله خبرة تامة بالرجال وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم.

ومعرفة بفنون الحديث، وبالعالي والنازل، وبالصحيح والسقيم، مع حفظه لمتونه الذي انفرد به، فلا يبلغ أحد في العصر رتبته، ولا يقاربه، وهو عجب في استحضاره واستخراج الحجج، منه وإليه المنتهى في عزوه إلى الكتب الستة والمسند، بحيث يصدق عليه أن يقال: كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث، ولكن الإحاطة لله، غير أنه يغترف من بحر، وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي.

---

(١) العقود الدرية (ص٧)، الرد الوافر (ص١٠٩)، الشهادة الزكية (ص٣٦ ـ ٣٧).

(٢) يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الملك القضاعي ثم الكلبي المزي، جمال الدين أبو الحجاج، الإمام، حافظ الإسلام، محدث الأعلام شيخ المحدثين، ولد سنة (٦٥٤هـ)، كان غزير العلم ثقة حجة، ترافق هو وابن تيمية في السماع والنظر في علوم عدة من الأعلام، له عدة مصنفات، منها تهذيب الكمال، والأطراف، توفي في صفر سنة (٧٤٢هـ).
انظر: الرد الوافر (ص٢٢٩ ـ ٢٣١).

(٣) العقود الدرية (ص٧)، الرد الوافر (ص٢٣٠).

وأما التفسير فمسلم إليه، وله في استحضار الآيات من القرآن وقوة إقامة الدليل بها على المسألة قوة عجيبة، وإذا رآه المقرئ تحير فيه، ولفرط إمامته في التفسير وعظمة اطلاعه يبين خطأ كثير من أقوال المفسرين، ويوهي أقوالاً عديدة، وينصر قولاً واحداً موافقاً لما دل عليه القرآن والحديث، ويكتب في اليوم والليل من التفسير أو من الفقه أو من الأصولين أو من الرد على الفلاسفة[1] والأوائل نحواً من أربعة كراريس، أو أزيد، وما أُبعِد أن تصانيفه إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلدة، وله في غير المسألة مصنف مفرد في مجلد». اهـ.[2].

وقد جلس للإفتاء والتدريس وهو لم يتجاوز العشرين من عمره[3]، وقد حضر درسه الأول كبار العلماء في دمشق، وأُعجِبوا من درسه وأثنوا عليه.

---

(١) الفلاسفة: الفلسفة في الأصل معناها: محبة الحكمة، وهي كلمة يونانية مكونة من مقطعين: فيلا: أي محبّ، وسوفيا: أي الحكمة.
كان المراد بالفلسفة قديماً: تفسير المعرفة عقلياً، وفي القرون الوسطى أصبح المراد بالفلسفة الوقوف على حقائق الأشياء، نظرية كانت أو عملية، وأصبحت منذ القرن التاسع عشر تقتصر على المنطق وعلم الجمال وما بعد الطبيعة.
هذا حسب مفهوم الفلاسفة، ولكن في الحقيقة أصبح هذا الاسم يطلق على أتباع أرسطو الذين هذب ابن سينا طريقتهم، ومن آراء معظّميهم: القول بقدم العالم، وإنكار النبوات، وإنكار البعث الجسماني، أما موضوع الفلسفة فهو موضع خلاف، فمن قائل: إن دائرة الفلسفة تتسع فتشمل كل علم أو فرع من فروع العلم. إلى قائل: بأنها تختص فقط بالبحث فيما وراء الطبيعة، أو ما يتصل به كالمنطق.
انظر: إغاثة اللهفان (٢/ ٢٥٦ ـ ٢٦٨)، الفصل لابن حزم (١/ ٩٤)، مقدمة ابن خلدون (ص٥١٤)، المعجم الفلسفي لجميل صليبا (ص١٣٨ ـ ١٣٩)، ط. دار الكتاب اللبناني، (١٩٧٨م)، المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص١٤٥).

(٢) العقود الدرية (ص٢٤ ـ ٢٥).

(٣) انظر العقود الدرية (ص٢٤).

قال ابن ناصر الدين الدمشقي[1]: «قال الذهبي: «وكان الشيخ تاج الدين الفزاري[2] يبالغ في تعظيم الشيخ تقي الدين؛ بحيث أنه علَّق بخطه درسه بالسكرية». اهـ..

وهذا الدرس كان بعد موت والد الشيخ تقي الدين في يوم الاثنين ثاني المحرم من سنة ثلاث وثمانين وستمائة بدار الحديث السكرية... وحضر هذا الدرس قاضي القضاة بهاء الدين يوسف ابن القاضي محيي الدين أبي الفضل يحيى بن الزكي[3]، وشيخ الإسلام تاج الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إبراهيم الفزاري المذكور، والشيخ زين الدين أبو

---

(١) هو محمد بن أبي بكر عبد الله بن محمد بن أحمد القيسي الدمشقي، شمس الدين، الشهير بـ «ابن ناصر الدين»، ولد في دمشق في أوائل محرم سنة (٧٧٧هـ)، كان إماماً، مؤرخاً، ثقة، حافظاً، له مصنفات عديدة مفيدة، منها عقود الدرر في علوم الأثر، والرد الوافر على من زعم: بأن من سَمّى ابن تيمية شيخ الإسلام؛ كافر، وغيرها توفي في ربيع الثاني سنة (٨٤٢هـ).
انظر: الدرر الكامنة (٣/ ٣٩٧)، شذرات الذهب (٧/ ٢٤٣)، الأعلام (٧/ ١١٥)، الرد الوافر (ص١٩ ـ ٢٠).

(٢) هو عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع بن ضياء الدين الفزاري، تاج الدين أبو محمد، الإمام العلامة العالم، شيخ الشافعية في زمانه، ولد سنة (٦٣٠هـ)، قال ابن كثير: «كان ممن اجتمع فيه فنون كثيرة من العلوم النافعة، والأخلاق اللطيفة، وفصاحة اللسان، وحسن التصنيف، وعلو الهمة... وهو شيخ أكابر مشايخنا». له مصنفات منها كتاب الأقليد، واختصار الموضوعات لابن الجوزي، وغيرها وتوفي في جمادى الآخرة سنة (٦٩٠هـ).
انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٣٢٥)، الرد الوافر (ص١٥٤ ـ ١٥٦).

(٣) هو يوسف بن محيي الدين أبي الفضل يحيى بن محمد بن علي بن محمد القرشي الدمشقي، المعروف بابن الزكي الشافعي، بهاء الدين، قاضي القضاة،، كان فاضلاً مبرزاً، ولد في سنة (٦٤٠هـ)، وتوفي سنة (٦٨٥هـ).
انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٣٠٨).

حفص عمر بن مكي عبد الصمد بن المرحل[1] وكيل بيت المال والد صدر الدين ابن الوكيل الشافعيون، وشيخ الحنابلة العلامة زين الدين أبو البركات ابن المنجا التنوخي[2]، وآخرون.

وكان درساً حافلاً كتبه الشيخ تاج الدين الفزاري بخطه كما ذكره الذهبي وغيره لكثرة فوائده، وأطنب الحاضرون في شكره، وكان إذ ذاك عمر الشيخ تقي الدين ابن تيمية نحو إحدى وعشرين سنة». اهـ.[3].

وقال الإمام بدر الدين محمد بن علاء الدين بن غانم: «اجتمعتُ بالشيخ برهان الدين[4] رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوم وفاة الشيخ تقي الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ على مصطبة

---

(١) هو عمر بن مكي بن عبد الصمد بن عطية بن أحمد العثماني الدمشقي الشافعي، أبو حفص زين الدين الخطيب، المعروف بابن المرحل. وكيل بيت المال في دمشق وخطيبها، قال ابن كثير: «سمع الحديث، وبرع في الفقه، وفي علوم شتى، منها علم الهيئة، وله فيه مصنف».
انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٣٣١)، طبقات الشافعية للسبكي (٥/ ١٤٥)، طبقات الشافعية لابن شهبة (٢/ ٤٦)، شذرات الذهب (٥/ ٤١٩).

(٢) هو المنجا بن عز الدين بن عمر عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخي، زين الدين أبو البركات، شيخ الحنابلة وعالمهم، ولد سنة (٦٣١هـ)، قال ابن كثير: كان قد جمع له بين حسن السمت والديانة والعلم والوجاهة وصحة الذهن والعقيدة والمناظرة وكثرة الصدقة، برع في فنون من العلم كثيرة، سنة (٦٩٥هـ).
انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٣٤٥)، ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٣٢).

(٣) الرد الوافر (ص١٥٤ ـ ١٥٥).

(٤) هو إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزاري البدري الشافعي، برهان الدين أبو إسحاق، ولد سنة (٦٦٠هـ)، قال ابن كثير: «الإمام العالم، شيخ المذهب وعلمه، ومفيد أهله، شيخ الإسلام، مفتي الفرق، بقية السلف... وبالجملة فلم أر شافعياً من مشايخنا مثله». وتوفي في جمادى الأولى سنة (٧٢٩هـ)، وكانت جنازته مشهودة.
انظر: البداية والنهاية (١٤/ ١٤٦)، طبقات الشافعية (٦/ ٤٥)، الرد الوافر (ص١٥٤ ـ ١٥٦).

باب المدرسة الباذرائية، وعزيته فيه، فوجدته متأسفاً عليه، كثير الألم لموته، وإذا بشخص من الطلبة قد حضر فقال له: يا سيدي لا تحضر الدرس اليوم حتى نحضر في خدمتك، فغضب غضباً شديداً، وانزعج انزعاجاً كثيراً، وقام لوقته ودخل بيته، وانصرف ذلك الرجل وأنا جالس موضعي على المصطبة متألماً لانزعاجه، وإذا به قد علم برواح ذلك الرجل وجلوسي مكاني بعده فطلبني، فدخلت فوجدته على حاله في الانزعاج، وقال لي: ما تبصر هذا الحال، يموت أقل من يكون من الفقهاء فتبطل الدروس لأجله، ويموت مثل هذا الرجل العظيم ولا تبطل الدروس لأجله، والله عنده من الفضائل ما لا عند أحمد بن حنبل، هذا كان صاحبي من الصغر، ويجتمع بوالدي، وكان والدي يحب والده وأهله، ويتردد إلى والده، وعندما درس ولده بعد وفاة والده حضر والدي عنده الدرس، وكتب درسه، وأثنى على درسه وعلى فضائله من ذلك الزمان». اهـ.[1].

وقد أثنى عليه كلٌّ من رآه وعلم حاله أو سمع عنه، إلا ممن غلب عليه الحسد والعدوان، ولو أردنا استعراض ما قيل فيه لطال بنا المقام، بيد أنني أذكر شيئاً يسيراً مما قيل عن مكانته العلمية، وتمكنه وتفوقه على معاصريه، وخاصة في معرفة آراء الفرق والطوائف والأديان، والرد عليهم، ومن ذلك:

قال الحافظ ابن سيد الناس[2] عن الشيخ: «ألفيته ممن أدرك من

---

(١) الرد الوافر (ص١٥٥ ـ ١٥٦).

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ابن سيد الناس اليعمري الإشبيلي الشافعي، فتح الدين أبو الفتح، الإمام الحافظ الفقيه، ولد بالقاهرة في ذي الحجة سنة (٦٧١هـ)، توفي سنة (٧٠٤هـ) بالقاهرة، وكانت جنازته مشهودة، له مصنفات مفيدة ومؤلفات حميدة منها كتاب «النفح الشذي في شرح كتاب الترمذي».
انظر: الرد الوافر (ص٥٨).

العلوم حفظاً، وكاد يستوعب السنن والآثار حفظاً، إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه، وذو روايته، أو حاضر بالنحل والملل لم يُرَ أوسع من نحلته في ذلك، ولا أرفع من درايته، برز في كل فنّ على أبناء جنسه، ولم تر عينُ مَن رآه مثلَه، ولا رأت عينه مثل نفسه». اهـ.[1].

وقال الذهبي: «شيخنا، الإمام، العالم، العلامة، الأوحد، شيخ الإسلام، مفتي الفرق، قدوة الأمة، أعجوبة الزمان، بحر العلوم، حبر القرآن، تقي الدين، سيد العباد». اهـ.[2].

وقال في موضع آخر: «قرأ القرآن والفقه، وناظر واستدل وهو دون البلوغ، وبرع في العلم والتفسير، وأفتى ودرس وله نحو العشرين سنة، وصنف التصانيف، وصار من كبار العلماء في حياة شيوخه، وله من المصنفات الكبار التي سارت بها الركبان، ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراس وأكثر، وفسر كتاب الله تعالى مدة سنتين من صدره أيام الجمع، وكان يتوقد ذكاء، وسماعاته من الحديث كثيرة، وشيوخه أكثر من مائتي شيخ، ومعرفته بالتفسير إليها المنتهى، وحفظه للحديث ورجاله وصحته وسقمه فما يلحق فيه، وأما نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين ـ فضلاً عن المذاهب الأربعة ـ فليس له فيه نظير، وأما معرفته بالملل والنحل والأصول والكلام فلا أعلم له فيه نظيراً، ويدري جملة صالحة من اللغة، وعربيته قوية جداً ومعرفته بالتاريخ والسير فعجب عجيب، وأما شجاعته وجهاده وإقدامه فأمر يتجاوز الوصف، ويفوق النعت، وهو أحد الأجواد الأسخياء الذين يُضْرَب بهم المثل،

---

(١) العقود الدرية (ص١٠)، الرد الوافر (ص٥٨ ـ ٥٩).

(٢) العقود الدرية (ص٩)، الرد الوافر (ص٦٩).

وفيه زهد وقناعة باليسير في المأكل والملبس». اهـ.[1].

وقال: «وأما أصول الدين ومعرفة أقوال الخوارج[2] والروافض، والمعتزلة[3] والمبتدعة فكان لا يشق فيها غباره». اهـ.[4].

وقال في موضع آخر - عن الشيخ أنه -: كان آية في الذكاء، وسرعة الإدراك، رأساً في معرفة الكتاب والسنة والاختلاف، بحراً في النقليات، هو في زمانه فريد عصره: علماً وزهداً وشجاعة وسخاء وأمراً

---

(١) الرد الوافر (ص٦٩ - ٧٠)، وانظر: شذرات الذهب (٦/ ٨١ - ٨٢).

(٢) الخوارج: اسم يُطلق على كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أم كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان، لكن صار هذا الاسم عَلَماً على أول من خرج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، وكان الخوارج من أنصار علي ﷺ، ثم انشقوا عنه بعد التحكيم، قال ابن حزم: «كانوا أعراباً قرؤوا القرآن ولم يتفقهوا في السنن وبذلك تعددت طوائفهم».

انظر: الفصل في الملل والنحل (٤/ ١٦٨)، الملل والنحل للشهرستاني (٤/ ١١٥).

(٣) المعتزلة: اختلف في سبب تسميتهم بذلك، فقيل: لاعتزال واصل بن عطاء حلقة الحسن البصري، لما خالفه في حكم مرتكب الكبيرة، حيث قال واصل: إنه في منزلة بين المنزلتين، فأطلق عليه وأتباعه المعتزلة، وقيل غير ذلك، وقد أطلقت عليهم ألقاب أخر نحو: الوعيدية، والمنزلة والنفاة ومخانيث الخوارج، وهم فرق كثيرة، ولهم أصول خمسة هي: التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين والوعد والوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد ستروا تحت هذه الأصول معان باطلة.

انظر: شرح العقيدة الطحاوية فقد بين ما تضمنته أصولهم من معان باطلة (٢/ ٧٩٢)، وانظر: الملل والنحل (١/ ٥٦)، الفرق بين الفرق (ص٩٣)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٣٤ - ٣٦)، المعتزلة وأصولهم الخمسة، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية (ص١٠٣) وما بعدها.

(٤) الوافي بالوفيات (٧/ ١٨).

بالمعروف ونهياً عن المنكر وكثرة تصانيف، وقرأ وحصل وبرع في الحديث والفقه، وتأهّل للتدريس والفتوى وهو ابن سبع عشرة سنة، وتقدم في علم التفسير والأصول وجميع علوم الإسلام أصولها وفروعها ودقها وجلها سوى علم القراءات.

فإن ذُكر التفسير فهو حامل لوائه، وإن عُدَّ الفقهاء فهو مجتهدهم المطلق، وإن حضر الحفاظ نطق وخرسوا، وسرد وأُبلسوا، واستغنى وأفلسوا، وإن سُمّي المتكلمون فهو فردهم، وإليه مرجعهم، وإن لاح ابن سينا[1] يَقدُمُ الفلاسفةَ فَلّهم وتيّسهم، وهتك أستارهم، وكشف عوارهم، وله يد طولى في معرفة العربية، والصرف، واللغة، وهو أعظم من أن يصفه كلمي، أو ينبه على شأوه قلمي، فإن سيرته وعلومه ومعارفه ومحنه

---

(١) هو الحسين بن عبد الله بن الحسن بن سينا البلخي، أبو علي، الفيلسوف الرئيس، ولد سنة (٣٧٠هـ)، له تصانيف على طريقة المتكلمين والفلاسفة كالشفاء والإشارات وغيرهما، قال عنه شيخ الإسلام: «تكلم ابن سينا في أشياء من الإلهيات والنبوات والمعاد والشرائع لم يتكلم فيها سلفه.. وإن كان إنما أخذ عن الملاحدة المنتسبين إلى المسلمين، كالإسماعيلية، وكان أهل بيته من أهل دعوتهم، من أتباع الحاكم العبيدي الذي كان هو وأهل بيته وأتباعه معروفين عند المسلمين بالإلحاد».اهـ. وقال الذهبي: «ما أعلمه روى شيئاً من العلم، ولو روى لما حلت الرواية عنه، لأنه فلسفي النحلة ضال، لا ﷺ»، وقال في السير: «هو رأس الفلاسفة الإسلامية، لم يأت بعد الفارابي مثله، فالحمد لله على الإسلام والسنة، وله كتاب الشفا، وغيره، وأشياء لا تحتمل، وقد كفره الغزالي في كتاب المنقذ من الضلال، وكفَّر الفارابي». توفي سنة (٤٢٨هـ).

انظر: الرد على المنطقيين (ص١٤١ ـ ١٤٢)، وفيات الأعيان لابن خلكان (١٥٧/٢)، سير الأعلام (٥٣١/١٧ ـ ٥٣٦)، كشف الظنون لحاجي خليفة (٩٤/١ ـ ٩٥) ط. دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٣هـ)، ميزان الاعتدال (٥٣٩/١)، لسان الميزان (٢٩١/٢)، تاريخ حكماء الإسلام (ص٥٢ ـ ٧٧٢).

وتنقلاته تحتمل أن ترصع في مجلدتين، وهو بشر من البشر له ذنوب فالله تعالى يغفر له ويسكنه أعلى جنته؛ فإنه كان ربانيُّ الأمة، وفريد الزمان، وحامل لواء الشريعة وصاحب معضلات المسلمين، وكان رأساً في العلم، يبالغ في إطراء قيامه في الحق والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبالغة ما رأيتها ولا شاهدتها من أحد ولا لحظتها من فقيه». اهـ.[1].

وقال البزار: «وأما ما خصه الله تعالى به من معارضة أهل البدع في بدعتهم، وأهل الأهواء في أهوائهم، وما ألفه في ذلك من دحض أقوالهم، وتزييف أمثالهم وأشكالهم، وإظهار عوارهم وانتحالهم، وتبديد شملهم، وقطع أوصالهم، وأجوبته عن شبههم الشيطانية، ومعارضتهم النفسانية للشريعة الحنيفية المحمدية بما منحه الله تعالى به من البصائر الرحمانية والدلائل النقلية والتوضيحات العقلية، حتى ينكشف قناع الحق وبان بما جمعه في ذلك وألّفه الكذب من الصدق، حتى لو أن أصحابها أحياء ووفقوا لغير الشقاء لأذعنوا له بالتصديق، ودخلوا في الدين العتيق، ولقد وجب على كل من وقف عليها وفهم ما لديها أن يحمد الله تعالى على حسن توفيقه هذا الإمام لنصر الحق بالبراهين الواضحة العظام». اهـ.[2].

وقال ابن حجر[3]: «ومن أعجب العجب أن هذا الرجل كان من

---

(١) العقود الدرية (ص٢٣ ـ ٢٤)، الشهادة الزكية (ص٤٢ ـ ٤٣).

(٢) الأعلام العلية (ص٣٢).

(٣) هو أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل ابن حجر، من أئمة العلم والتاريخ، حافظ الإسلام في عصره، أصله من عسقلان بفلسطين، ولد بالقاهرة، سنة (٧٧٣هـ)، وتوفي بها، سنة (٨٥٢هـ)، قال السخاوي: «انتشرت مصنفاته في حياته، وتهادها الملوك، وكتبها الأكابر». وتصانيفه كثيرة جليلة، منها: تهذيب التهذيب، لسان الميزان، الدرر الكامنة =

أعظم الناس قياماً على أهل البدع ـ من الروافض، والحلولية[1]، والاتحادية[2] ـ وتصانيفه في ذلك كثيرة شهيرة، وفتاويه فيهم لا تدخل

= وغيرها. انظر ترجمته في: ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر للسخاوي، الضوء اللامع: (٢/٣٦)، البدر الطالع: (١/٨٧)، الأعلام: (١/١٧٨).

(١) الحلولية: قوم يزعمون أن الله يحل بذاته في أجسام المخلوقات، وهو مذهب قديم في معظم الديانات، والملل السابقة، ومن القائلين به في هذه الأمة: الغلاة من الشيعة، وكذلك بعض الصوفية. وقد قسمهم شيخ الإسلام قسمين:
الأول: من يقول بالحلول الخاص، وهو قول النساطرة من النصارى الذين يقولون إن اللاهوت حلّ في الناسوت. . . ، وغالية الرافضة، الذين يقولون: إنه ـ أي الله تعالى ـ حلّ بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأئمة أهل بيته، وغالية النساك الذين يقولون بالحلول في الأولياء أو من يعتقدون فيه الولاية، أو في بعضهم.
والثاني: هو الحلول العام، وهو القول الذي ذكره أئمة أهل السنة والحديث عن طائفة من الجهمية المتقدمين، وهو قول غالب متعبدة الجهمية، الذين يقولون: إن الله بذاته في كل مكان. ويتمسكون بمتشابه من القرآن، كقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾، وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ والرد على هؤلاء كثير مشهور في كلام أئمة السنة وأهل المعرفة وعلماء الحديث. وقد ذكر البغدادي أنهم عشر فرق، أكثرها يرجع إلى غلاة الرافضة.
انظر: الفتاوى: (٢/١٧١ ـ ١٧٢)، الملل والنحل (١/٣٦٩)، الفرق بين الفرق (ص٢٥٤)، اعتقادات فرق المسلمين (ص٧٣)، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب (٢/٦٢)، الغلو والفرق الغالية (ص١٢٦)، مصطلحات الصوفية (ص٨٢). وسيأتي تفصيل مذهب الحلولية وموقف شيخ الإسلام منهم في مبحث خاص.

(٢) الاتحادية: قسمهم شيخ الإسلام قسمين:
الأول: هو الاتحاد الخاص، وهو قول يعقوبية النصارى، وهم أخبث قولاً، وهم السودان والقبط. يقولون: إن اللاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا، كاختلاط اللبن بالماء. وهو قول من وافق هؤلاء من غالية المنتسبين إلى الإسلام.
الثاني: الاتحاد العام، وهو قول الملاحدة الذين يزعمون أنه عين وجود الكائنات، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى من وجهين: من جهة أن أولئك =

الحصر». اهـ.[1].

شيوخه وتلاميذه:

كان لبداية الشيخ منذ صغره في طلب العلم وحضور مجالس العلماء والسماع منهم أثر واضح في كثرة مشايخه؛ حيث بلغ عدد شيوخه الذين سمع منهم أكثر من مائتي شيخ.

ومن هؤلاء: والده عبد الحليم[2]، وأبو العباس أحمد بن عبد الدائم[3]، وشرف الدين أحمد بن كمال الدين المقدسي[4]، وأبو

= قالوا: إن الرب يتحد بعبده الذي قربه واصطفاه بعد أن لم يكونا متحدين. وهؤلاء يقولون: مازال الرب هو العبد وغيره من المخلوقات ليس هو غيره. والثاني: من جهة أن أولئك خصوا ذلك بمن عظموه كالمسيح، وهؤلاء جعلوا ذلك سارياً في الكلاب والخنازير والأقذار والأوساخ، وإذا كان الله تعالى قد قال: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ﴾ الآية، فكيف بمن قال: إن الله هو الكفار والمنافقون والصبيان والمجانين والأنجاس والأنتان وكل شيء؟!.

انظر: الفتاوى (٢/ ١٧٢ ـ ١٧٣)، الموسوعة الميسرة (ص٤٥)، مصطلحات الصوفية (ص٩). وسيأتي تفصيل مذهب الحلولية وموقف شيخ الإسلام منهم في مبحث خاص.

(١) انظر: الرد الوافر (ص٢٤٨)، الشهادة الزكية (ص٧٣).

(٢) هو عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، شهاب الدين، قال ابن كثير: «مفتي الفرق الفارق بين الفرق، كان له فضيلة حسنة، ولديه فضائل كثيرة». توفي سنة (٦٨٥هـ). انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٣٠٣)، العبر (٣/ ٣٤٩)، ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣١٠).

(٣) هو أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المردسي، زين الدين أبو العباس، ولد سنة (٥٧٥هـ)، وتوفي سنة (٦٦٨هـ)، كان مؤرخاً محدثاً أديباً.
انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٢٥٧)، العبر (٥/ ٢٨٨)، الدرر الكامنة (١/ ١٤٤)، شذرات الذهب (٥/ ٣٢٥).

(٤) هو أحمد بن كمال الدين أحمد بن نعمة بن أحمد المقدسي، شرف الدين =

الفرج عبد الرحمن بن سليمان البغدادي[1] وعفيف الدين أبو محمد عبد الرحيم العلثي البغدادي[2]، وغيرهم.

أما تلاميذه فأيضاً يصعب حصرهم واستقصاؤهم؛ إذ الشيخ بدأ بالتدريس منذ صغره، وبقي أكثر من أربعين عاماً يلقي دروسه، ويحضرها الجم الغفير من الناس، كما أن مجالس الشيخ تعددت أماكنها فلم تكن في مكان واحد، هذا في دروسه العلمية، أما دروسه العامة ومواعظه فلا قدرة على إحصائهم وحصرهم.

ومن أبرز تلاميذه ابن القيم رحمه الله **قال ابن حجر**: «ولو لم يكن للشيخ تقي الدين من المناقب إلا تلميذه الشهير الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية[3] ـ صاحب التصانيف النافعة السائرة، التي انتفع بها

= أبو العباس، خطيب دمشق ومفتيها، وكان يتقن فنوناً كثيرة، كان يفتخر ويقول: أنا أذنت لابن تيمية بالإفتاء. ولد سنة (٦٢٢هـ).

انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٣٤١)، العبر (٥/ ٣٨٠).

(١) هو عبد الرحمن بن سليمان بن سعيد بن البغدادي، جمال الدين أبو الفرج، الإمام، الفقيه، العالم، البارع، ولد سنة (٥٨٥هـ)، بحران، وتوفي سنة (٦٧٠هـ).

انظر: العبر (٣/ ٣٢١)، شذرات الذهب (٥/ ٣٣٢).

(٢) هو عبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن فارس العلثي البغدادي، عفيف الدين أبو محمد، قال الذهبي: «وله أتباع وأصحاب يقومون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حدث بالكثير ببغداد وبدمشق». ولد سنة (٦١٢هـ)، وتوفي سنة (٦٨٥هـ).

انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣١٥)، العبر (٣/ ٣٥٩)، شذرات الذهب (٥/ ٣٩١).

(٣) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله بن قيم الجوزية، الفقيه، الأصولي، المفسر، النحوي، ولد سنة (٦٩١هـ)، كان من العلماء الجهابذة، ذو عبادة وتهجد، تتلمذ لابن تيمية ـ رحمهم الله ـ، له =

الموافق والمخالف؛ لكان غاية في الدلالة على عظم منزلته». اهـ.[1].

ومن تلاميذه الإمام أبو محمد القاسم البرزالي[2]، والحافظ أبو الحجاج المزي، والحافظ أبو عبد الله أحمد بن عثمان الذهبي، وابن مفلح الحنبلي[3]، وابن قدامة المقدسي[4]، والحافظ ابن كثير[5].

= تصانيف كثيرة نافعة، منها: الصواعق المرسلة، إعلام الموقعين، وغيرها. توفي في رجب سنة (٧٥١هـ)، ألف في ترجمته جمع، منهم: عبد العظيم شرف الدين، بكر أبو زيد.
انظر: طبقات الحنابلة (٢/ ٤٤٧)، الدرر الكامنة (٤/ ٢١)، شذرات الذهب (٦/ ١٦٨)، الأعلام (٦/ ٥٦).

(١) الرد الوافر (ص٢٤٨)، الشهادة الزكية (ص٧٢).

(٢) هو القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي، علم الدين أبو محمد، الإمام العالم الحافظ مؤرخ الشام، ولد سنة (٦٦٥هـ)، قال ابن كثير: «سمعت العلامة ابن تيمية يقول: نقل البرزالي نقر في حجر». قال ابن ناصر الدين الدمشقي: صاحب «التاريخ الخطير» و«المعجم الكبير». كان بأسماء الرجال بصيراً، وناقلاً لأحوالهم تحريراً». توفي سنة (٧٣٩هـ).
انظر: البداية والنهاية (١٤/ ١٨٥)، طبقات الشافعية لابن شهبة (٢/ ٣٦٧)، الرد الوافر (ص٢١٧ ـ ٢٢١).

(٣) هو محمد بن مفلح بن مفرج المقدسي الصالحي الحنبلي، شمس الدين أبو عبد الله، ولد سنة (٧٠٣هـ)، العالم المحدث البارع، المؤرخ، قال ابن القيم: «ما تحت قبة الفلك أعلم بمذهب الإمام أحمد من ابن مفلح». توفي سنة (٧٦٣هـ).
انظر: البداية والنهاية (١٤/ ٢٩٤)، الدرر الكامنة (٤/ ٢٦١)، شذرات الذهب (٦/ ١٨٨).

(٤) هو أحمد بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي، شرف الدين أبو العباس، ولد سنة (٦٩٣هـ)، شيخ الحنابلة، صحب شيخ الإسلام وقرأ عليه عدة مصنفات في علوم شتى، توفي سنة (٧٧١هـ).
انظر: الرد الوافر (ص١٣٨)، الدرر الكامنة (١/ ١٧٠)، شذرات الذهب (٦/ ٢١٩).

(٥) هو إسماعيل بن أبي حفص عمر بن كثير بن ضوء القرشي البصري ثم =

مصنفاته:

حصر مؤلفات الشيخ واستقصاؤها مما يصعب ويشق على من أراده، وذلك لكثرتها وتنوعها وشمولها لفنون العلم ومجالاته، وتفرقها في البلدان والأمصار، وعدم حفظ الشيخ بنسخ منها عنده.

وهذه الصعوبة والعجز ليس في المتأخرين، بل حتى تلامذته ومن عاصروه متفقين على عدم إمكان حصرها واستقصائها[(١)].

وممن صرح بذلك:

ابن عبد الهادي[(٢)] **حيث قال عن مصنفات الشيخ**: «وللشيخ رحمه الله من المصنفات والفتاوى والقواعد والأجوبة والرسائل وغير ذلك من الفوائد مالا ينضبط، ولا أعلم أحداً من متقدمي الأمة ولا متأخريها جمع مثل ما جمع، ولا صنف نحو ما صنف، ولا قريباً من ذلك.

= الدمشقي، عماد الدين أبو الفداء، الإمام الحافظ، العلامة، ثقة المحدثين، وعمدة المؤرخين، علم المفسرين، ولد سنة (٧٠١هـ)، له عدة مصنفات منها «تفسير القرآن» و«البداية والنهاية» وغيرها. توفي سنة (٧٧٤هـ).

انظر: الدرر الكامنة (١/ ٣٧٣)، شذرات الذهب (٦/ ٢٣١)، طبقات الشافعية لابن شهبة (٣/ ١١٣).

(١) انظر: العقود الدرية فقد ذكر بعض أسباب تعذر إحصاء ما كتبه وما صنفه (ص٦٤ ـ ٦٥).

(٢) هو محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي، شمس الدين أبو عبد الله، الفقيه المحدث الحافظ الناقد، ولد في شهر رجب سنة أربع وقيل خمس وقيل ست وسبعمائة، لازم شيخ الإسلام مدة، وكان من جلة أصحابه، ولازم المزي وبرع عليه في الرجال، قال عنه الذهبي: «ما اجتمعت به قط إلا استفدت منه».اهـ. كان إماماً في علوم: كالتفسير والقراءات والحديث والأصول والفقه واللغة العربية. له تصانيف كثيرة مفيدة. توفي في جمادى الأولى سنة ٧٤٤.

انظر: البداية والنهاية (١٤/ ٢١٠)، ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٣٧)، تذكرة الحفاظ (ص١٥٠٨)، شذرات الذهب (٦/ ١٤١)، الرد الوافر (ص٦٣ ـ ٦٥).

مع أن أكثر تصانيفه إنما أملاها من حفظه، وكثير منها صنفه في الحبس، وليس عنده ما يحتاج إليه من الكتب.

وها أنا أذكر بعض مصنفاته ليقف عليها من أحب معرفتها فمن ذلك:

ما جمعه في تفسير القرآن العظيم، وما جمعه من أقوال مفسري السلف الذين يذكرون الأسانيد في كتبهم، وذلك في أكثر من ثلاثين مجلداً، وقد بيض أصحابه بعض ذلك، وكثيراً منه لم يكتبوه بعد. وكان رَحِمَهُ اللهُ يقول: ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مائة تفسير، ثم أسأل الله الفهم». اهـ.[1].

وقال ابن القيم ـ في مقدمة كتابه أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ـ: «فإن جماعة من محبي السنة والعلم سألني أن أذكر ما ألفه الشيخ... ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، فذكرت لهم أني عجزت عن حصرها وتعدادها لوجوه أبديتها لبعضهم ـ وسأذكرها إن شاء الله فيما بعد، فأكثرهم قالوا: لا بد من ذكر ما تعرف، وما لا يدرك كله لا يترك جله، فتعينت إجابتهم، وها أنا ذا أذكر ما يسر الله عليّ منها، وإن وجد الواقف على ما كتبنا زيادة فليلحقها، والله المستعان». اهـ.[2].

وقال البزار: «وأما مؤلفاته ومصنفاته فإنها أكثر من أن أقدر على إحصائها، أو يحضرني جملة أسمائها، بل هذا لا يقدر عليه غالباً أحد؛ لأنها كثيرة جداً، كباراً وصغاراً، وهي منشورة في البلدان، فقل بلد نزلته إلا ورأيت فيه من تصانيفه». اهـ.[3].

---

(١) العقود الدرية (ص٢٦)، وانظر: العقود الدرية (ص٦٤).
(٢) أسماء مؤلفات شيخ الإسلام (ص٨).
(٣) الأعلام العلية (ص٢٥)، وانظر ما ذكره: ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤)، والصفدي في الوافي بالوفيات (٧/ ٢٣).

وقد ذكر الذهبي أنها تبلغ ألف مصنف، بل أكثر من ذلك[1].

وأفرد تلميذه ابن القيم رسالة في ذكر مصنفاته، كما أن ابن عبد الهادي ذكر جملة منها،وقد اجتهد كثير من العلماء وطلبة العلم في استقصاء مؤلفاته، ومع ذلك ما زال بعض رسائله وكتبه تظهر وتنشر اليوم لأول مرة.

ومن أشمل ما وقفت عليه ممن سعى في حصر مؤلفات الشيخ ما قام به محققا كتاب «الصارم المسلول» حيث ذكرا ما يزيد على سبعمائة كتاب ورسالة، وذلك من خلال جميع المصادر والمراجع التي بين أيديهم[2].

وقد كان لمؤلفات الشيخ الأثر الكبير ـ من عصره إلى اليوم ـ في كشف الضلالات والبدع وإرشاد الناس إلى ما جاء به الرسول ﷺ من الحق والبيان، ومؤلفاته ما زالت هي المرجع لكثير من أهل العلم في رد بدع الفرق والطوائف.

---

(١) انظر: الرد الوافر (ص٧٢)، الشهادة الزكية (ص٤٣).

(٢) انظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول (١/ ٧٠ ـ ١٥٢)، تحقيق محمد بن عبد الله الحلواني ومحمد كبير أحمد شودري، وقد اقتصرت على الإحالة على بعض من سعى في استقصاء ما أمكنه، وذلك خشية التكرار دون فائدة تذكر، خاصة أن هذه الكتب متوفرة بين يدي القراء.

وممن ذكر مؤلفات الشيخ: ابن القيم في كتابه أسماء مؤلفات شيخ الإسلام، وابن عبد الهادي في العقود الدرية (ص٢٦ ـ ٦٧)، والبزار في الأعلام العلية (ص٢٥ ـ ٢٨)، وابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٠٣ ـ ٤٠٥)، والصفدي في الوافي بالوفيات (٧/ ٢٣ ـ ٣٠)، والكتبي في فوات الوفيات (١/ ٧٥ ـ ٨٠).

أما من المعاصرين ـ فكما تقدم ـ أشمل من وقفت عليه محققي كتاب «الصارم المسلول» (١/ ٧٠ ـ ١٥٢).

كما أنه بها تنجلي كثير من الشكوك والشبهات التي لدى أهل الكلام، ويجد المطلع عليها الحق الواضح الموافق للعقل والفطرة وما جاء به الشرع من غير تناقض بينها، ويبيّن ذلك ويوضحه ما ذكره البزار في بيان أثر مؤلفات الشيخ على المطلعين عليها حيث قال: «حدثني غير واحد - من العلماء الفضلاء النبلاء الممعنين بالخوض في أقاويل المتكلمين لإصابة الثواب وتمييز القشر من اللباب - أن كلاً منهم لم يزل حائراً في تجاذب أقوال الأصوليين ومعقولاتهم، وأنه لم يستقر في قلبه منها قول، ولم يبن له من مضمونها حق، بل رآها كلها موقعة في الحيرة والتضليل، وجلها مُمعن بتكلف الأدلة والتعليل. وأنه كان خائفاً على نفسه من الوقوع بسببها في التشكيك والتعطيل، حتى منّ الله تعالى عليه بمطالعته مؤلفات هذا الإمام - أحمد ابن تيمية شيخ الإسلام - وما أورده من النقليات والعقليات في هذا النظام، فما هو إلا أن وقف عليها وفهمها فرآها موافقة للعقل السليم، وعلمها حتى انجلى ما كان قد غشيه من أقوال المتكلمين من الظلام، وزال عنه ما خاف أن يقع فيه من الشك وظفر بالمرام.

ومن أراد اختبار صحة ما قلته فليقف - بعين الإنصاف العرية عن الحسد والانحراف إن شاء - على مختصراته في هذا الشأن: شرح الأصفهانية، ونحوها. وإن شاء على مطولاته: تخليص التلبيس من تأسيس التقديس، والموافقة بين العقل والنقل، ومنهاج الاستقامة والاعتدال، فإنه والله يظفر بالحق والبيان، ويستمسك بأوضح برهان، ويزن حينئذ في ذلك بأصح ميزان». اهـ.[1].

والمطلع على مؤلفات الشيخ ورسائله يلحظ أن أكثرها في مسائل

---

(١) الأعلام العلية (ص٣٣).

الأصول والعقائد والرد على أهل البدع، وقد بيّن الشيخ سبب ذلك في جوابه لتلميذه عند ما سأله عن ذلك. حيث قال البزار: «ولقد أكثر رَحِمَهُ ٱللَّهُ التصنيف في الأصول، فضلاً عن غيره من بقية العلوم، فسألته عن سبب ذلك، والتمست منه تأليف نص في الفقه، يجمع اختياراته وترجيحاته، ليكون عمدةً في الإفتاء، فقال لي ـ ما معناه ـ: الفروع أمرها قريب، ومن قلد المسلم فيها أحد العلماء المقلدين جاز له العمل بقوله ما لم يتيقن خطأه. وأما الأصول فإني رأيت أهل البدع والضلالات والأهواء ـ كالمتفلسفة[1]، والباطنية، والملاحدة[2]، والقائلين بوحدة الوجود[3]

---

(١) المتفلسفة: هم المتأثرون بآراء الفلاسفة، وقد تقدم بيان المراد بالفلاسفة. ومن أشهر المتفلسفة المنتسبين إلى الإسلام: ابن سينا، والفارابي، والغزالي، وابن رشد، وابن عربي. وقد سعوا في الجمع بين نصوص الشريعة وبين آراء الفلاسفة أرسطو وأتباعه، مما جعلهم يحرفون النصوص عن دلالتها، ويتأولونها تأويلات باطنية.

انظر: الملل والنحل (٢/٥٨)، إغاثة اللهفان (٢/٢٥٦)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص١٤٥)، بغية المرتاد (ص٢١٨) وما بعدها.

(٢) الملاحدة: الإلحاد مأخوذ من اللحد وهو الميل، لحد وألحد بمعنى مال، والإلحاد يكون: في أسماء الله وهو أنواع، ويكون في آيات الله الكونية والشرعية وهو أنواع أيضاً. ويطلق لفظ الملاحدة على الذين ينكرون وجود الله، أو ينكرون البعث والنشور.

انظر: القاموس (ص٤٠٤)، مادة: (لحد)، القول المفيد على كتاب التوحيد ـ لابن عثيمين (٣/٧٦ ـ ٨١)، ت: د. سليمان بن عبد الله أبا الخيل، ود. خالد بن علي المشيقح، ط. دار العاصمة، الرياض، الأولى (١٤١٥هـ).

(٣) القائلون بوحدة الوجود: أي أن الوجود الذي لذات المخلوق هو عين وجود ذات الله ﷻ.

انظر: بغية المرتاد (ص٣٩٥ وما بعدها)، وسيأتي مزيد بيان وتعريف بهم في مبحث خاص (ص٨١).

والدهرية[1] والقدرية[2] والنصيرية[3]، والجهمية[4]، والحلولية،

---

(١) الدهرية: هم الذين ينفون الربوبية، ويحيلون الأمر والنهي والرسالة من الله تعالى، ويقولون: يستحيل هذا في العقول، ويقولون بقدم العالم، وينسبون النوازل التي تنزل بهم إلى الدهر، وقد ذكر ابن القيم أنها طائفتان.
انظر: إغاثة اللهفان (٢/ ٢٥٥)، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (ص٨٨)، المقالات والفرق (ص١٩٤) بغية المرتاد (ص٤٣٠)، الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٤٧).

(٢) القدرية: هم نفاة القدر، وغالباً ما يطلق هذا الاسم على المعتزلة لنفيهم القدر، وإن كان القدرية الأولى الذين أنكروا علم الله تعالى السابق أقدم ظهوراً من المعتزلة، حيث ظهرت هذه الفرقة في آخر عهد الصحابة ﭬ وقد تبرأ منهم الصحابة كابن عمر وغيره، وقد قيل: أن أول من ابتدع القول بالقدر سوسن النصراني. كما أنه رويت أحاديث بتسميتهم مجوس هذه الأمة. وذلك لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالأصلين، وهما النور والظلمة، ويزعمون أن الخير من فعل النور، وأن الشر من فعل الظلمة، وكذا القدرية يضيفون الخير إلى الله، والشر إلى الإنسان والشيطان. ولقب القدرية لقب ذم ولذا تنكره المعتزلة، بل تطلقه على أهل السنة والجماعة.
انظر: الملل والنحل (١/ ٤٣)، الفرق بين الفرق (ص١١٤)، التنبيه والرد (ص١٧٦)، شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٣٥٦).

(٣) النصيرية: فرقة من غُلاة الباطنية، أرجح الآراء أنهم يُنسبون إلى ابن نُصير مولى الحسن العسكري أو من أصحابه، وهو محمد بن نُصير البصري النميري، المتوفَّى سنة ٢٦٠ وقيل ٢٧٠، وهم يُؤلِّهون علياً ﭬ، ويستحلُّون المحارم، وهم يوجدون اليوم في شمال سوريا ولبنان وفي لواء أنطاكية واسكندرونة بتركيا، ويُطلقون على أنفسهم: العلويون.
انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٨٣)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٨٨)، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين د.أحمد جلي (ص٣١١ ـ ٣٢٤).

(٤) الجهمية: هم أتباع الجهم بن صفوان وهم من الجبرية الغلاة الذين يقولون: أن الإنسان مجبور، لا اختيار له ولا إرادة، وكذلك ينكرون الأسماء والصفات فهم معطلة، ويقولون بفناء الجنة والنار. ولفظ الجهمية يطلق أحياناً بمعنى عام يقصد به نفاة الصفات عامة، ويطلق أحياناً بمعنى خاص ويقصد به أتباع =

والمعطلة(1)، والمجسمة(2)، والمشبهة(3)، ....

= الجهم. وقد أخرج كثير من العلماء الجهمية من فرق المسلمين ولا يعدونها منها، كابن المبارك وغيره.
انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٧٩٤)، مقالات الإسلاميين (ص٢٧٩)، الفرق بين الفرق (ص١٩٩)، الملل والنحل (١/ ٨٦)، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (ص٣٤)، تاريخ الجهمية والمعتزلة (ص٥٣)، درء تعارض العقل والنقل (١/ ٨).

(١) المعطلة: التعطيل هو إنكار ما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات، أو إنكار بعضها، والتعطيل نوعان: تعطيل كلي كتعطيل الجهمية الذين ينكرون الأسماء والصفات، وتعطيل جزئي كتعطيل الأشعرية الذين ينكرون بعض الصفات دون بعض. انظر شرح لمعة الاعتقاد: ١١٣، تلخيص الحموية: ١٠.

(٢) المجسمة: هم الذين يطلقون على الله تعالى لفظ «الجسم»، وبعضهم يصف هذا الجسم وصفاً دقيقاً فيذكر طوله وعرضه. .الخ، ولفظ الجسم من الألفاظ المجملة التي لم يرد نفيها ولا إثباتها في الكتاب ولا في السنة، لذا لا ينبغي أن تطلق على الله تعالى نفياً ولا إثباتاً، ومن أشهر المجسمة: الكرامية، وطائفة من الشيعة.
انظر: مقالات الإسلاميين (ص٢١٧)، بيان التلبيس (١/ ٤٠٧)، شرح العقيدة الطحاوية (ص١٢١)، الفرق بين الفرق (ص١٦).

(٣) المشبهة صنفان:
صنف: شبهوا ذات الله تعالى بذات غيره، وهم أصناف مختلفة.
وصنف: شبهوا صفات الله تعالى بصفات المخلوقين، وهم أصناف أيضاً، منهم: من شبّه كلام الله بكلام خلقه، ومنهم من شبه صفات الله تعالى الذاتية بصفات خلقه، وأول من أفرط في التشبيه: فرقة من فرق الروافض تسمى «السبئية»، ومن رؤوس المشبهة: هشام بن سالم الجواليقي، وداود الحواري، وأهل الحلول والاتحاد هم من غلاة المشبهة.
ولفظ التشبيه من الألفاظ المجملة المشتركة، ولفظ المشبهة يطلقه أهل الأهواء والبدع على كل من أثبت ما ينكرونه من صفات الله وأسمائه.
انظر: الفرق بين الفرق (ص٢٢٥ ـ ٢٣٠)، التبصير في الدين (ص١١٩ ـ ٢٢١)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٩٧ ـ ١٠٠)، منهاج السنة =

والراوندية[1]، والكلابية[2]، والسليمية[3]، وغيرهم من أهل البدع ـ قد تجاذبوا فيها بأزمة الضلال، وبان لي أن كثيراً منهم إنما قصد إبطال الشريعة المقدسة المحمدية الظاهرة العلية على كل دين، وأن جمهورهم

= (٥٩٨/٢)، الملل والنحل (١١٨/١ ـ ١٣١)، الفتاوى (١٨٦/٣، ١٣٨/٤، ٣٥/٦ ـ ٣٦، ٢٦٤/١٢ ـ ٢٦٥).

(١) الراوندية: هم أتباع ابن الراوندي أحمد بن يحيى، أبو الحسين، فيلسوف مجاهر بالإلحاد، له كتاب على أهل الاعتزال سماه «فضيحة المعتزلة»، توفي سنة (٢٤٥هـ). والفرقة تزعم أن النبي ﷺ نص على العباس بن عبد المطلب، ونصبه إماماً الإمامة.

انظر: مقالات الإسلاميين (٩٦/١، ٢٤٠) الفرق بين الفرق (ص٤٠)، لسان الميزان (٣٢٣/١)، وفيات الأعيان (٩٤/١)، سير الأعلام (٥٩/١٤).

(٢) الكلابية: هم أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب من آرائهم: أن أسماء الله وصفاته لذاته لا هي الله ولا هي غيره، وأنها قائمة بالله، ولا يجوز أن تقوم بالصفات صفات. وأن الصفات لا تتغاير، وأن العلم لا هو القدرة ولا غيرها، وكذلك سائر الصفات، وأن الإيمان لا يتفاضل بمعنى أنه شيء واحد لا يزيد ولا ينقص. وأن القرآن معنى قائم بالنفس لا يتعلق بالقدرة والمشيئة، وأنه لازم لذات الله. . .

انظر: مقالات الإسلاميين (٢٤٩/١ ـ ٢٢٥/٢ ـ ٢٢٧، ٢٥٣)، نهاية الإقدام (ص١٨١)، أصول الدين (ص٥٠).

(٣) السليمية: يحتمل أن يكون المراد بها: السليمانية إحدى فرق الزيدية أتباع سليمان بن جرير، وسيأتي حديث عنها في مبحث الزيدية.

أو أن يكون المراد بالسليمية ـ خاصة أنه في نسخة المنجد السلمية، وذكرها بعد الكلابية ـ: السالمية: أتباع أبي عبد الله محمد بن سالم ـ المتوفى سنة ٢٩٧ ـ وابنه أبي الحسن أحمد بن سالم ـ المتوفى سنة ٣٥٠ ـ وقد تتلمذ محمد بن سالم على سهل بن عبد الله التستري، وأبي طالب المكي، ويجمع السالمية في مذهبهم بين كلام أهل السنة، وكلام المعتزلة، مع ميل إلى التشبيه، ونزعة صوفية اتحادية.

انظر: شذرات الذهب (٥٦/٣)، دائرة المعارف الإسلامية: «السالمية»، الفرق بين الفرق (ص١٥٧)، منهاج السنة (١٥٧/١ حاشية).

أوقع الناس في التشكيك في أصول دينهم، ولهذا قل أن سمعت أو رأيت معرضاً عن الكتاب والسنة مقبلاً على مقالاتهم إلا وقد تزندق، أو صار على غير يقين في دينه واعتقاده.

فلما رأيت الأمر على ذلك بان لي أنه يجب على كل من يقدر على دفع شبههم وأباطيلهم وقطع حجتهم وأضاليلهم أن يبذل جهده ليكشف رذائلهم، ويزيف دلائلهم؛ ذباً عن الملة الحنيفية والسنة الصحيحة الجلية.

ولا والله ما رأيت فيهم أحداً ممن صنف في هذا الشأن وادعى علوم المقام إلا وقد ساعد بمضمون كلامه في هدم قواعد دين الإسلام؛ وسبب ذلك إعراضه عن الحق الواضح المبين، وعن ما جاءت به الرسل الكرام عن رب العالمين، واتباعه طرق الفلسفة في الاصطلاحات التي سموها بزعمهم حكميات وعقليات، وإنما هي جهالات وضلالات، وكونه التزمها معرضاً عن غيرها أصلاً ورأساً، فغلبت عليه حتى غطت على عقله السليم، فتخبط حتى خبط فيها عشواء، ولم يفرق بين الحق والباطل.

وإلا: فالله أعظم لطفاً بعباده أن لا يجعل لهم عقلاً يقبل الحق ويثبته، ويبطل الباطل وينفيه، لكن عدم التوفيق وغلبة الهوى أوقع من أوقع في الضلال، وقد جعل الله تعالى العقل السليم من الشوائب ميزاناً يزن به العبد الواردات، فيفرق به بين ما هو من قبيل الحق وما هو من قبيل الباطل، ولم يبعث الله الرسل إلا إلى ذوي العقل، ولم يقع التكليف إلا مع وجوده، فكيف يقال: إنه مخالف لبعض ما جاءت به الرسل الكرام عن الله تعالى؟ هذا باطل قطعاً، يشهد له كل عقل سليم، لكن ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

قال الشيخ الإمام قدس الله روحه: فهذا ونحوه هو الذي أوجب

أني صرفت جل همي إلى الأصول وألزمني أن أوردت مقالاتهم وأجبت عنها بما أنعم الله تعالى به من الأجوبة النقلية والعقلية.

قلت ـ أي البزار ـ: «وقد أبان بحمد الله تعالى فيما ألف فيها لكل بصير الحق من الباطل، وأعانه بتوفيقه حتى رد عليهم بدعهم وآراءهم وخدعهم وأهواءهم مع الدلائل النقلية بالطريقة العقلية، حتى يجيب عن كل شبهة من شبههم بعدة أجوبة جلية واضحة، يعقلها كل ذي عقل صحيح، ويشهد لصحتها كل عاقل رجيح». اهـ.[1].

بعض المحن التي ابتلي بها الشيخ:

كانت حياة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مليئة بالمحن والابتلاء، فلم تخل فترة من حياته من ذلك، وما أن يخرج من محنة إلا ويبتلى بأخرى، وما أن يخرج من سجن إلا ويعاد إليه تارة أخرى، فقضى معظم حياته رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السجن، وقد لقي ربه وهو في السجن.

وهذه المحن التي ابتلي الشيخ بها كان من أبرز أسبابها منهجه الذي سار عليه في حياته من اتباع السنة والتمسك بها، والدعوة إليها، ومحاربة كل ما يخالفها من عادات وبدع ومنكرات، وإنكارها، مما ألب عليه كثير من شيوخ أهل المذاهب المخالفة لذلك ممن تأثروا ببدع أهل الكلام والفلسفة، حسداً وانتقاماً لما يرون أنه نال من المكانة والقبول والاستجابة ما لم ينالوه، ولما يدعون من أنه طعن في أئمتهم وزعمائهم، وغيرها من التهم التي هو منها براء، وهذا ما انتهت إليه كل التهم والمحن، فالحق والصواب فيها معه، والكذب والباطل عند خصمه، ولذا ما من محنة ابتلي بها الشيخ إلا ويخرج منها منتصراً، ويكون بسببها أكثر قبولاً ومحبة، ويتضح الحق والسنة لدى الناس أكثر مما كان من

---

(١) الأعلام العلية (ص٣٣).

قبل، ولذا نجده كثيراً ما يبيّن ويشير إلى أن في ذلك خيراً كثيراً.

والمحن التي ابتلي بها الشيخ كثيرة، أشير إلى أبرزها:

- **محنته بسبب الفتوى الحموية**: وقد ذكر فيها معتقد أهل السنة والجماعة في الصفات، فادعى خصومه أنه ذكر فيها ما أفسد عقائد عوامهم، وقد حصلت بذلك مناظرات بينه وبين خصومه، انتهت بالاعتراف للشيخ بأنه على الحق.

- **محنته حول ما كتبه في «الواسطية»**: حيث اتهم الشيخ بسوء العقيدة، فعقدت مجالس ومناظرات لمساءلة الشيخ عن معتقده، وانتهت تلك المناظرات ببراءته وإعادته إلى منصبه.

- **محنته في مصر**: لما لم يستطع خصومه النيل منه في تلك المحن، وشَوْا به إلى سلطان مصر بأنه مبتدع، فاستدعي إلى مصر وعقد له مجلس كان فيه الحكم هو خصمه وهو القاضي ابن مخلوف المالكي[1]، وقد أنكر الشيخ كيف يكون الحكم هو الخصم مما أغضب القاضي، وحبس الشيخ وبقي فيه ثمانية عشر شهراً، ثم أخرج، وفرح الناس بذلك وتفرغ للتدريس والإفتاء.

- **محنته مع الصوفية**: عندما أخرج الشيخ من السجن، بقي في مصر للتدريس والإفتاء، وأخذ ينكر على الصوفية بدعهم وخرافاتهم، ويبيّن فساد ما هم عليه من اعتقاد، مما أثار زعماء الصوفية، وأثاروا عليه أتباعهم، وشكوه إلى السلطان، فعقد له مجلساً، ادعى فيه على الشيخ بأشياء لم يثبت منها عليه شيء. ثم جاء الأمر من السلطان بتخييره بين السفر إلى دمشق أو إلى الإسكندرية أو الحبس، فاختار الشيخ

---

(١) هو علي بن مخلوف بن ناهض بن مسلم بن منعم بن خلف النويري المالكي، ولد سنة (٦٣٤هـ)، وتوفي في جمادى الآخرة سنة (٧١٨هـ).
انظر: البداية والنهاية (١٤/ ٩٠)، والدرر الكامنة (٣/ ٢٠٢).

الحبس، فدخل عليه جمعة في السفر إلى دمشق، فأجابه جبراً لخواطرهم، وفي أثناء الطريق رد إلى مصر إذ لم ترض الدولة إلا بالحبس، وبعد توقف القضاة وترددهم في الحكم عليه بالحبس، قال الشيخ: أنا أمضي إلى الحبس واتبع ما تقتضيه المصلحة، وبقي فيه إلى أن نقل إلى الإسكندرية كهيئة المنفي، لما رأى خصومه أثره الكبير على الناس وهو في السجن وترددهم عليه، وبقي فيها نحو من ثمانية أشهر، ثم رجع إلى القاهرة بعد رجوع السلطان الناصر إلى الحكم(١).

ـ **محنته بسبب فتواه في الطلاق**: مما ترجح لدى الشيخ في مسألة الطلاق اعتبار الثلاث بكلمة واحدة طلاقاً رجعياً. وقد منع الشيخ من الإفتاء بذلك، لكنه لم يستجب، لأنه يرى أنه لا يسعه كتمان العلم. وقد عقد له مجلس عوتب فيه وحكم بسجنه. ثم أخرج منه بعد أكثر من خمسة أشهر.

ـ **محنته بسبب فتواه في شد الرحال إلى القبور**: وهي من أعظم المحن التي مرت على الشيخ وعلى أتباعه. وقد كذب فيها على الشيخ وحرف كلامه، وأوذي بعض تلاميذه وأتباعه فيها، وسجن بسببها، بل أخرج ما عنده من الكتب، وكان هذا من أشد المصائب عليه، وبقي فيه إلى أن مات رحمه الله(٢).

وفاته:

توفي الشيخ رحمه الله ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة من سنة ثمان وعشرين وسبع مائة، معتقلاً بقلعة دمشق.

---

(١) انظر تفصيل محنته مع الصوفية ومناظرته لهم، في هذه الرسالة.

(٢) انظر: العقود الدرية (ص١٩٤ ـ ٢٩٠، ٣٢٦ ـ ٣٦١)، البداية والنهاية (١٤/ ٣٧ ـ ٤٦، ٩٧ ـ ٩٨)، ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٩٧ ـ ٤٠٠)، وانظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة، ففيه تفصيل لتلك المحن وبيان لها، وبيان لدور الشيخ الإيجابي في تلك المحن (١/ ١٧٤ ـ ١٩٧).

وكان يوم وفاته يوماً مشهوداً، فما أن سمع الناس بموته حتى لم يبق في دمشق من يستطيع المجيء للصلاة عليه وأراده إلا حضر لذلك، وتفرغ له، حتى غلقت الأسواق بدمشق، وعطلت معايشها حينئذ، وحصل للناس بمصابه أمر شغلهم عن غالب أمورهم وأسبابهم، وخرج الأمراء والرؤساء والعلماء والفقهاء والأتراك والأجناد والرجال والنساء والصبيان من الخواص والعوام، ولم يتخلف أحد من غالب الناس فيما أعلم إلا ثلاثة أنفس(١)، كانوا قد اشتهروا بمعاندته، فاختفوا من الناس خوفاً على أنفسهم، بحيث غلب على ظنهم أنهم متى خرجوا رجمهم الناس فأهلكوهم(٢).

وقال ابن حجر: «ولو لم يكن من الدليل على إمامة هذا الرجل ـ أي ابن تيمية ـ إلا ما نبه الحافظ الشهير علم الدين البرزالي في تاريخه: أنه لم يوجد في الإسلام من اجتمع في جنازته لما مات ما اجتمع في جنازة الشيخ تقي الدين، وأشار إلى أن جنازة الإمام أحمد(٣) كانت حافلة جداً، شهدها مئات ألوف، ولكن لو كان بدمشق من الخلائق نظير من كان ببغداد أو أضعاف ذلك؛ لما تأخر أحد منهم عن شهود جنازته.

وأيضاً فجميع من كان ببغداد إلا الأقل كانوا يعتقدون إمامة الإمام أحمد، وكان أمير بغداد وخليفة الوقت إذ ذاك في غاية المحبة له والتعظيم، بخلاف ابن تيمية، فكان أمير البلد حين مات غائباً، وكان

---

(١) هم: ابن جملة، والصدر، والقحفازي. انظر: البداية والنهاية (١٤/ ١٤٠).

(٢) انظر: الأعلام العلية (ص٧٢ ـ ٧٣).

(٣) الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني، أحد الأئمة الأربعة، وإليه تنتسب الحنابلة، قال الذهبي: «هو الإمام حقاً، وشيخ الإسلام صدقاً ولد سنة (١٦٤هـ)، وتوفي سنة (٢٤١هـ)».
انظر: السير (١١/ ١٧٧ ـ ٣٥٨)، تاريخ بغداد (٤/ ٤١٢)، طبقات الحنابلة (١/ ٤)، البداية والنهاية (١٠/ ٣٢٥).

أكثر من بالبلد من الفقهاء قد تعصبوا عليه، حتى مات محبوساً بالقلعة، ومع هذا فلم يتخلف منهم عن حضور جنازته والترحم عليه والتأسف عليه إلا ثلاثة أنفس، تأخروا خشية على أنفسهم من العامة.

ومع حضور هذا الجمع الغفير فلم يكن لذلك باعث إلا اعتقاد إمامته وبركته، لا بجمع سلطان ولا غيره، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: **«أنتم شهداء الله في الأرض»**[1]. اهـ.[2][3].

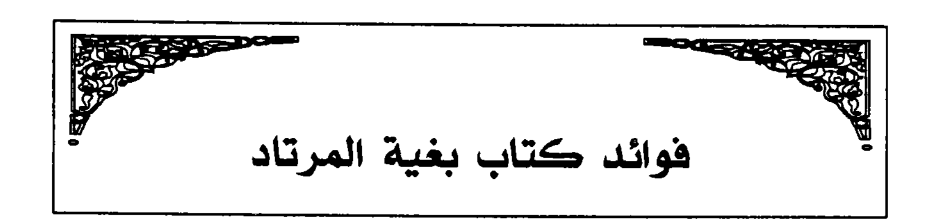
---

(١) الحديث في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً، فقال النبي ﷺ: (وجبت)! ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً، فقال: (وجبت)! فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما وجبت؟ قال: «هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار؛ أنتم شهداء الله في الأرض». رواه البخاري، كتاب الجنائز ـ باب ثناء الناس على الميت، (١/ ٤٦٠) ح(١٣٠١)، ومسلم، كتاب الجنائز ـ باب فيمن يثنى عليه خير أو شر من الموتى، (٢/ ٦٥٥) ح(٩٤٩).

(٢) الرد الوافر (ص٢٤٦ ـ ٢٤٧)، الشهادة الزكية (ص٧٢).

(٣) من مصادر الترجمة: العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، الدرر البهية في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية، الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية: شيخ الإسلام «كافر»، والكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية، الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية، البداية والنهاية (١٣/ ٢٤٢)، (١٤/ ١٤٣)، ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٨٧)، تذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٩٦)، الوافي بالوفيات (٧/ ١٥)، فوات الوفيات (١/ ٧٤)، الدرر الكامنة (١/ ١٥٤)، شذرات الذهب (٦/ ٨٠).

ومن المعاصرين: شيخ الإسلام ابن تيمية سيرته وأخباره عند المؤرخين، ابن تيمية بطل الإصلاح الديني، ابن تيمية: حياته وعصره، وآرائه وفقهه، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده في الحديث وعلومه، وغيرها كثير. ولمزيد من معرفة مصادر ترجمة الشيخ انظر المصدرين الأخيرين فيهما ذكر عدد كبير من المؤلفات والدراسات عن شيخ الإسلام ابن تيمية.

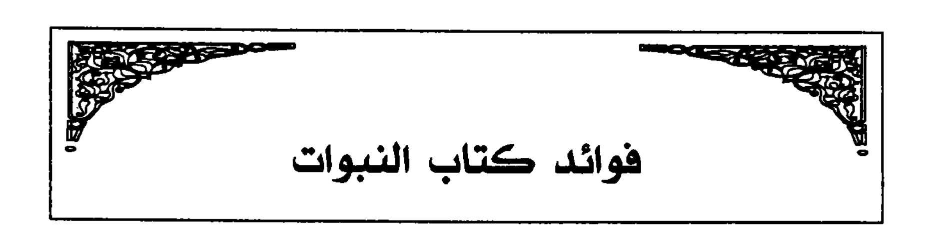


فوائد كتاب بغية المرتاد

١ - هل للرؤيا ضابط يرجع له؟

(ص٣٢٠): «وأما الرؤيا وتأويلها فباب لا ينضبط له حد وقد يكون تأويلها لا يشبهها إلا بوجه بعيد لا يهتدي له إلا حذاق المعبرين» اهـ.





فوائد كتاب النبوات

٢ ـ قول بعضهم في ضابط الكرامة بأنها لا يقصد بها التحدي ضابطٌ غير جيد، فقد تحدى خالد بن الوليد ﷺ بشرب السم، وتحدى غلام الساحر الملك وقومه:

(ص١٨ ـ ١٩): «ومن الناس من فرّق بين معجزات الأنبياء، وكرامات الأولياء بفروق ضعيفة؛ مثل قولهم: الكرامة يُخفيها صاحبها، أو الكرامة لا يُتحدّى بها. ومن الكرامات ما أظهرها أصحابها؛ كإظهار العلاء بن الحضرمي[1] المشي على الماء[2].

---

(١) العلاء ابن الحضرمي هو العلاء بن عبد الله الحضرمي: صحابي، من رجال الفتوح في صدر الإسلام.
أصله من حضرموت، سكن أبوه مكة، فولد بها العلاء ونشأ، وولاه رسول الله ﷺ البحرين سنة (٨هـ)، وجعل له جباية «الصدقة» وأعطاه كتاباً فيه فرائض الصدقة في الإبل والبقر والغنم والثمار والأموال، وأمره أن يأخذ الصدقة من أغنيائهم ويردها على فقرائهم.
وبعد وفاة النبي ﷺ أقره أبو بكر، ثم عمر ووجهه عمر إلى البصرة فمات في الطريق، في قرية من أرض تميم اسمها «لياس»، وقيل: مات في البحرين.
انظر سير أعلام النبلاء (١/ ٢٦٢)، والأعلام للزركلي (٤/ ٢٤٥).

(٢) عن أبي هريرة، قال: لما بعث النبي ﷺ العلاء بن الحضرمي إلى البحرين تبعته فرأيت منه ثلاث خصال لا أدري أيتهن أعجب: انتهينا إلى شاطئ البحر فقال: سموا الله واقتحموا.
فسمينا واقتحمنا فعبرنا، فما بل الماء إلا أسافل خفاف إبلنا، فلما قفلنا صرنا معه بفلاة من الارض وليس معنا ماء فشكونا إليه فصلى ركعتين ثم دعا فإذا سحابة مثل الترس ثم أرخت عزاليها فسقينا واستقينا، ومات فدفناه في الرمل، فلما سرنا غير بعيد قلنا يجيء سبع فيأكله فرجعنا فلم نره. =

وإظهار عمر مخاطبة سارية[1] على المنبر[2].

وإظهار أبي مسلم[3] لما أُلقي في النار أنّها صارت عليه برداً

= قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٣٧٦): رواه الطبراني في الثلاثة، وفيه إبراهيم بن معمر الهروي ولد إسماعيل ولم اعرفه، وبقية رجاله ثقات».

(١) هو سارية بن زنيم بن عمرو الكناني، له صحبة، كان في الجاهلية كثير الغارات، وكان سباقاً يسبق الخيل عدواً، ولاه عمر قيادة بعض الجيوش، توفي سنة (٣٠هـ).
انظر: الإصابة (٣/ ٤)، والأعلام (٣/ ٦٩).

(٢) عن عمرو بن الحارث قال: بينا عمر بن الخطاب على المنبر يخطب يوم الجمعة إذ ترك الخطبة فقال: يا سارية الجبل مرتين أو ثلاثاً ثم أقبل على خطبته فقال أولئك النظراء من أصحاب رسول الله ﷺ: لقد جن إنه لمجنون هو في خطبته إذ قال: يا سارية الجبل فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف وكان يطمئن إليه فقال: أشد ما ألومهم عليك أنك تجعل على نفسك لهم مقالاً بينا أنت تخطب إذ أنت تصيح: يا سارية الجبل أي شيء هذا؟ قال: إني والله ما ملكت ذلك رأيتهم يقاتلون عند جبل يؤتون من بين أيديهم ومن خلفهم فلم أملك أن قلت: يا سارية الجبل ليلحقوا بالجبل. فلبثوا إلى أن جاء الرسول بكتابه أن القوم لحقونا يوم الجمعة فقتلناهم من حين صلينا الصبح إلى حين حضرت الجمعة ودار حاجب الشمس فسمعنا منادياً ينادي: يا سارية الجبل مرتين فلحقنا بالجبل فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله وقتلهم فقال أولئك الذين طعنوا عليه: دعوا هذا الرجل؛ فإنه مصنوع له.
رواه أبو نعيم في دلائل النبوة (ص٢١٠)، وابن حجر في الإصابة (٣/ ٤)، وأبو جعفر الطبري في الرياض النضرة في مناقب العشرة (٢/ ١٥)، ط. مكتبة محمد نجيب (١٣٧٢)، وقال: إسناده حسن.

(٣) هو عبد الله بن ثوب (بضم ففتح) الخولاني: تابعي، فقيه عابد زاهد، نعته الذهبي بريحانة الشام، أصله من اليمن.
أدرك الجاهلية، وأسلم قبل وفاة النبي ﷺ ولم يره، فقدم المدينة في خلافة أبي بكر، وهاجر إلى الشام، وفي أكثر المصادر: وفاته بدمشق، وقبره بداريا، وكان يقال: أبو مسلم حكيم هذه الأمة.
انظر سير أعلام النبلاء (٤/ ٩)، والأعلام للزركلي (٤/ ٧٥).

وسلاماً[1]، وهذا بخلاف من يدخلها بالشياطين، فإنّه قد يُطفئها، إلّا أنّها لا تصير عليه برداً وسلاماً. وإطفاء النار مقدورٌ للإنس والجنّ.

ومنها: ما يتحدّى بها صاحبها أنّ دين الإسلام حقّ؛ كما فعل خالد بن الوليد لما شرب السُّمَّ[2]؛ وكالغلام الذي أتى الراهب، وترك الساحر، وأمر بقتل نفسه بسهمه باسم ربّه، وكان قبل ذلك قد خُرِقت له العادة فلم يتمكّنوا من قتله[3]. ومثل هذا كثير». اهـ.

---

(١) والقصة رواها الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٧/ ٢٠٠) بسنده عن شرحبيل بن مسلم الخولاني: «أن الأسود بن قيس بن ذي الحمار تنبأ باليمن فبعث إلى أبي مسلم الخولاني فأتاه فقال له أتشهد أني رسول الله قال ما أسمع قال أتشهد أن محمداً رسول الله قال نعم قال فأمر بنار عظيمة ثم ألقى أبا مسلم فيها فلم تضره فقيل للأسود بن قيس إن تنف هذا عنك أفسد عليك من اتبعك فأمره بالرحيل فقدم المدينة وقد قبض النبي ﷺ واستخلف أبو بكر فأناخ راحلته بباب المسجد ودخل المسجد فقام يصلي إلى سارية فبصر به عمر بن الخطاب فقام إليه فقال ممن الرجل فقال من أهل اليمن فقال ما فعل الذي حرقه الكذاب بالنار قال ذاك عبد الله بن ثوب قال فنشدتك بالله أنت هو قال اللهم نعم قال فاعتنقه عمر وبكى ثم ذهب به حتى أجلسه فيما بينه وبين أبي بكر الصديق فقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد ﷺ من صنع به كما صنع بإبراهيم خليل الرحمن».

(٢) رواه أحمد في فضائل الصحابة (٢/ ٨١٥ ـ ٨١٦): عن قيس قيل لسفيان سمعت خالداً رضي الله عنه يقول فقال لقد اندقت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف فلم يبق في يدي إلا صفيحة يمانية وأتى بالسم فقال ما هذا قالوا السم قال بسم الله فشربه قال المحقق إسناده صحيح (١٤٨٢هـ) حدثنا عبد الله قال حدثني أبي قثنا سفيان عن إسماعيل عن قيس ثم أتى خالد بسم فقال ما هذا قال سم فشربه».
قال محقق الكتاب: إسناده صحيح.

(٣) عن صهيب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك إني قد كبرت فابعث إلي غلاماً أعلمه السحر فبعث إليه غلاماً يعلمه فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه فشكا ذلك =

....

= إلى الراهب فقال إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل فأخذ حجراً فقال اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب أي بني أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل علي وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني فقال إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك فآمن بالله فشفاه الله فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك قال ربي قال ولك رب غيري قال ربي وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل فقال إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمئشار فوضع المئشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى فوضع المئشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله فقال للملك إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهماً من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل باسم الله رب الغلام ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم =

فوائد كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة

٣ ـ الشفاعة تنفع المؤمنين دون المشركين حتى لو كان المشرك محباً للنبي ﷺ:

(ص١٨): «وأما الشفاعة يوم القيامة، فمذهب أهل السنة والجماعة ـ وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم ـ أن له شفاعات يوم القيامة خاصة وعامة، وأنه يشفع فيمن يأذن الله له أن يشفع فيه من أمته من أهل الكبائر.

ولا ينتفع بشفاعته إلا أهل التوحيد المؤمنون دون أهل الشرك، ولو كان المشرك محباً له معظماً له لم تنقذه شفاعته من النار، وإنما ينجيه من النار التوحيد والإيمان به. ولهذا لما كان أبو طالب وغيره يحبونه ولم يقروا بالتوحيد الذي جاء به لم يمكن أن يخرجوا من النار بشفاعته ولا بغيرها[1]». اهـ.

= أخذ سهماً من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال باسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات فقال الناس آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام فأتي الملك فقيل له أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخدت وأضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها أو قيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام يا أمه اصبري فإنك على الحق».

رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام.

(١) ذكر ابن أبي العز في شرحه على العقيدة الطحاوية (٢/ ٥٦) أنواع الشفاعات فقال: =

٤ ـ من مظاهر إقرار المشركين بتوحيد الربوبية:

(ص٢٠ ـ ٢١): «والمشركون من قريش وغيرهم ـ الذين أخبر القرآن بشركهم واستحل النبي ﷺ دماءهم وأموالهم وسبى حريمهم وأوجب لهم النار ـ كانوا مقرين بأن الله وحده خلق السماوات والأرض كما قال ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [لقمان: ٢٥]، وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت: ٦١]، وقال: ﴿قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ

= **النوع الأول**: الشفاعة الأولى، وهي العظمى، الخاصة بنبينا ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، صلوات الله عليهم أجمعين. في «الصحيحين» وغيرهما عن جماعة من الصحابة، رضي الله عنهم أجمعين.

النوع الثاني والثالث من الشفاعة: شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة، وفي أقوام آخرين قد أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها.

النوع الرابع: شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم.

النوع الخامس: الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب، ويحسن أن يستشهد لهذا النوع بحديث عكاشة بن محصن، حين دعا له رسول الله ﷺ أن يجعله من السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، والحديث مخرج في «الصحيحين».

النوع السادس: الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه، كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه.

النوع السابع: شفاعته أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة.

النوع الثامن: شفاعته في أهل الكبائر من أمته، ممن دخل النار، فيخرجون منها، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث». اهـ بتصرف.

﴿كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١﴾ [المؤمنون: ٨٨ ـ ٩١].

وكان المشركون الذي جعلوا معه آلهة أخرى مقرين بأن آلهتم مخلوقة، ولكنهم يتخذونهم شفعاء ويتقربون بعبادتهم إليه كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١٨﴾ [يونس: ١٨]، وقال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾ [الزمر: ١ ـ ٣].

وكانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك.

وقال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٢٨ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٢٩ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٣٢﴾ [الروم: ٢٨ ـ ٣٢]. اهـ.

٥ ـ تفصيل رائع في مسألة سؤال الخلق واستعطائهم:

(ص٥١ ـ ٥٢): «وأصل سؤال الخلق الحاجات الدنيوية التي لا يجب عليهم فعلها ليس واجباً على السائل ولا مستحباً، بل المأمور به سؤال الله تعالى والرغبة إليه والتوكل عليه.

وسؤال الخلق في الأصل محرم، لكنه أبيح للضرورة، وتركه توكلاً على الله أفضل، قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾ [الشرح: ٧ ـ ٨] أي ارغب إلى الله تعالى لا إلى غيره.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ۝٥٩﴾ [التوبة: ٥٩]، فجعل الإيتاء لله والرسول لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] فأمرهم بإرضاء الله ورسوله.

وأما في الحَسْب فأمرهم أن يقولوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ لا [أن] يقولوا: حسبنا الله ورسوله. ويقولوا: ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩] لم يأمرهم أن يقولوا: إنا لله ورسوله راغبون، فالرغبة إلى الله وحده كما قال تعالى: في الآية الأخرى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝٥٢﴾ [النور: ٥٢] فجعل الطاعة لله والرسول، وجعل الخشية والتقوى لله وحده.

وقد قال النبي ﷺ لابن عباس: «يا غلام! إني معلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، جفَّ القلم بما أنت لاق، فلو جهدت الخليقة على أن يضرُّوك لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك، فإن استطعت أن تعمل لله بالرضا مع اليقين فافعل، فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً»[١] اهـ.

---

(١) رواه أحمد (١/٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧)، والترمذي، كتاب صفة القيامة، وقال حديث حسن صحيح.

٦ ـ الأظهر أن ذوات الأسباب من النوافل تصلى وقت النهي:

(ص٣١): «ولهذا تنازع العلماء في ذوات الأسباب فسوغها كثير منهم في هذه الأوقات، **وهو أظهر قولي العلماء**؛ لأن النهي إذا كان لسد الذريعة أبيح للمصلحة الراجحة، وفعل ذوات الأسباب يحتاج إليه في هذه الأوقات ويفوت إذا لم يفعل فيها فتفوت مصلحتها، فأبيحت لما فيها من المصلحة الراجحة بخلاف ما لا سبب له فإنه يمكن فعله في غير هذا الوقت فلا تفوت بالنهي عنه مصلحة راجحة، وفيه مفسدة توجب النهي عنه». اهـ.

٧ ـ من حلف بمحرم كالكعبة والملائكة وغيرها ثم حنث فلا كفارة عليه:

(ص٨٤ ـ ٨٥): «وقد اتفق المسلمون على أنه من حلف بالمخلوقات المحترمة أو بما يعتقد هو حرمته كالعرش والكرسي والكعبة والمسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجد النبي ﷺ والملائكة والصالحين والملوك وسيوف المجاهدين وترب الأنبياء والصالحين وأيمان السذق[1] وسراويل الفتوة وغير ذلك **لا ينعقد يمينه ولا كفارة في الحلف بذلك**». اهـ.

٨ ـ قول القائل: أسألك بالله: أي أسألك بإيمانك بالله الذي أمرك بالإحسان إلي:

(ص٩٦): «**وإذا قال السائل لغيره: أسألك بالله**. فإنما سأله بإيمانه بالله وذلك سبب لإعطاء من سأله به، فإنه سبحانه يحب الإحسان إلى الخلق، لا سيما إن كان المطلوب كف الظلم، فإنه يأمر بالعدل وينهى عن الظلم، وأمره أعظم الأسباب في حض الفاعل، فلا سبب أولى من أن يكون مقتضياً لمسببه من أمر الله تعالى». اهـ.

---

(١) السذق: فارسية معربة وهي ليلة وقود النّار يعظمها المجوس.

٩ - ليس بين الله تعالى وبين خلقه واسطة إلا الرسل في حياتهم وهمْ واسطة في التبليغ فقط:

(ص٢٣٩): «والعبادة هي لله وحده: فلا يصلى إلا لله، ولا يصام إلا لله، ولا يحج إلا إلى بيت الله، ولا تشد الرحال إلا إلى المساجد الثلاثة، لكون هذه المساجد بناها أنبياء الله بإذن الله، ولا ينذر إلا لله، ولا يحلف إلا بالله، ولا يُدْعى إلا الله، ولا يستغاث إلا بالله.

وأما ما خلقه الله سبحانه من الحيوان والنبات والمطر والسحاب وسائر المخلوقات، فلم يجعل غيره من العباد واسطة في ذلك الخلق، كما جعل الرسل واسطة في التبليغ بل يخلق ما يشاء بما يشاء من الأسباب، وليس في المخلوقات شيء يستقل بإبداع شيء، بل لابد للسبب من أسباب أخر تعاونه، ولابد من دفع المعارض عنه، وذلك لا يقدر عليه إلا الله وحده، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، بخلاف الرسالة، فإن الرسول وحده كان [واسطة] في تبليغ رسالته إلى عباده». اهـ.

١٠ - الشافع لا تجب طاعته وإن كان عظيماً بدليل حديث بريرة ومغيث رضي الله عنهما:

(ص٢٤٩ - ٢٥٠): «وأما الشافع فسائل لا تجب طاعته في الشفاعة وإن كان عظيماً، وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ سأل بريرة أن تمسك زوجها ولا تفارقه لما أعتقت، وخيرها النبي ﷺ فاختارت فراقه، وكان زوجها يحبها فجعل يبكي، فسألها النبي ﷺ أن تمسكه فقالت: أتأمرني؟ فقال: «لا! إنما أنا شافع»[1].

وإنما قالت «أتأمرني؟» وقال: «إنما أنا شافع» لما استقر عند

---

(١) رواه البخاري، كتاب الطلاق، باب شفاعة النبي ﷺ في زوج بريرة بهذا اللفظ، والحديث في مسلم دون ذكر الشفاعة.

المسلمين أن طاعة أمره واجبة بخلاف شفاعته، فإنه لايجب قبول شفاعته، ولهذا لم يلمها النبي ﷺ على ترك قبول شفاعته، فشفاعة غيره من الخلق أولى أن لايجب قبولها». اهـ.

١١ ـ الاستغاثة بالمشايخ/وتلاعب الشياطين وتصورها للمستغيث:

(ص٣٠٠ ـ ٣٠١): «وإذا تبين ما أمر الله به ورسوله، وما نهى الله عنه ورسوله، في حق أشرف الخلق وأكرمهم على الله ﷻ، وسيد ولد آدم وخاتم الرسل والنبيين، وأفضل الأولين والآخرين، وأرفع الشفعاء منزلة وأعظمهم جاهاً عند الله تبارك وتعالى، تبين أن من دونه من الأنبياء والصالحين أولى بأن لا يشرك به، ولا يُتخذ قبره وثناً يعبد، ولا يُدعى من دون الله لا في حياته ولا في مماته.

ولا يجوز لأحد أن يستغيث بأحد من المشايخ الغائبين ولا الميتين، مثل أن يقول: يا سيدي فلاناً أغثني وانصرني وادفع عني، أو أنا في حسبك. ونحو ذلك.

بل كل هذا من الشرك الذي حرم الله ورسوله، وتحريمه مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام، وهؤلاء المستغيثون بالغائبين والميتين عند قبورهم وغير قبورهم ـ لما كانوا من جنس عباد الأوثان ـ صار الشيطان يضلهم ويغويهم، كما يضل عباد الأصنام ويغويهم فتتصور الشياطين في صورة ذلك المستغاثُ به، وتخاطبهم بأشياء على سبيل المكاشفة، كما تخاطب الشياطين الكهان، وبعض ذلك صدق، لكن لابد أن يكون في ذلك ما هو كذب، بل الكذب أغلب عليه من الصدق.

وقد تقضي الشياطين بعض حاجاتهم، وتدفع عنهم بعض ما يكرهونه، فيظن أحدهم أن الشيخ هو الذي جاء من الغيب حتى فعل ذلك، أو يظن أن الله تعالى صور ملكاً على صورته فعل ذلك، ويقول أحدهم: هذا سر الشيخ وحاله! وإنما هو الشيطان تمثل على صورته ليضل المشرك به المستغيث به.

كما تدخل الشياطين في الأصنام وتكلم عابديها وتقضي بعض حوائجهم، كما كان ذلك في أصنام وتكلم عابديها وتقضي بعض حوائجهم، كما كان ذلك في أصنام مشركي العرب، وهو اليوم موجود في المشركين من الترك والهند وغيرهم.

وأعرفُ من ذلك وقائع كثيرة في أقوام استغاثوا بي وبغيري في حال غيبتنا عنهم، فرأوني أو ذاك الآخر الذي استغاثوا به قد جئنا في الهواء ورفعنا عنهم، ولما حدثوني بذلك بينتُ لهم أن ذلك إنما هو شيطان تصور بصورتي وصورة غيري من الشيوخ الذين استغاثوا بهم ليظنوا أن ذلك كرامات للشيخ فتقوى عزائمهم في الاستغاثة بالشيوخ الغائبين والميتين». اهـ.

١٢ ـ الأحوال الشيطانية/الكرامات:

(ص٣٠٢ ـ ٣٠٤): «وقد يطلب الشيطان الممثل له في صورة الإنسان أن يسجد له، أو أن يفعل به الفاحشة أو أن يأكل الميتة ويشرب الخمر، أو أن يقرّب لهم الميتة، وأكثرهم لا يعرفون ذلك، بل يظنون أن من يخاطبهم إما ملائكة وإما رجال من الجن يسمونهم رجال الغيب، ويظنون أن رجال الغيب أولياء الله غائبون عن أبصار الناس.

وأولئك جن تمثلت بصور الإنس أو رؤيت في غير صور الإنس، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن: ٦]

كان الإنس إذا نزل أحدهم بواد يخاف أهله قال: أعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهائه، وكانت الإنس تستعيذ بالجن فصار ذلك سبباً لطغيان الجن، وقالت: الإنس تستعيذ بنا!.

وكذلك الرقى والعزائم الأعجمية هي تتضمن أسماء رجال من الجن يُدعون ويُستغاث بهم ويُقسم عليهم بمن يعظمونه، فتطيعهم الشياطين بسبب ذلك في بعض الأمور.

وهذا من جنس السحر والشرك قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة: ١٠٢].

وكثير من هؤلاء يطير في الهواء وتكون الشياطين قد حملته وتذهب به إلى مكة وغيرها، ويكون مع ذلك زنديقاً يجحد الصلاة وغيرها مما فرض الله ورسوله، ويستحل المحارم التي حرمها الله ورسوله.

وإنما يقترن به أولئك الشياطين لما فيه من الكفر والفسوق والعصيان، حتى إذا آمن بالله ورسوله وتاب والتزم طاعة الله ورسوله، فارقته تلك الشياطين، وذهبت تلك الأحوال الشيطانية من الإخبارات والتأثيرات.

وأنا أعرف من هؤلاء عدداً كثيراً بالشام ومصر والحجاز واليمن، وأما الجزيرة والعراق وخراسان والروم ففيها من هذا الجنس أكثر مما بالشام وغيرها، وبلاد الكفار من المشركين وأهل الكتاب أعظم.

وإنما ظهرت هذه الأحوال الشيطانية التي أسبابها الكفر والفسوق والعصيان بحسب ظهور أسبابها، فحيث قوي الإيمان والتوحيد ونور الفرقان والإيمان وظهرت آثار النبوة والرسالة ضعفت هذه الأحوال الشيطانية.

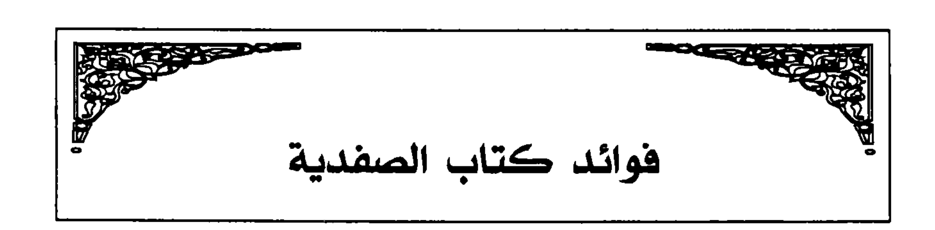
وحيث ظهر الكفر والفسوق والعصيان قويت هذه الأحوال الشيطانية، والشخص الواحد الذي يجتمع فيه هذا وهذا الذي تكون في مادة تمدّه للإيمان ومادة تمدُّه للنفاق يكون فيه من هذا الحال وهذا الحال.

والمشركون الذين لم يدخلوا في الإسلام مثل البخشية والطونية والبُدّى ونحو ذلك من علماء المشركين وشيوخهم الذين يكونون للكفار من الترك والهند والخُطا وغيرهم تكون الأحوال الشيطانية فيهم أكثر، ويصعد أحدهم في الهواء ويحدثهم بأمور غائبة، ويبقى الدف الذي يغني لهم به يمشي في الهواء، ويضرب رأس أحدهم إذا خرج عن طريقهم، ولا يرون أحداً يضرب له، ويطوف الإناء الذي يشربون منه عليهم ولا يرون من يحمله، ويكون أحدهم في مكان فمن نزل منهم عنده ضيفه طعاماً يكفيهم، ويأتيهم بألوان مختلفة.

وذلك من الشياطين تأتيه من تلك المدينة القريبة منه أو من غيرها تسرقه وتأتي به.

وهذه الأمور كثيرة عند من يكون مشركاً أو ناقص الإيمان من الترك وغيرهم، وعند التتار من هذا أنواع كثيرة».اهـ.





فوائد كتاب الصفدية

١٣ ـ الرد على من نفى الصفات فراراً من التشبيه والتجسيم من سبعة أوجه:

(١/ ٨٨ ـ ٩٦): «والإنسان قد يعتقد صحة قضية من القضايا وهي فاسدة فيحتاج أن يعتقد لوازمها فتكثر اعتقاداته الفاسدة ومن هذا الباب دخلت القرامطة الباطنية[1] والمتفلسفة[2] ونحوهم على طوائف المسلمين

---

(١) القرامطة نسبة إلى حمدان قرمط، زعيم هذه الفرقة، وقد خرجوا على المسلمين سنة ٢٨١، في خلافة المعتضد، وحكموا البحرين (وتسمى حالياً الإحساء)، وقطعوا الطريق على الحجاج، وأفسدوا في الأرض ونهبوا وأسالوا الدماء، واستحلوا البيت الحرام، واقتلعوا الحجر الأسود وذهبوا به إلى البحرين.

وهذه الفرقة من الفرق الباطنية التي جحدت الشرائع، واستباحت المحارم، وأنكرت الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، وتأولوا أحكام الشريعة والعبادات المفروضة بتأويلات باطلة.

انظر: الفرق بين الفرق (ص٢٦٦)، التبصير في الدين (ص٨٣)، البرهان في معرفة أهل الأديان (ص٨٠ ـ ٨١).

(٢) نسبة إلى الفلسفة أي المثرون بآراء الفلاسفة، وفي الأصل معناها: محبة الحكمة، وهي كلمة يونانية مكونة من قطعتين: فيلا: أي محب، وسوفيا: أي الحكمة.

كان المراد بالفلسفة قديماً: تفسير المعرفة عقلياً، وفي القرون الوسطى أصبح المراد بالفلسفة الوقوف على حقائق الأشياء، نظرية كانت أو عملية، وأصبحت منذ القرن التاسع عشر تقتصر على المنطق وعلم الجمال وما بعد الطبيعة.

هذا حسب مفهوم الفلاسفة، ولكن في الحقيقة أصبح هذا الإسم يطلق على أتباع أرسطو الذين هذب ابن سينا طريقتهم، ومن آراء معظميهم: القول بقدم =

فإن هؤلاء قالوا للمعتزلة[1] ألستم قد وافقتمونا على نفي الصفات حذراً من التشبيه والتجسيم فقالوا نعم فقالوا وهذا المحذور يلزمكم في إثبات أسماء الله تعالى له فإذا قلتم هو حي عليم قدير كان في هذا تشبيه له بغيره ممن هو حي عليم قدير وكان في هذا من التجسيم كما في إثبات الحياة والعلم والقدرة له لأنه لا يعرف مسمى بهذه الأسماء إلا جسم كما لا يعرف موصوفاً بهذه الصفات إلا جسم فأخذوا ينفون أسماء الله الحسنى ويقولون ليس بموجود ولا حي ولا عليم ولا قدير ثم اقتصر بعضهم على نفي الإثبات فقال لهم الصنف الآخر إذا قلتم ليس بموجود ولا بحي ولا عليم ولا قدير فقد شبهتموه بالمعدوم كما أن في الإثبات تشبيهاً بالموجود فيجب أن يقال ليس بموجود ولا معدوم ولا حي ولا

= العالم، وإنكار النبوات، وإنكار البعث الجسماني، أما موضوع الفلسفة فهو موضع خلاف، فمن قائل: إن دائرة الفلسفة تتسع فتشمل كل علم أو فرع من فروع العلم، ، إلى قائل: بأنها تخص فقط بالبحث فيما وراء الطبيعة، أو ما يتصل به كالمنطق.

انظر إغاثة اللهفان (٢/ ٢٥٦ ـ ٢٦٨)، الفصل لابن حزم (١/ ٩٤)، مقدمة ابن خلدون (ص٥١٤)، المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين (ص١٤٥)، المعجم الفلسفي لجميل صليبا (ص١٣٨ ـ ١٣٩).

(١) المعتزلة: فرقة ظهرت أول القرن الثاني الهجري، وبلغت شأوها في العصر العباسي الأول، يرجع اسمها إلى: اعتزال إمامها واصل بن عطاء، مجلس الحسن البصري، لقول واصل: إن مرتكب الكبيرة ليس كافراً ولا مؤمناً، بل هو في منزلة بين المنزلتين، ثم تبعه عمر بن عبيد، ثم صار لهما أنصار، والمعتزلة يقدمون العقل على النقل، ولهم أصول خمسة يقوم عليها مذهبهم هي: العدل، والتوحيد، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولهم في هذه الأصول معان عندهم خالفوا فيها موجب الشريعة وجماهير المسلمين.

انظر الفرق بين الفرق (ص١١٧ ـ ١٢٠)، الملل والنحل (١/ ٤٦ ـ ٤٩)، الخطط للمقريزي (٢/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦).

ميت ولا عالم ولا جاهل وهؤلاء يقولون في أنفسهم أنهم من أذكى الناس وأفضلهم وهم من أجهل الناس وأضلهم وأكفرهم فإنه يقال لهم أولا سلبتم النقيضين والنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان فكما يمتنع اجتماع النقيضين يمتنع ارتفاع النقيضين وكما يمتنع أن يقال في شيء واحد أنه موجود معدوم يمتنع أن يقال ليس بموجود ولا معدوم وأما إثبات سلب الحياة والموت والعلم والجهل والكلام والخرس فقد يقولون أن هذين متقابلان تقابل العدم والملكة لا تقابل السلب والإيجاب ويفرقون بين هذا وبين هذا بأن سلب الشيء عما من شأنه أن يكون قابلاً له هو العدم وتقابله الملكة كسلب العلم والسمع والبصر عن الحيوان بخلاف سلب ذلك عن الجماد قالوا فالحيوان يقال له أعمى أصم أبكم إذا عدم عنه ما من شأنه أن يقبله بخلاف الجماد فإنه لا يقال له أعمى أصم أبكم لأنه لا يقبل ذلك وحينئذ فلا يلزم من سلب الحياة والعلم والقدرة والكلام عن واجب الوجود أن يكون موصوفاً بما يقابل ذلك من الموت والجهل والعجز والخرس إلا أن يكون قابلاً لذلك وهذا ممنوع أو غير معلوم وهذه الشبهة قد أضلت خلقاً من أذكياء المتأخرين حتى الآمدي[1] وأمثاله وهي باطلة من أوجه:

أحدها: أن يقال إما أن يكون قابلاً للاتصاف بصفات الكمال من الحياة والعلم والقدرة ونحو ذلك وإما ألا يكون قابلاً لذلك فإن لم يكن قابلاً لذلك كان ذلك أعظم في النقص من كونه قابلاً لذلك غير متصف به فإن الجماد أنقص من الحيوان الأعمى وإذا كان اتصافه بكونه أعمى

---

(١) هو أبو الحسن سيف الدين علي بن محمد سالم التغلبي الآمدي (٥٥١ ـ ٦٣١هـ). أصولي متكلم من تصانيفه. الإحكام في أصول الأحكام. ومختصره منتهى السول وأبكار الأفكار في علم الكلام. انظر: طبقات الشافعية، للسبكي (١٢٩/٥)، ولسان الميزان، لابن حجر (١٣٤/٣).

أصم أبكم ممتنعاً مع كون المتصف بذلك أكمل ممن لا يقبل الاتصاف بهذا وبضده علم أن كونه غير قابل للاتصاف بذلك أعظم في نقصه وإذا كان ذلك ممتنعاً فهذا أعظم امتناعاً فامتنع أن يقال أنه غير قابل للاتصاف بصفات الكمال وإذا كان قابلاً للاتصاف بذلك تقابلاً تقابل العدم والملكة باصطلاحهم فإن لم يتصف بالحياة والعلم والقدرة لزم اتصافه بالموت والعجز والجهل وهذا ممتنع بالضرورة فنقيضه حق.

الوجه الثاني: أن يقال كل كمال ثبت للمخلوق فالخالق أحق به وكل نقص تنزه عنه مخلوق فالخالق أحق بتنزيهه عنه لأن الموجود الواجب القديم أكمل من الموجود الممكن والمحدث ولأن كل كمال في المفعول المخلوق هو من الفاعل الخالق وهم يقولون كمال المعلول من كمال العلة فيمتنع وجود كمال في المخلوق إلا من الخالق فالخالق أحق بذلك الكمال ومن المعلوم بضرورة العقل أن المعدوم لا يبدع موجوداً والناقص لا يبدع ما هو أكمل منه فإن النقص أمور عدمية ولهذا لا يوصف الرب من الأمور السلبية إلا بما يتضمن أموراً وجودية وإلا فالعدم المحض لا كمال فيه كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فنزه نفسه عن السنة والنوم لأن ذلك يتضمن كمال الحياة والقيومية وكذلك قوله ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ﴾ [ق: ٣٨]، يتضمن كمال القدرة وقوله ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سبأ: ٣]، يتضمن كمال العلم وكذلك قوله ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فمعناه على قول الجمهور لا تحيط به ليس معناه لا تراه فإن نفي الرؤية يشاركه فيه المعدوم فليس هو صفة مدح بخلاف كونه لا يحاط به ولا يدرك فإن هذا يقتضي أنه من عظمته لا تدركه الأبصار وذلك يقتضي كمالاً عظيماً تعجز معه الأبصار عن الإحاطة، فالآية

دالة على إثبات رؤيته ونفي الإحاطة به نقيض ما تظنه الجهمية[1] من أنها دالة على نفي رؤيته.

الوجه الثالث: أن يقال الكمال الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه الممكن للموجود إما أن يكون ممكناً للواجب وإما أن يكون ممتنعاً عليه فإن كان ممتنعاً عليه لزم أن يكون الموجود غير قابل للكمال فإن الموجود إما واجب وإما ممكن والواجب إذا لم يقبل الكمال فالممكن أولى ونحن قد ذكرنا الكمال الممكن للموجود الذي لا نقص فيه فيمتنع أن يكون الكمال الممكن للموجود غير ممكن للموجود وإذا كان ذلك ممكناً له فإما أن يكون لازماً أو يكون جائزاً، فإن كان لازماً له ثبت أن الكمال الممكن للموجود لازم للقديم تعالى واجب له وهو المطلوب وإن كان جائزاً كان مفتقراً في حصوله إلى غيره وحينئذ فذلك الغير أكمل منه لأن معطي الكمال أكمل من الآخذ له وذلك المعطي إن كان مخلوقاً له لزم أن يكون المخلوق أكمل من الخالق وأيضاً فشرط إعطائه الكمال اتصافه بصفات الكمال والكمال إنما يستفيده من الكامل فيمتنع أن يكون معطياً له لئلا يلزم الدور في الفاعلين والعلل الفاعلة فإنه ممتنع بالضرورة واتفاق العقلاء.

---

(١) الجهمية: هم أتباع الجهم بن صفوان وهم من الجبرية الغلاة الذين يقولون: أن الإنسان مجبور، لا اختيار له ولا إرادة، وكذلك ينكرون الأسماء والصفات فهم معطلة، ويقولون بفناء الجنة والنار. ولفظ الجهمية يطلق أحياناً بمعنى عام يقصد به نفاة الصفات عامة، ويطلق أحياناً بمعنى خاص ويقصد به أتباع الجهم. وقد أخرج كثير من العلماء الجهمية من فرق المسلمين ولا يعدونها منها، كابن المبارك وغيره.
انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٧٩٤)، مقالات الإسلاميين (ص٢٧٩)، الفرق بين الفرق (ص١٩٩) الملل والنحل (١/ ٨٦)، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (ص٣٤)، تاريخ الجهمية والمعتزلة (ص٥٣)، درء تعارض العقل والنقل (١/ ٨).

وإن كان الغير ليس مخلوقاً له كان واجب الوجود بنفسه وحينئذ فإن كان متصفاً بصفات الكمال بنفسه فهو الرب الخالق والأول مفعول له ليس له من نفسه صفات الكمال فهو عبد لا رب وإن لم يكن متصفاً بصفات الكمال بنفسه بل هذا يستفيد الكمال من هذا وهذا يستفيده من هذا كان هذا دوراً ممتنعاً وهذا من أعظم ما يحتج به على توحيد الربوبية وأنه يمتنع أن يكون للعالم صانعان فإن الصانعين إما أن يكون كل منهما فاعلاً لجميع العالم وهذا ممتنع بالضرورة، فإنه إذا كان هذا فاعلا للجميع لم يكن الآخر فاعلاً لشيء منه فضلاً عن أن يكون فاعلاً لجميعه فلو كان هذا فاعلاً لجميعه وهذا فاعلاً لجميعه كان كل منهما فاعلاً غير فاعل وإن كانا متشاركين فإن كان كل منهما قادراً حين الانفراد لزم امتياز مفعول كل منهما عن الآخر فذهب كل إله بما خلق ولهذا كل مشاركين فلا بد أن يكون فعل كل منهما مميزاً عن الآخر وأيضاً فإذا كان كل منهما قادراً لزم أن يقدر أحدهما على فعل العالم حين قدرة الآخرة عليه فيلزم كون كل منهما قادراً على فعله كله حال قدرة الآخر على فعله كله وهذا ممتنع كما تقدم فامتنع أن يكون أحدهما قادراً على فعله حال قدرة الآخر على فعله كما هو المعروف في القادرين على تحريك شيء ولا يقدر أحدهما على تحريكه إلا حال ما لا يكون الآخر محركاً له فإذن لا يكون أحدهما قادراً إلا عند تمكين الآخر له فلا يكون أحدهما قادراً إلا بأقدار الآخر له فلا يكون قادراً حال الانفراد وأيضاً فإذا كان كل منهما قادراً حال الانفراد أمكن أن يفعل ضد مفعول الآخر وأن يريد خلاف مراده مثل أن يريد هذا تحريك جسم والآخر تسكينه فيمتنع وجود المرادين جميعاً لامتناع اجتماع الضدين فيلزم تمانعهما فلا يكون واحد منهما قادراً فثبت أنه يمتنع كون كل منهما قادراً حين الانفراد وإن لم يكن واحد منهما قادراً إلا عند الاجتماع كان كل منهما مؤثراً في جعل الآخر قادراً فلا يكون هذا قادراً إلا بأقدار الآخر له ولا هذا قادراً إلا

بأقدار الآخر له فيلزم كون كل منهما مؤثراً في الآخر وهذا هو الدور في الفاعلين والعلل وهو ممتنع بالضرورة واتفاق العقلاء من وجوه كثيرة فإن كون الشيء فاعلاً لنفسه ممتنع فكيف يكون فاعلاً لفاعله ولأن الفاعل متقدم بذاته على المفعول فيلزم تقدم هذا بذاته على هذا وهذا بذاته على هذا فيلزم تقدم الشيء على نفسه بدرجتين والدور كما هو ممتنع في المؤثر فهو ممتنع في تمام كونه مؤثراً كما أن التسلسل(١) لما امتنع في المؤثر امتنع في تمام كونه مؤثراً.

وهذا بخلاف الدور المعني في الآثار فإنه جائز باتفاق العقلاء وأما التسلسل في الآثار ففيه نزاع مشهور وهذه الأمور كلها مبسوطة في غير هذا الموضع.

والمقصود هنا أن الكمال الذي لا نقص فيه الممكن للموجود هو واجب لواجب الوجود لازم له لا يجوز أن يكون ممتنعاً عليه مع كونه ممكناً للموجود فلا يجوز أن يكون ممكن الوجود والعدم لأنه حينئذ يفتقر في اتصافه به إلى غيره لأنه إما أن يكون كل منهما معطياً للآخر الكمال وإما أن يكون هذا الثاني هو المعطي فإن كان هذا فذلك الغير المتصف

(١) قال الجرجاني: «التسلسل هو ترتيب أمور غير متناهية».اهـ.
وسمي بذلك أخذاً من السلسلة فهي قابلة لزيادة الحِلق إلى ما لا نهاية، فالمناسبة بينهما عدم التناهي بين طرفيهما، ففي السلسة مبدؤها ومنتهاها، وأما التسلسل فطرفاه الزمن الماضي والمستقبل.
ويختلف مراد أهل الكلام بالتسلسل باختلاف سياق الكلام، وباختلاف المتكلمين، فقد يكون مرادهم نفي قدم اتصاف الله ببعض صفاته، وقد يكون مرادهم نفي دوام أفعال الله ومفعولاته، وقد يكون مرادهم نفي أبدية الجنة والنار، وقد يكون غير ذلك.
انظر مصطلحات في كتب العقائد، للشيخ محمد بن إبراهيم الحمد (ص٧٢ ـ ٧٣).

بصفات الكمال هو حينئذ الرب الكامل المعطي لغيره الكمال وإن كان الأول لزم كون كل منهما معطياً للآخر صفات الكمال وهو يقتضي كون كل منهما مؤثراً في الآخر مثل أن يكون كل منهما فاعلاً للآخر عالماً قادراً حياً وذلك دور ممتنع كما تبين فثبت أن اتصافه بصفات الكمال أمر لازم له يمتنع زواله عنه وهو المطلوب.

الوجه الرابع: أن يقال لهؤلاء قولكم أن هذين يتقابلان تقابل العدم والملكة اصطلاح اصطلحتموه وإلا فكل ما لا حياة فيه يسمى مواتاً وميتاً قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل: ٢٠]، فسمى الأصنام الجامدات أمواتاً وتسمى الأرض مواتاً كما قال النبي ﷺ: «**من أحيا أرضاً ميتة فهي له**»[1].

الوجه الخامس: أن يقال كل عين من الأعيان تقبل الحياة فإن الله قادر على خلق الحياة وتوابعها في كل شيء.

الوجه السادس: أن يقال هب أنكم لا تسمونه ميتاً ولا جاهلاً ولا عاجزاً لكن يجب أن يقال ليس بحي ولا عالم ولا قادر ونفس سلب هذه الصفات فيه من النقص ما في قولنا ميت وجاهل وعاجز وزيادة ولهذا كان نقص الجماد أعظم من نقص الأعمى فكل محذور في عدم الملكة هو ثابت في السلب العام وزيادة.

الوجه السابع: أن يقال لهؤلاء النفاة أنتم نفيتم هذه الأسماء فراراً

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في إحياء الموات، والترمذي، كتاب الاحكام، باب ما ذكر في إحياء الأرض، من حديث سعيد بن زيد متصلاً، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.
ورواه أبو داود والترمذي من حديث يحيى بن عروة عن أبيه مرسلاً.
ورواه الترمذي أيضاً في كتاب الأحكام، باب ما ذكر في إحياء الأرض، من حديث جابر بن عبد الله ﷺ، وقال: «حديث حسن صحيح». اهـ.

من التشبيه فإن اقتصرتم على نفي الأثبات شبهتموه بالمعدوم وإن نفيتم الأثبات والنفي جميعاً فقلتم ليس بموجود ولا معدوم شبهتموه بالممتنع فأنتم فررتم من تشبيهه بالحي الكامل فشبهتموه بالحي الناقص ثم شبهتموه بالمعدوم ثم شبهتموه بالممتنع فكنتم شراً من المستجير من الرمضاء بالنار وهذا لازم لكل من نفى شيئاً مما وصف الله به نفسه لا يفر من محذور إلا وقع فيما هو مثله أو شر منه مع تكذيبه بخبر الله وسلبه صفات الكمال الثابتة لله». اهـ.

١٤ ـ التركيب خمسة أنواع عند الفلاسفة:

(١/ ١٠٤ ـ ١٠٥): «وبالغت ملاحدة الفلاسفة في نفي الصفات بنفي مسمى التركيب فقالوا التركيب خمسة أنواع وكلها يجب نفيها عن الله:

الأول: التركيب من الوجود والماهية فلا يكون له حقيقة سوى الوجود المطلق بشرط الإطلاق لأنه لو كان له حقيقة مغايرة لذلك لكانت موصوفة بالوجود وحينئذ فيكون الوجود الواجب لازماً ومعلولاً لتلك الحقيقة فيكون الواجب معلولاً.

الثاني: التركيب من العام والخاص كتركيب النوع من الجنس والفصل وهذا يجب نفيه.

الثالث: التركيب من الذات والصفات وهذا يجب نفيه وهذه الثلاث تركيبات في الكيفية.

الرابع: التركيب في الكم وهو تركيب الجسم من أبعاضه إما من الجواهر المفردة وهو التركيب الحسي وأما من المادة والصورة وهو التركيب العقلي وهذان النوعان هما الرابع والخامس». اهـ.

١٥ ـ تعريف الذات، وهل يمكن أن تنفك الذات عن الصفات؟

(١/ ١٠٩): «ومن قال من أهل الإثبات أن له صفات زائدة على

ذاته فحقيقة قوله أنها زائدة على ما أثبته المثبت من الذات حيث أقر بذات ولم يقر بصفاتها وإلا ففي الخارج ليس هناك ذات منفكة عن صفات حتى يقال أن الصفات زائدة عليها بل لفظ الذات في الأصل تأنيث ذو كقوله ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١]، وقوله ﴿عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ وهي تستلزم الإضافة ولكن المتكلمون قطعوه عن الإضافة وعرفوه فقالوا الذات وحقيقته التي لها صفات فحيث قيل لفظ الذات كان مستلزماً للصفات ويستحيل وجود ذات منفكة عن الصفات في الخارج وفي العقل وفي اللغة ومن قدر ذاتاً بلا صفات فهو تقدير محال كما يقدر سواد ليس بلون وعلم بلا عالم وعالم بلا علم ونحو ذلك من الأمور الممتنعة وهذه المعاني مبسوطة في غير هذا الموضع». اهـ.

١٦ ـ الرسل جاءوا بنفي مجمل وإثبات مفصل:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رده على أرباب وحدة الوجود (١/١١٦ ـ ١١٧):

«والرسل عليهم صلوات الله جاءوا بإثبات مفصل ونفي مجمل وهؤلاء ناقضوهم جاءوا بنفي مفصل وإثبات مجمل فإن الرسل أخبرت كما أخبر الله في كتابه الذي بعث به رسوله أنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وأنه حكيم عزيز غفور ودود وأنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش وأنه كلم موسى تكليماً وتجلى للجبل فجعله دكاً وأنه أنزل على عبده الكتاب إلى غير ذلك من أسمائه وصفاته وقال في النفي والتنزيه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وهؤلاء الملاحدة[١] جاءوا بنفي مفصل وإثبات مجمل فقالوا

---

(١) الملاحدة: الإلحاد مأخوذ من اللحد وهو الميل، لحد وألحد بمعنى مال، والإلحاد يكون: في أسماء الله وهو أنواع، ويكون في آيات الله الكونية والشرعية وهو أنواع أيضاً، ويطلق لفظ الملاحدة على الذين ينكرون وجود الله، أو ينكرون البعث والنشور. =

في النفي ليس بكذا ولا كذا ولا كذا فلا يقرب من شيء ولا يقرب منه شيء ولا يرى لا في الدنيا ولا في الآخرة ولا له كلام يقوم به ولا له حياة ولا علم ولا قدرة ولا غير ذلك ولا يشار إليه ولا يتعين ولا هو مباين للعالم ولا حال فيه ولا داخلة ولا خارجة إلى أمثال العبارات السلبية التي لا تنطبق إلا على المعدوم ثم قالوا في الإثبات هو وجود مطلق أو وجود مقيد بالأمور السلبية وقالوا لا نقول موجود ولا معدوم أو قالوا هو لا موجود ولا معدوم فتارة يرفعون النقيضين وتارة يمتنعون من إثبات أحد النقيضين ثم تارة يسلكون هذا المسلك في نفي الموجود وتارة فيما يوصف به الموجود من الحياة والعلم والقدرة والكلام وسائر الصفات فنفوا الحقيقة وصاروا يعبرون عن المعاني الثبوتية بأنها تركيب كما تقدم». اهـ.

١٧ ـ الرد على القائلين بقدم العالم من سبعة أوجه:

(١/ ١٣٠ ـ ١٣٤): «والمقصود هنا بيان ما ذكرناه من الدليل على حدوث كل ما سوى الله وأن حقيقة قولهم يستلزم أن لا يكون للحوادث محدث أصلاً لامتناع صدور الحوادث عن علة تامة أزلية وأن كل محدث سواء سمي معلولاً أو مفعولاً لا بد حين وجوده من وجود جميع ما به يحدث فإذا سمي معلولاً فلا بد من وجود العلة التامة عند وجوده وإذا كانت قديمة وتأثيرها موقوف على شرائط فلا بد من حصول الشروط عند حدوثه فلا يكفي وجودها قبل حدوثه كما يقولون لأن العلة التامة يجب مقارنة معلولها لها ومقارنتها لمعلولها فلا يكون المعلول موجوداً إلا مع وجود العلة التامة بجميع أجزائها إذ لو كان شيء من شروطها معدوماً قد وجد قبل حدوث المعلول لكانت العلة سابقة على المعلول والمعلول

= انظر: القاموس (ص٤٠٤)، مادة: (لحد)، القول المفيد على كتاب التوحيد ـ لابن عثيمين (٣/ ٧٦ ـ ٨١).

متأخر عنها وهذا ممتنع في العلة التامة وكذلك الفاعل القادر لا بد من وجود قدرته وإرادته وسائر ما يعتبر في فعله أن يكون موجوداً عند حداث المحدث فهذان وجهان.

وأما حجتهم المذكورة على قدم العالم فجوابها من وجوه **أحدها** أن يقال: دوام الحوادث إما أن يكون ممتنعاً وإما أن يكون ممكناً فإن كان ممتنعاً بطل قولهم وعلم أن الحوادث لها ابتداء، وإن كان ممكناً أمكن أن تكون هذه الأفلاك حادثة مسبوقة بحوادث قبلها كما أخبرت بذلك الرسل. فإن الله تعالى أخبر أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء[1] وعلى التقديرين فلا يلزم قدم العالم واعلم أنه ليس لهم حجة صحيحة على قدم العالم أصلاً، بل غاية ما يقررون أنه لابد من دوام فعل الفاعل فبتقدير أن يكون فعله دائماً بذاته شيئاً بعد شيء يبطل قولهم وبتقدير أن يكون كل مفعول محدثاً وهو مسبوق مفعول محدث يبطل قولهم.

الوجه الثاني: أن يقال هذا بعينه يبطل قولكم بأن المؤثر إن جاز تأخر أثره عنه أمكن حدوث العالم وتأخر الفعل عن الفاعل وإن لم يجز تأخر أثره عنه لزم عدم الحوادث أو قدمها أو حدوثها بلا محدث والكل باطل فعلم أن قولهم بمؤثر لا يتأخر عنه الأثر باطل.

الوجه الثالث: أن يقال ترجيح الفاعل لأحد طرفي الممكن على الآخر إما أن يكون ممكناً وإما أن لا يكون. فإن كان ممكناً أمكن تأخر العالم وأن القادر المختار يرجح حدوثه بلا مرجح، وإن قيل إن الفاعل لا يمكنه ذلك امتنع كون الموجب بالذات يرجح شيئا على شيء بلا

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝٧﴾ [هود: ٧].

مرجح، ومعلوم أن العالم له قدر مخصوص وصفات مخصوصة وحوادث متعاقبة كلها ممكنة فترجيحها على غيرها من الممكنات لا يكون بمجرد وجود مطلق بسيط نسبته إلى جميع الممكنات نسبة واحدة.

الوجه الرابع: أن يقال القديم إما أن يجوز قيام الحوادث به وإما أن لا يجوز. فإن لم يجز بطل قولهم بقدم العالم الذي قامت به الحوادث والأفلاك قامت بها الحوادث، وإن جاز قيام الحوادث به أمكن أن يقوم بالقديم الواجب بذاته حوادث لا تتناهى ويكون منها ما هو شرط في حدوث العالم كما قالوا إن حركات الأفلاك شرط في حدوث الحوادث السفلية.

الوجه الخامس: أن يقال مبنى حجتهم على امتناع ترجيح بلا مرجح تام وامتناع التسلسل وهم قائلون بالأمرين فإنهم يقولون بتسلسل الحوادث ويقولون إن الحوادث حدثت بلا مجرح تام وإذا قالوا نحن رددنا على من أثبت ذاتاً معطلة عن الفعل فعلت بعد أن لم تكن فاعلة قيل لهم هذا قول طوائف من أهل الكلام ليس هذا القول منصوصاً عن الأنبياء لا في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن ولا يلزم من بطلان هذا القول قدم العالم ومخالفة ما أخبرت به الرسل بل نقول إن كان هذا القول ممكناً بطل ردكم له وإن كان ممتنعاً لم يلزم إلا دوام فعل الفاعل لا أزلية هذه الأفلاك ولا أزلية شيء بعينه من الممكنات.

الوجه السادس: أن يقال قولكم أشد استحالة من هذا القول فإن هؤلاء نسبوا جميع الحوادث إلى الفاعل القديم الأزلي وقالوا أنه فعل بعد أن لم يكن فاعلاً فأثبتوا للحوادث فاعلاً ولم يثبتوا سبباً حادثاً وأنتم جعلتم الحوادث تحدث بلا فاعل أصلاً لأن الفاعل القديم الواجب عندكم يلزمه مفعوله الذي هو معلولة وموجبه ومقتضاه فلا يتأخر عنه فلا يجوز أن يحدث عنه شيء فإذن هذه الحوادث لم تحدث عنه فتضمن

قولكم أن الحوادث لا محدث لها وهذا أعظم فساداً من قول من جعل لها محدثاً أحدثها من غير سبب حادث.

الوجه السابع: أن يقال كل ما تذكرونه من الشبه على نفي حدوث هذا العالم يلزمكم مثله في حدوث كل حادث مثل قولكم أن الفاعل لا بد له من غرض وقولكم أن التأثير إن كان قديماً لزم قدم الأثر وأمثال ذلك وإنما وقع التلبيس منكم أنكم أخذتم تحتجون على قدم الأفلاك أو مواد الأفلاك بحجج ليس فيها ما يقتضي ذلك بل إما أن تقتضي الحجة نفي الفعل والإحداث بالكلية فيعلم فسادها بالضرورة والاتفاق وإما أن تقتضي أن كل حادث مسبوق بحادث وهذا لا يدل على قدم هذا العالم بل على أن الرب لم يزل فاعلاً إما أفعالاً تقوم بنفسه وإما مفعولات منفصلة تحدث شيئاً بعد شيء وليس في واحد من هذين ما يقتضي صحة قولكم بل كل منهما يناقض قولكم وغايتكم أن تفسدوا قول بعض أهل الكلام أو حجتهم لكن ليس في هذا تصحيح لقولكم ولا إبطال لما أخبرت به الرسل صلوات الله عليهم أجمعين». اهـ.

١٨ ـ الساحر لا يستطيع أن يقلب الجماد إلى متحرك:

(١/ ١٣٧ ـ ١٣٨): «ومعلوم أن معجزات الأنبياء خارجة عن القوانين الطبيعية مثال ذلك انقلاب العصا ثعباناً ثم ابتلاع الثعبان ما هنالك من العصي والحبال فإن هذا خارج عن قوى النفس والطبيعية لأن الخشب لا يقبل أن يصير حيواناً أصلاً ولا يمكن في القوى الطبيعية أن عصا تصير حية لا بقوى نفس ولا بسحر ولا غير ذلك بل الساحر غايته أن يتصرف في الأعراض بفعل ما يحدث عنه الأمراض والقتل ونحو ذلك مما يقدر عليه سائر الآدميين فإن الإنسان يمكنه أن يضرب غيره حتى يمرضه أو يقتله.

فالساحر والعائن وغيرهما ممن يتصرف بقوى الأنفس يفعل في

المنفصل ما يفعله القادر في المتصل فهذا من أفعال العباد المعروفة المقدروة. وأما قلب الأعيان إلى ما ليس في طبعها الانقلاب إليه كمصير الخشب حيواناً حساساً متحركاً بالإرادة يبلغ عصياً وحبالاً ولا يتغير فليس هذا من جنس مقدور البشر لا معتاداً ولا نادراً ولا يحصل بقوى نفس أصلاً؛ ولهذا لما رأى سحرة فرعون ذلك علموا أنه خارج عن طريقة السحر ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الشعراء: ٤٦ ـ ٤٨] وهذه الحادثة الخارقة للعادة فيها إثبات الصانع وإثبات نبوة أنبيائه فإن حدوث هذا الحادث على هذا الوجه في مثل ذلك المقام يوجب علماً ضرورياً أنه من القادر المختار لتصديق موسى ونصره على السحرة كما قال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٧ ـ ٦٩].

وكذلك إخراج صالح الناقة من هضبة من الهضاب أمر خارج عن قوى النفوس وغيرها، ولهذا كان أئمة هؤلاء المتفلسفة يكذبون بهذه المعجزات، وربما جعلوها مثالاً، فقالوا: أنه ألقى عصا العلم فابتلعت حبال الجهل وعصية ونحو ذلك، كما يغلب الرجل الرجل بحجته». اهـ.

١٩ ـ حقيقة السحر ليس مجرد قوى نفسانية:

قال رحمه الله تعالى في سياق رده على منكري خوارق العادات من المعجزات والكرامات بقولهم إن أسبابها قوى نفسانية فقال:

(١/ ١٧١): «ومما يبين جهلهم في حصرهم وأن ما ذكروه من أن أسباب المعجزات والكرامات والسحر قوى نفسانية أنهم مخطئون في فاعل السحر فخطؤهم في فاعل المعجزات والكرامات أولى وأعظم.

وذلك أن السحر ليس هو مجرد قوى النفس كما ذكره باتفاق أهل المعرفة بالسحر بل السحرة مستعينون بأرواح مقارنة لهم وكتب السحر

الموروثة الكشدانيين(١) والهند(٢) واليونانيين(٣) والقبط(٤) وغيرهم من

---

(١) الكشدانيون: هم سكان حران الصابئة الذين يعبدون الكواكب ويبنون لها الهياكل والصور، وقد هاجر إليهم إبراهيم ﷺ عندما ترك أرض قومه من الكلدانيين في بابل فاستوطن حران، وهناك دعا الناس إلى عبادة الله وحده وترك عبادة النجوم والكواكب، فتكون حينئذ دعوة إبراهيم ﷺ الأولى لقومه في بابل ودعاهم إلى ترك عبادة الأوثان، أما الثانية فهي في حران دعاهم إلى ترك عبادة الكواكب والنجوم، كل على حسب معتقده.
انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٤٥)، البداية والنهاية (١/ ١٤٢).

(٢) الهند: بلاد توجد في آسيا الجنوبية، تضم حالياً: باكستان، جمهورية الهند، بنجلادش، يفصلها عن معظم قارة آسيا جبال الهملايا الشاهقة، سكانها من قبائل متعددة، ويدينون بديانات ومذاهب شتى.
انظر: دائرة معارف القرن الرابع عشر لمحمد فرويد وجدي (١٠/ ٥٤٠ ـ ٥٧٦)، والموسوعة العربية الميسرة لأشراف محمد غربال (٢/ ٢٩٠٣ ـ ١٩٠٤).

(٣) نسبة لليونان: واسمها القديم: هيلاس أو آلاس، وهي الآن دولة أوربية واقعة في الجزء الجنوبي من شبه قارة البلقان، يحدها من الشمال بلغاريا والصرب، ومن الشرق تركيا، ومن الجنوب البحر المتوسط، ومن الغرب بحر اليونان، واليونان بلاد قديمة، كانت ديانة أهلها عبادة القوى الطبيعية (البحر، الشمس، القمر...)، وبناء الهياكل لها، أما ديانة أهلها اليوم فأكثرهم نصارى.

(٤) القبط كلمة يونانية، معناها سكان مصر أي البلاد التي بها معبود في منف عاصمة مصر القديمة اسمه «بتاح»، وذهب بعض الباحثين إلى أنها نسبة إلى القبط بن حام بن نوح ﷺ، وذهب فريق آخر أن الأقباط دخلاء على أهل مصر، جلبهم الإسكندر الأكبر عبيداً، حيث أن مفردات اللغة القبطية إغريقية الأصل.
كانت تطلق كلمة القبط والأقباط على نصارى مصر من الأثورذكس حتى القرن ١٨ الميلادي، وبعدما اعتنق عدد من الأقباط الأرثوذكس المذهب الكاثوليكي متأثرين بنشاط الإرساليات الأجنبية الكاثوليكية، وزاد عددهم فكونوا طائفة الأقباط الكاثوليك، ومن بعد تكونت طائفة الأقباط البروتستانت، وأصبحت كلمة الأقباط تطلق بوجه عام على نصارى مصر.

الأمم مملوءة بذكر ذلك مثل كتب طمطم الهندي[1] وتنكلوشا البابلي[2] وكتب ثابت بن قرة[3] وأبي معشر البلخي[4] وغيرهم ممن صنف في هذا الباب وأبو عبد الله محمد بن الخطيب قد ذكر في كتابه الذي سماه «السر المكتوم في السحر والطلمسات ومخاطبة النجوم» في ذلك أموراً كثيرة.

وهؤلاء يعبدون الكواكب بأنواع العبادات والقرابين وتتنزل عليهم الشياطين التي يسمونها هم روحانيات الكواكب وهي أشخاص منفصلة عنهم وإن لم يروها سمعوا كلامها، فتخبرهم وتخاطبهم بأمور كثيرة

---

(١) قال محقق كتاب الصفدية (١/ ١٧٢): لم أعرف من هو طمطم الهندي، وذكر الأستاذ عبد الصمد شرف الدين أن حاجي خليفة ذكر كتاب طمطم الهندي في كتابه كشف الظنون في حرف الكاف. وانظر كشف الظنون (٢/ ١٤٣٥).

(٢) قال عنه القفطي في أخبار الحكماء: هذا أحد السبعة العلماء الذين رد إليهم الضحاك البيوت السبعة التي بنيت على أسماء الكواكب السبعة، وقد كان عالماً من علماء بابل. انظر هامش كتاب الصفدية (١/ ١٧٢).

(٣) هو أبو الحسن ثابت بن قرة بن زهران الحراني الصابئ، طبيب ورياضي وفيلسوف، ولد بحران سنة (٢١١)، ونشأ بها، وعاش في بغداد، واشتغل بالطب والفلسفة، وكانت له منزلة رفيعة عند الخليفة المعتضد العباسي، وصنف نحو (١٥٠) كتاباً، منها كتاب الذخيرة في علم الطب، وقد توفي في بغداد سنة (٢٨٨).

انظر ترجمته: طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل (ص٧٥)، وفيات الأعيان (١/ ٢٧٨)، الأعلام للزركلي (١/ ١٨ ـ ٨٢).

(٤) هو أبو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخي، أصله من بلخ بخرسان، وهو أحد المنجمين العرب، وله كتب في علم النجوم، منها كتاب «الألوف في بيوت العبادات»، وكتاب «الطبائع»، وكان أبو معشر أعلم الناس بتاريخ الفرس وأخبار سائر الأمم، وقد توفي سنة (٢٧٢)، ويقال إنه نيف على المائة.

انظر ترجمته طبقات الأطباء والحكماء (ص٢)، وتاريخ مختصر الدول (ص١٣٧ ـ ١٣٨)، وفيات الأعيان (١/ ٣١٠ ـ ٣١١)، والأعلام للزركلي (٢/ ١٢٢).

وتقضي لهم أنواعاً من الحوائج وهذا موجود اليوم كثيراً في بلاد الترك والخطا[1] والعجم والهند بل وفي بلاد مصر واليمن والعراق والشام وغير ذلك وأعرف من هؤلاء عدداً وهم كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ﴾ [البقرة: ١٠٢]». اهـ.

٢٠ ـ من تعامل الجن مع الناس وخوارقهم:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند ذكره أوجه الخوارق التي تفعلها الجن وأنها ليست من قوى النفس:

(١/ ١٩٠ ـ ١٩٢): الوجه السادس: أن يقال قد علمنا بالضرورة والتواتر أن الجن تحمل الإنسان من مكان إلى مكان تعجز قدرته عن الوصول إليه وهذا قد علمناه نحن في غير صورة وغيرنا يعلم من جزئيات ذلك ما لم نعلمه ومن شك في أصل ذلك فليرجع إلى من عنده علم ذلك وإلا فليس للإنسان أن يكذب بما لا يعلم. ونحن نعرف من ذلك أموراً كثيرة جداً، ونعرف عدداً كثيراً حملوا في الهواء من مدائنهم إلى عرفات

---

(١) جاء في كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لأبي عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري (ص٢٦٤): وأما التتار فلم يكن لهم ذكر على ألسنة الناس لأنهم كانوا متاخمين الصين، وكان بين بلادهم وبلاد المسلمين بلاد الخطا، وهي التي تسمى «تركستان» وكان الخطا قد استولوا على ما وراء النهر وملكوها عدة سنين، فلما ملك علاء الدين محمد بن خوارزم شاه بلاد خرسان طمحت همته إلى ما وراء النهر فقصدهم وأخذها منهم وجرى بينه وبينهم حروب استأصلهم فيها وملك ما بأيديهم من البلاد فلما خلت تركستان من الخطا نزلها التتار وكانوا أعداء لهم.
انظر: هامش كتاب الصفدية (١/ ١٧٣).

وإلى مكة في غير وقت عرفات، وبعضهم كان كافراً لم يسلم، وبعضهم منافق لا يقر بوجوب الصلاة، وبعضهم جاهل يعتقد أن وقوفه بعرفات بلا إحرام مع رجوعه إلى بلده بلا طواف وسعي ولا إحرام عبادة وكرامة من كرامات الصالحين، ومثل عدد كبير حملوا إلى غير مكة ولو ذكرت ما أعرفه من هذا لطال الخطاب.

وأعرف شخصاً من أصحابنا حملته الجن في الهواء من أسفل دار إلى أعلاها ووصوه بأمور الدين وتاب وحصل له خير. وآخر كان معه شيطان يحمله قدام الناس بمدينة الشوبك(١) فيصعد في الهواء إلى رؤوس الجبال. وآخر كان يحمله شيطانه من جبل الصالحية(٢) إلى قرية يلدى(٣) نحو فرسخ. وطائفة حملتهم الشياطين من مدينة تدمر إلى بيت المقدس وأمرتهم أن يصلوا إلى الشمال وصلوا إليه أياماً وأخبروهم أن هذه الشريعة تغير وتنسخ حتى طلبهم المسلمون إلى جامع تدمر وكانوا في مغارة واستتابوهم فلم يتوبوا بل مكثوا يصلون إلى الشمال ثلاثة أيام ثم تابوا بعد ذلك وتبين لهم أن ذلك كان من الشيطان.

وآخر أتى قوماً يرقصون في سماع فبقي يرقص في الهواء على رؤوسهم فرآه شخص فصرخ به فسقط وكان هذا بحضرة الشيخ شبيب

---

(١) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: الشَوبَكُ: بالفتح ثم السكون ثم الباء الموحدة المفتوحة وآخره كاف إن كان عربياً فهو مرتجل، قلعة حصينة في أطراف الشام بين عُمَان وأيلة والقلزم قرب الكرك وذكر يحيى بن علي التنوخي في تاريخه أن يقدور الذي ملك الفرس سار في سنة ٥٠٩ إلى بلاد ربيعة من طيىء وهي ياق والشراة والبلقاءُ والجبال ووادي موسى ونزل على حصن قديم خراب يعرف بالشوبك بقرب وادي موسى فعمره ورتب فيه رجاله وبطل السفر من مصر إلِي الشام بطريق البرية مع العرب بعمارة هذا الحصن». .اهـ.

(٢) جبل مشهور في دمشق.

(٣) يسميها ياقوت في معجمه «يلدان»، وذكر أنها: من قرى دمشق.

الشطي فقال الشيخ هذا سلبني حالي فسأله فقال: لم يكن له حال وإنما شيطان حمله من الرحبة[1] إلى هنا، فصرخت فيه فألقاه وهرب. وجرى نظير هذه القصة لغير واحد. ومن المشهور المتواتر عند الترك ما تفعله سحرتهم وكهانهم من البخشية والطوينية وشيخهم الذي يقال له البوا ومن شرطه عندهم أن يكون مخنثاً مأبوناً[2] ينكح. ينصب له خركاة في ظلمة فيذبحون ذبيحة للشيطان ويغنون له فتأتي الشياطين وتخاطبهم ببعض الأمور الغائبة كأحوال غائبيهم وسرقاتهم وغير ذلك. ويحمل البوا فيوقف به في الهواء وهم يرونه ولا يكون بينهم إذ ذاك مسلم ولا كتاب فيه قرآن هذا مشهور عندهم إلى هذا الوقت أخبرنا به غير واحد.

وآخرون كانت الشياطين تأتيهم بأطعمة يسرقونها من حوانيت الناس وجرى هذا لغير واحد في زماننا وغير زماننا وأتى قوم بحلاوة من الهواء وعرفت تلك الحلاوة المسروقة وفقدها صاحبها ووصفت الآنية التي كانت فيها فرد ثمنها إليه. وهذه الأمور وأمثالها معلوم لنا بالضرورة والتواتر فإذا كانت الجن تحمل الإنسان من مكان إلى مكان بعيد في الهواء وتحمل الأموال إليه من مكان بعيد وتخبره بأمور غائبة عن الحاضرين علم أن هذه الخوارق ليست من قوى النفوس بل بفعل الجن وإذا كانت الجن تفعل مثل هذا فالملائكة أعلى منهم وأقدر وأكمل وأفضل». اهـ.

٢١ ـ ليس في النساء نبية إجماعاً:

(١/ ١٩٧ ـ ١٩٩): «ومن هذا الباب قوله في قصة مريم: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾ [مريم: ١٧، ١٨].

---

(١) رحبة دمشق قرية من قراها، بينها وبين دمشق ميلاً.
(٢) أي يوطئ كما توطأ المرأة.

وقال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢] فهذا الروح تصور بصورة بشر سوي وخاطب مريم ونفخ فيها.

ومن المعلوم أن القوى النفسانية التي تكون في نفس النبي وغير النبي لا يراها الحاضرون ولا يكون منها مثل هذه الأحوال والأقوال والأفعال.

ومريم لم تكن نبية بل غايتها أن تكون صديقة كما قال ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [يوسف: ١٠٩].

وقد حكى الإجماع على أنه لم يكن في النساء نبية غير واحد كالقاضي أبي بكر بن الطيب(١) والقاضي أبي يعلى(٢).

وأبي المعالي الجويني(٣) ....

(١) هو محمد بن الطيب بن محمد بن الباقلاني، القاضي أبو بكر، المالكي الأصولي المتكلم، كان أقرب إلى الإثبات من الأشعرية المتأخرة، وقد لقي تلاميذ الأشعري، توفي سنة (٤٠٣هـ).
انظر: تبين كذب المفتري (ص٢٠٧)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩٠).

(٢) هو: محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد الفراء، أبو يعلى، القاضي، من مشاهير علماء الحنابلة في القرن الخامس الهجري، ومن فحول العلماء في الأصول والفروع وسائر فنون العلم، تولى القضاء، وله مصنفات كثيرة منها: الأحكام السلطانية، والكفاية، والعدة، وشرح الخرقي وغيرها، توفي سنة (٤٥٨هـ)، وكانت ولادته سنة (٣٨٠). انظر: طبقات الحنابلة (٢/ ١٩٣ ـ ٢٣٠).

(٣) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، إمام الحرمين أبو المعالي، فقيه، متكلم مشهور، له تصانيف منها: الإرشاد، وغياث الأمم، وغيرها، ولد سنة (٤١٩هـ)، وتوفي سنة (٤٧٨هـ). =

وخلاف ابن حزم[1] شاذ مسبوق بالإجماع فإن دعواه أن أم موسى كانت نبية هي ومريم قول لا يعرف عن أحد من السلف والأئمة وقد ثبت في الصحيح عدد من كمل من النساء وليس فيهن أم موسى بل قال ﷺ في الحديث الصحيح: «**كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم**»[2] يعني ممن قبلنا فذكرتا والتي حضنت موسى وفيمن كمل ممن ليس بنبي خديجة وآسية امرأة فرعون وغيرهما والأنبياء أفضل من غيرهم فلو كانت نبية لكان غير النبي أفضل منه أو غير الكامل أفضل من الكامل». اهـ.

٢٢ ـ الكلام على حديث العقل من وجوه:

(١/ ٢٣٨ ـ ٢٤٠): «وقد بسطنا الكلام على هذا الحديث «**أول ما خلق الله العقل**» وما يتعلق به وتكلمت على ما ذكره ابن سينا[3] في شفائه

= انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٦٨)، طبقات الشافعية (٥/ ١٦٥)، تبين كذب المفتري (ص٢٧٨ ـ ٢٨٥).

(١) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الأندلسي، المشهور بابن حزم الظاهري، ولد سنة (٣٨٤هـ)، له المؤلفات الشهيرة النافعة، منها: المحلى في الفقه، وغيره، توفي سنة (٤٥٦هـ).
انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٨٤)، تذكرة الحفاظ (٣/ ١١٤٦)، لسان الميزان لابن حجر (٤/ ١٩٨).

(٢) رواه البخاري، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ﴾، وباب قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، كتاب المناقب، باب فضل عائشة رضي الله عنها، كتاب الأطعمة، باب الثريد.
ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) هو الحسين بن عبد الله بن الحسن بن سينا البلخي، أبو علي، الفيلسوف =

= الرئيس، ولد سنة (٣٧٠هـ)، له تصانيف على طريقة المتكلمين والفلاسفة كالشفاء والإشارات وغيرهما، قال عنه شيخ الإسلام: «تكلم ابن سينا في أشياء من الإلهيات والنبوات والمعاد والشرائع لم يتكلم فيها سلفه. .وإن كان إنما أخذ عن الملاحدة المنتسبين إلى المسلمين، كالإسماعيلية، وكان أهل بيته من أهل دعوتهم، من أتباع الحاكم العبيدي الذي كان هو وأهل بيته وأتباعه معروفين عند المسلمين بالإلحاد». اهـ وقال الذهبي: «ما أعلمه روى شيئاً من العلم، ولو روى لما حلت الرواية عنه، لأنه فلسفي النحلة ضال، لا رضي الله عنه»، وقال في السير: «هو رأس الفلاسفة الإسلامية، لم يأت بعد الفارابي مثله، فالحمد لله على الإسلام والسنة، وله كتاب الشفا، وغيره، وأشياء لا تحتمل، وقد كفره الغزالي في كتاب المنقذ من الضلال، وكفَّر الفارابي». توفي سنة (٤٢٨هـ).

انظر: الرد على المنطقيين (ص١٤١ ـ ١٤٢)، وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ١٥٧)، سير الأعلام (١٧/ ٥٣١ ـ ٥٣٦)، كشف الظنون لحاجي خليفة (١/ ٩٤ ـ ٩٥) ط. دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٣هـ) ميزان الاعتدال (١/ ٥٣٩)، لسان الميزان (٢/ ٢٩١)، تاريخ حكماء الإسلام (ص٥٢ ـ ٧٧٢).

(١) هو عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر ابن سبعين الإشبيلي المرسي الرقوطي، قطب الدين أبو محمد: من زهاد الفلاسفة، ومن القائلين بوحدة الوجود، درس العربية والآداب في الأندلس، وانتقل إلى سبتة، وحج، واشتهر أمره، له مؤلفات منها (الحروف الوضعية في الصور الفلكية) وكتاب (البدو) وكتاب (اللهو) و(أسرار الحكمة المشرقية)، وغيرها.

وكفره كثير من الناس. له مريدون وأتباع يعرفون بالسبعينية، قال ابن دقيق العيد: «جلست مع ابن سبعين من ضحوة إلى قريب الظهر، وهو يسرد كلاماً تعقل مفرداته ولا تعقل مركباته»، وقال الذهبي: «اشتهر عن ابن سبعين أنه قال: لقد تحجر ابن آمنة واسعاً بقوله لا نبي بعدي»، وكان يقول في الله عز وجل: إنه حقيقة الموجودات، وفصد بمكة، فترك الدم يجري حتى مات نزفاً.

انظر لسان الميزان (٣/ ٣٩٢)، والعبر للذهبي (٥/ ٢٩١)، والأعلام للزركلي (٣/ ٢٨٠).

وابن العربي[1] وغيرهم في غير هذا الموضع وهذا الحديث موضوع.

(١) كذا في الأصل والصواب ابن عربي، هو محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي الطائي الأندلسي ثم الدمشقي، المعروف بابن عربي بالتنكير تمييزاً بينه وبين القاضي أبي بكر بن العربي، وينتهي نسب ابن عربي إلى عبد الله بن حاتم أخي عدي بن حاتم الطائي. ولد ابن عربي في رمضان سنة (٥٦٠هـ) بمرسية في بلاد الأندلس ثم ارتحل إلى أشبيلية بعد بلوغه ثماني سنوات وفيها حفظ القرآن وتعلم القراءات واشتغل بتحصيل الحديث وسماعه من أهل الحديث في بلاده ثم مال بعد ذلك إلى الأدب ونظم الشعر فحصل له توسع فيه وكتب الإنشاء لبعض الأمراء بالمغرب ثم بعد ذلك كله سلك طريق التصوف فتزهد وتعبد وأقبل على الخلوات وانقطع للتنسك إلى أن أصبح رأساً في التصوف الفلسفي. وكان ابن عربي بحكم نشأته في الأندلس التي كانت بمنزلة الباب العربي للمسلمين على أوربا قد اطلع على ثقافات عصره والفلسفات السائدة في ذلك الوقت. ثم خرج ابن عربي بعد ذلك من الأندلس لطلب العلم ولقاء الصوفية في البلدان والاجتماع بهم فزار معظم مدن المغرب مثل سبته وفاس وتونس وتلمسان وغيرها، ثم اتجه في رحلاته إلى المشرق راغباً في الحج، وبعد الحج اتجه صوب العراق فدخل بغداد والموصل ثم رحل إلى مصر سنة ٦٠٣هـ. واتصل ببعض أشباهه من الصوفية وأخذ بتأليف الرسائل والكتب وهناك ظهر منه ما يستوجب النقد والإنكار، فأنكر عليه علماء مصر ما صدر منه وحكموا بكفره وإراقة دمه كما حكم على الحلاج وأمثاله، وكاد أن يقتل لولا أن خلصه وشفع له الشيخ أبو الحسن علي بن فتح بن عبد الله البجائي الذي سعى في أمره وأظهر وجوه تأويل كلامه إلى أن عفي عنه. ثم رحل إلى مكة فجاور بها إلى سنة ٦٠٧هـ، وفيها ابتدأ تأليف كتابه الفتوحات المكية الذي يعتبر أكبر موسوعة صوفية شملت كثيراً من علوم الصوفية وأحوالهم غير أنه مزجه بمذهب وحدة الوجود. ثم توجه ابن عربي بعد ذلك إلى بلاد الأناضول فوصل إلى (قونيه) وكانت آنذاك عاصمة القسم الإسلامي من بلاد الروم، وفيها صنف بعض كتبه كما تزوج فيها بأم صدر الدين القونوي فأصبح القونوي ربيبه ومن أخص تلامذته فيما بعد، ثم رحل ابن عربي بعد ذلك إلى بغداد حيث التقى بشهاب الدين السهروردي صاحب كتاب عوارف المعارف، ومن بغداد توجه إلى مكة ومنها إلى قونيه مرة =

= أخرى، ثم رجع إلى الشام ليتنقل بين قرى الشام ومدنه واستقر به الأمر آخرا في دمشق حيث أتم كتاب الفتوحات المكية وصنف فصوص الحكم، والتفصيل في معاني التنزيل، وغيرها من الكتب، كما أخذ ينشر علومه ومعارفه وظل في دمشق إلى أن توفي فيها سنة ٦٣٨هـ، ويعتبر ابن عربي من أكثر الصوفية تصنيفاً إذ جاوزت تصانيفه ما يربو على المائتين، ومن أشهر تصانيفه الفتوحات المكية، وفصوص الحكم، وعنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب، وإنشاء الدوائر، والفناء في المشاهدة، وكتاب الإسراء إلى مقام الإسرى، ومحاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار وغيرها. ويعد ابن عربي رأساً في تصوف أهل وحدة الوجود كما كان أهل الصوفية ضلالاً وزيغاً ومروقاً من الدين. ولكنه لم يجاهر بآرائه وزنقدته وكفره إلا لخواص أصحابه وتلامذته خوفاً من الوقوع تحت سيف الشرع متظاهراً بين عامة أهل العلم بالتنسك والعبادة والزهد. فلما مات وانتشرت كتبه عرف الناس حقيقة أمره وحقيقة مذهبه فحكم أكثر العلماء بكفره وزندقته وكذبه على الله ورسوله وانتصب كثير منهم للرد عليه وبيان كفره وتحذير الناس منه. وقد جمع تقي الدين الفاسي في العقد الثمين جملة من ردود العلماء وفتواهم بكفره وزندقته، كذلك فعل برهان الدين البقاعي في تنبيه الغبي إلى تكفر ابن عربي، ومثل ذلك فعل السخاوي في القول المبني في ترجمة ابن عربي. وبعض العلماء أثنى على ابن عربي لما رأوا من زهده وإيثاره واجتهاده في العبادة فأثنوا عليه بهذا الاعتبار ولم يعرفوا ما في كلامه من الكفر، وبعض من أثنى عليه يعرفون ما في كلامه من الكفر، وبعض من أثنى عليه يعرفون ما في كلامه من الباطل ولكنهم يزعمون أن له تأويلاً، وحملهم على ذلك متابعتهم له في معتقده، فثناؤهم عليه مردود لتزكيتهم معتقدهم. وأما الصوفية فأكثرهم ـ إلا من رحم الله ـ يعدون ابن عربي الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر وكثير منهم اليوم على مذهبهم بفهم لحقيقته وبغير فهم.

انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٣/٤٨) وما بعدها، البداية والنهاية، لابن كثير (١٣/١٥٦)، لسان الميزان، لابن حجر (٥/ ٣١١) وما بعدها، العقد الثمين لتقي الدين الفاسي، (٢/ ١٦٠) وما بعدها، شذرات الذهب، لابن العماد (٥/ ١٩٠) وما بعدها، نفح الطيب للمقري (٢/ ١٦١) وما بعدها.

وكذب عند أهل العلم بالحديث كما ذكر أبو حاتم البستي[1] وأبو الفرج بن الجوزي[2] وغيرهما ومع هذا فلفظه «أول ما خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل فقال له أدبر فأدبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أكرم علي منك فبك آخذ وبك أعطي وبك الثواب وبك العقاب» فهذا الحديث الذي يحتجون به من جهة الشريعة يدل على نقيض مقصودهم من وجوه كثيرة منها أن قوله: «أول ما خلق الله العقل قال له» يقتضي أنه خاطبه في أول أوقات خلقه لا أنه أول المخلوقات كما تقول أول ما لقيت زيداً سلمت عليه وتقدير الكلام «أول خلق الله قال له» فأول مضاف إلى المصدر والمصدر يجعل ظرف زمان كما تقول كان هذا خفوق النجم وخلافة عبد الملك ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٩]، مصدر أدبر يدبر إدباراً.

ومنها أن هذا يقتضي أنه خلق قبل العقل غيره لقوله: ما خلقت خلقا أكرم علي منك وعندهم هو أول المبدعات. ومنها أن هذا يقتضي أن العقل مخلوق وحقيقة الخلق منتفية عندهم عن العقل الأول

---

(١) هو محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي، أبو حاتم البستي، الإمام العلّامة الحافظ، صاحب التصانيف، قال عن نفسه: كتبت عن أكثر من ألفي شيخ، وقال الحاكم: كان ابن حبان من أوعية العلم في الفقه واللغة والحديث والوعظ ومن عقلاء الرجال، وقال الخطيب: كان ثقة نبيلاً فهماً، توفي سنة (٣٥٤هـ)، وقد بلغ نحو الثمانين سنة.
انظر: تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٢٠)، لسان الميزان (٥/ ١١٢).

(٢) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي، أبو الفرج ابن الجوزي، والجوزي نسبة إلى فرضة نهر البصرة، ولد سنة (٥٠٨هـ)، وهو أحد الأئمة الأعلام، بلغت تصانيفه في التفسير والوعظ والحديث نحواً من ثلاثمائة مصنف، توفي سنة (٥٧٩هـ).
انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٥)، البداية والنهاية (١٣/ ٢٧)، والأعلام (٣/ ٣١٦).

بل عن العالم وإنما هو عندهم معلول ومبدع، لكنهم يحرفون الكلم عن مواضعه فيقولون العالم محدث ومخلوق ويعنون بقولهم محدث أنه معلول ممكن بنفسه واجب بغيره وأن وجوده من غيره لا من نفسه. وكذلك يعنون بقولهم مخلوق لكن من المعلوم بالاضطرار أن أهل اللغة لا يريدون بقولهم هو محدث ومخلوق هذا المعنى المتضمن أنه قديم أزلي لم يزل ولا يزال بل الحدوث عندهم يناقض القدم. وكذلك الخلق ولا تحتمل اللغة بوجه من الوجوه أن القديم الذي لم يزل ولا يزال يقال له محدث ومخلوق، والمخلوق عندهم أبلغ من المحدث والحادث فكل مخلوق فهو محدث وحادث باتفاق أهل اللغة وأهل الكلام وأما أن كل حادث ومحدث فهو مخلوق فهذا مما تنازع فيه أهل الكلام والنظر واللغة لا يوجب أن كل ما كان حادثاً يسمى مخلوقاً لأن المخلوق هو الذي خلقه غيره والخلق يجمع معنى الإبداع ومعنى التقدير. وأما لفظ حادث فلا يقتضي أنه مفعول ولو قيل محدث فمعنى الخلق أخص من معنى الحدوث. ومنها أنه قال في هذا الحديث «فبك آخذ وبك أعطي وبك الثواب وبك العقاب» فأخبر أنه يفعل به هذه الأمور الأربعة وهذا ينطبق على عقل الإنسان الذي هو عرض فيه وأما العقل الذي يدعونه فهو عندهم أبدع السماوات والأرض وما بينهما فهو عندهم رب جميع العالم فأين هذا من شيء يفعل الله به أموراً أربعة والكلام على هؤلاء مبسوط في غير هذا الموضع». اهـ.

٢٣ ـ أكثر الأمم تعترف بوجود الملائكة والجن:

(١/ ٢٤١): «يبين ذلك أن هؤلاء الأمم عامتهم يعترفون بوجود الأرواح الموجودة المنفصلة عن الآدميين من الملائكة والجن؛ فالمشركون من العرب والهند والترك والنبط وغيرهم من الأمم وأهل

السحر منهم والكهانة وغيرهم معترفون بوجود الجن وبأنهم يخاطبونهم ويدعونهم ويقسمون عليهم وعند أهل دعوة الكواكب الذين يدعون الشمس والقمر والنجوم ويعبدونها ويسجدون لها كما كان النمرود بن كنعان(١) وقومه يفعلون ذلك، وكما يفعل ذلك المشركون من الهند والترك والعرب والفرس وغيرهم. وقد ذكر أبو عبد الله محمد بن الخطيب الرازي(٢) في كتابه الذي صنفه في هذا الفن(٣) قطعة كبيرة من

---

(١) قال عنه الحافظ ابن كثير في التفسير (١/ ٦٨٦): هذا الذي حاج إبراهيم في ربه وهو ملك بابل: نمروذ بن كنعان بن كُوش بن سام بن نوح. ويقال: نمرود بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح والأول قول مجاهد وغيره». .اهـ.

(٢) هو فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين التيمي البكري الرازي، ويعرف بابن خطيب الري، من أئمة الأشاعرة الذين مزجوا المذهب الأشعري بالفلسفة والاعتزال، رد عليه شيخ الإسلام في نقض التأسيس، والدرء وغيرهما، قال الذهبي عنه «وقد بدت في تواليفه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن السنة، والله يعفو عنه، فإنه توفي على طريقة مرضية».اهـ، ولد سنة (٥٤٤هـ)، وتوفي سنة (٦٠٦هـ).

انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٣٨١ ـ ٣٨٥)، لسان الميزان (٤/ ٢٤٦ ـ ٢٤٩)، شذرات الذهب (٥/ ٢١)، سير أعلام النبلاء (٢١/ ٥٠٠).

(٣) المراد به كتاب «السر المكتوم في مخاطبة الشمس والقمر والنجوم» وقد شكك البعض في نسبة الكتاب للرازي، والصحيح أنه ثابت عنه وقد أشار الرازي نفسه إلى كتابه هذا، وأحال عليه في بعض كتبه، ورد عليه الشيخ زين الدين سريجا بن محمد الملطي المتوفى سنة ٧٨٨هـ، وسماه: (انقضاض البازي في انفضاض الرازي).

انظر: كشف الظنون لحاجي خليفة (٢/ ٩٨٩)، وكتاب: فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية لمحمد بن صالح الزركان (ص٥٢ ـ ٥٤ ـ ١٠٩ ـ ١١١ ـ ٣٨٢)، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبد الرحمن المحمود (٢/ ٦٦٥ ـ ٦٦٧).

أحوال هؤلاء وقد تواترت الأخبار بذلك عن هؤلاء وأنهي يحصل لأحدهم أشخاص منفصلة عنه تقضي كثيراً من حوائجه ويسمونها روحانية الكوكب فهؤلاء المشركون والصابئون من أنواع الأمم الفلاسفة وغيرهم معترفون بوجود الجن المنفصلين وتأثيرهم في العالم وإخبارهم بالأمور وغير ذلك من أحوالهم». اهـ.

٢٤ ـ من خصائص الأنبياء كفر من سبهم:

(١/ ٢٦١): «وأيضا فمن خصائص الأنبياء أن من سب نبياً من الأنبياء قتل باتفاق الأئمة وكان مرتداً كما أن من كفر به وبما جاء به كان مرتداً فإن الإيمان لا يتم إلا بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله». اهـ.

٢٥ ـ أهمية الاستدلال بصحيح الأحاديث دون ضعيفها:

(١/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧): «وكثير من المنتسبين إلى السنة المصنفين فيها لا يعرفون الحديث ولا يفقهون معناه بل تجد الرجل الكبير منهم ينصف كتاباً في أخبار الصفات أو في إبطال تأويل أخبار الصفات ويذكر فيه الأحاديث الموضوعة مقرونة بالأحاديث الصحيحة المتلقاة بالقبول ويجعل القول في الجميع واحداً. وقد رأيت غير واحد من المصنفين في السنة على مذهب أهل الحديث من أصحاب مالك وأحمد والشافعي وغيرهم من الصوفية وأهل الحديث وأهل الكلام منهم يحتجون في أصول الدين بأحاديث لا يجوز أن يعتمد عليها في فضائل الأعمال فضلاً عن مسألة فقه فضلاً عن أصول الدين والأئمة كانوا يروون ما في الباب من الأحاديث التي لم يعلم أنها كذب من المرفوع والمسند والموقوف وآثار الصحابة والتابعين لأن ذلك يقوي بعضه بعضاً كما تذكر المسألة من أصول الدين ويذكر فيها مذاهب الأئمة والسلف فثم أمور تذكر للاعتماد وأمور تذكر للاعتضاد وأمور تذكر لأنها لم يعلم أنها من نوع الفساد ثم بعد المعرفة بالنصوص لا بد من فهم معناها». اهـ.

٢٦ ـ نقول المصنف رحمه الله تعالى في تكفير الجهمية[١]:

(٢/ ١٦٤ ـ ١٦٦): «قال حرب الكرماني ورواه عنه أبو بكر الخلال في كتاب السنة ثنا محمد بن إدريس يعني أبا حاتم الرازي ثنا علي بن ميسرة ثنا علي بن الحسين بن شقيق سمعت خارجة بن مصعب يقول: «كفرت الجهمية بآيات من كتاب الله قال تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَاۚ﴾ [الرعد ٣٥] وقالوا: ينقطع.

وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣] فقالوا: لا تنظر».

وقال الخلال ثنا أبو داود السجستاني ثنا أحمد حدثني أبي قال: قال إبراهيم بن طهمان ما ذكرته ولا ذكر عندي إلا دعوت الله عليه ما أعظم ما أورث أهل القبلة من منطقه هذا العظيم يعني جهماً.

قال أبو داود ثنا عبد الله بن مخلد ثنا علي بن إبراهيم ثنا يحيى بن شبل قال: كنت جالساً مع مقاتل بن سليمان وعباد بن كثير إذ جاء شاب فقال: ما تقول في قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ﴾ [القصص: ٨٨] فقال مقاتل: «هذا جهمي» ثم قال: «ويحك والله إن جهماً ما حج هذا البيت قط ولا جالس العلماء إنما كان رجلاً أعطي لساناً».

قال أبو داود ثنا أحمد بن الصباح ثنا علي بن الحسن بن شقيق عن ابن المبارك قال: «إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى وما نستطيع أن نحكي كلام الجهمية».

قال الخلال أخبرني حرب بن إسماعيل ثنا محمد بن مصفى ثنا بقية بن الوليد عن عبد العزيز بن الماجشون قال: «جهم[٢] وشيعته الجاحدون».

---

(١) تقدم الكلام عنهم، فائدة رقم (١٣).

(٢) هو الجهم بن صفوان، أبو محرز مولى بني راسب من أهل خرسان، تتلمذ =

وقال ثنا عبد الله بن أحمد ثنا الحسن بن عيسى مولى ابن المبارك ثنا حماد بن قيراط سمعت إبراهيم بن طهمان يقول: «الجهمية كفار».

وقال عبد الله بن أحمد ثنا محمد بن صالح مولى بني هاشم ثنا عبد الملك بن قريب الأصمعي أنا المعتمر بن سليمان عن أبيه أنه قال: «ليس قوم أشد نقضاً للإسلام من الجهمية».

قال عبد الله حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي وعلي بن مسلم ثنا سليمان بن حرب سمعت حماد بن زيد وذكر هؤلاء الجهمية فقال: «إنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء شيء».

قال الخلال أنا أبو بكر المروزي ثنا محمد بن يحيى بن سعيد القطان قال كان أبي وعبد الرحمن يقولان: «الجهمية تدور على أن ليس في السماء شيء».

قال المروزي سمعت أحمد الدورقي سمعت يزيد بن هارون وذكر الجهمية فقال: «كفار لا يعبدون شيئاً» قال المروزي ثنا إسماعيل بن أبي كريمة سمعت يزيد بن هرون يقول: «القرآن كلام الله لعن الله جهماً ومن يقول بقوله كان كافراً جاحداً ترك الصلاة أربعين يوماً يريد زعم يرتاد دينا وذلك أنه شك في الإسلام».

قال الخلال وأخبرني حرب الكرماني ثنا أبو علي الحسن بن الصباح ثنا قاسم العمري ثنا عبد الرحمن بن محمد بن حبيب حدثنا أبي عن جدي حبيب قال شهدت خالد بن عبد الله القسري[1] خطب الناس بواسط يوم

= على الجعد بن درهم، وضل به خلق كثير، أهم آرائه: القول بنفي الصفات، والقول بالجبر، وبفناء الجنة والنار، مات مقتولاً بمرو، سنة (١٢٨هـ).

انظر: ميزان الاعتدال (١/١٩٧)، لسان الميزان (٢/١٤٢ ـ ١٤٣)، والأعلام (٢/١٣٨ ـ ١٣٩).

(١) هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد البجلي، أبو الهيثم، أمير العراق لهشام بن =

النحر فقال: «أيها الناس ارجعوا فضحوا تقبل الله منكم فإني مضح بالجعد بن درهم[1] فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً ثم نزل فذبحه». اهـ.

٢٧ ـ أول من أنكر محبة الله لعبده، والعبد لربه الجعد بن درهم:

(٢/ ٢٦٣): «وأول من أنكر حقيقة محبة الله لعبده والعبد لربه في الإسلام هو الجعد بن درهم فضحى به خالد بن عبد الله القسري بواسط وقال: «يا أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً ثم نزل فذبحه»[2]. اهـ.

٢٨ ـ الناس في المعاد على أربعة أقوال:

(٢/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨): «فإن لبني آدم في المعاد أربعة أقوال:

أحدها: القول بمعاد البدن والروح جميعاً وأن الروح المفارقة

= عبد الملك، وولي قبل ذلك مكة للوليد بن عبد الملك، ثم لسليمان، كان خطيباً مفوهاً، قال الذهبي: صدوق لكنه بغيض ظلوم، وقال ابن معين: رجل سوء يقع في علي ﷺ.. اهـ، من أكبر حسناته أنه قتل الجعد بن درهم، وقد مات خالد القسري مقتولاً سنة (١٢٦هـ).

انظر: وفيات الأعيان (٢/ ٢٦٦ ـ ٢٣٢)، ميزان الاعتدال (١/ ٦٣٣)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٢٥ ـ ٤٣٢).

(١) هو الجعد بن درهم، قال ابن كثير: هو مؤدب مروان الحمار، ولهذا يقال مروان الجعدي، وذكر شيخ الإسلام أنه من أهل حران، وعنه أخذ الجهم بن صفوان مذهب نفي الصفات، وكان بحران أئمة الصابئة والفلاسفة.

انظر: درء التعارض (١/ ٣١٣)، البداية والنهاية (١٠/ ٢٣).

(٢) روى القصة الإمام البخاري في كتاب خلق أفعال العباد (ص٦٩)، والدارمي في الرد على الجهمية (ص٢)، والقصة مع شهرتها لكنّ سندها ضعيف فيها عبد الرحمن بن محمد وأبوه لا يعرفان.

للبدن التي يسمونها النفس الناطقة تكون بعد فراق البدن منعمة أو معذبة ثم إن الله يعيدها عند القيامة الكبرى إلى البدن وهذا قول الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين وعليه دل الكتاب والسنة وإن كانوا لا يصفون بالنفس بالصفات التي يذكرها المتفلسفة بل يثبتون لها بعد الموت حركة وبقاء وغير ذلك مما دلت عليه النصوص النبوية والآثار السلفية.

والثاني: القول بمعاد البدن فقط وهذا قول كثير من أهل الكلام(١) من الجهمية والقدرية(٢) ومن وافقهم من الأشعرية(٣) وغيرهم فبنوا ذلك

---

(١) المراد بهم من اشتغل بعلم الكلام المحدث.

(٢) القدرية: هم نفاة القدر، وغالباً ما يطلق هذا الاسم على المعتزلة لنفيهم القدر، وإن كان القدرية الأولى الذين أنكروا علم الله تعالى السابق أقدم ظهوراً من المعتزلة، حيث ظهرت هذه الفرقة في آخر عهد الصحابة ﷺ وقد تبرأ منهم الصحابة كابن عمر وغيره، وقد قيل: أن أول من ابتدع القول بالقدر سوسن النصراني. كما أنه رويت أحاديث بتسميتهم مجوس هذه الأمة. وذلك لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالأصلين الخالقين، وهما النور والظلمة، ويزعمون أن الخير من فعل النور، وأن الشر من فعل الظلمة، وكذا القدرية يضيفون خلق الخير إلى الله، والشر إلى الإنسان والشيطان. ولقب القدرية لقب ذم ولذا تنكره المعتزلة، بل تطلقه على أهل السنة والجماعة.

انظر: الملل والنحل (١/ ٤٣)، الفرق بين الفرق (ص١١٤)، التنبيه والرد (ص١٧٦)، شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٣٥٦).

(٣) الأشعرية: نسبة إلى أبي الحسن الأشعري: علي بن إسماعيل (ت: ٣٢٤)، يقولون بإثبات سبع صفات فقط لأن العقل دلّ على إثباتها، وهي السمع والبصر والعلم والكلام والقدرة والإرادة والحياة، ويؤولون بقية الصفات، وكلام الله عندهم هو معنى قائم بالذات هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، وعندهم أن الإيمان هو التصديق بالقلب، والعمل والإقرار من فروع الإيمان لا من أصله، وقد رجع أبو الحسن الأشعري عن مذهبه في الأسماء والصفات ـ في الجملة ـ وألف في آخر حياته: الإبانة، ومقالات الإسلاميين، وإن كان بقي =

على أنه ليس فينا روح تبقى بعد فارق البدن، بل ظنوا أن الروح عرض يقوم بالبدن كالحياة أو جزء من أجزاء البدن كالنفس الخارج والداخل، فأنكروا أن تكون الأرواح المفارقة للأبدان منعمة أو معذبة. ثم من أثبت من هؤلاء عذاب القبر كالأشعرية وبعض المعتزلة قال إنه تخلق حياة في جزء من أجزاء البدن فينعم أو يعذب. وإنكار بقاء النفس بعد الموت قول مبتدع في الإسلام لم يذهب إليه أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين، وإن كان كثير من كتب الكلام لا يوجد فيها قول للمسلمين إلا هذا، وربما حكاه بعضهم عن أكثر المسلمين وهذا لأن الذين يذكرون هذا كالرازي وأمثاله ليس لهم خبرة بأقوال الصحابة والتابعين وأقوال أئمة المسلمين في مسائل أصول الدين بل إنما يعرفون أقوال الجهمية والمعتزلة ونحوهم من أهل الكلام المحدث. وهؤلاء كلهم مبتدعة عند سلف الأمة وأئمتها وبسبب مناظرة هؤلاء للمتفلسفة حصل شر كثير في الإسلام فإنهم يناظرون بجهل كثير بالعقليات والسمعيات.

والقول الثالث: قول من يقول بمعاد الأرواح التي هي النفس الناطقة فقط كما يقول ذلك من يقوله من المتفلسفة.

والرابع: إنكار المعادين مطلقاً كما هو قول المكذبين بالجزاء بعد الموت كما كان عليه المكذبون بذلك من مشركي العرب وغيرهم من الأمم ولهذا بين الله المعاد في كتابه بأنواع متعددة من البيان كما قد بسط في موضعه». اهـ.

= له هنات وروايب من جراء إقانته ﷺ على المذاهب المبتدعة أكثر حياته، لكن بقي أتباعه على مذهبه الأول إلى اليوم.

انظر: الفتاوى (٢/ ١٦٥)، الملل والنحل (١/ ٩٥).

٢٩ ـ الناس في الشفاعة على ثلاثة أقوال:

(٢/ ٢٩٠ ـ ٢٩١): «والناس في الشفاعة على ثلاثة أقوال: فالمشركون والنصارى والمبتدعون من الغلاة في المشايخ وغيرهم يجعلون شفاعة من يعظمونه عند الله كالشفاعة المعروفة في الدنيا.

والمعتزلة والخوارج[(١)] أنكروا شفاعة نبينا محمد ﷺ في أهل الكبائر.

وأما أهل السنة والجماعة فيقرون بشفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر وشفاعة غيره لكن لا يشفع أحد حتى يأذن الله ويحد له حداً كما في الحديث الصحيح حديث الشفاعة «**أنهم يأتون آدم ثم نوحاً ثم إبراهيم ثم موسى وعيسى فيقول لهم عيسى اذهبوا إلى محمد فإنه عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال: فيأتوني فأذهب فإذا رأيت ربي خررت له ساجداً فأحمد ربي بمحامد يفتحها علي لا أحسنها الآن فيقول أي محمد ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع فأقول: أي رب أمتي فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ثم أنطلق فأسجد فيحد لي حداً**»[(٢)] ذكر هذا ثلاث مرات.

---

(١) الخوارج: اسم يُطلق على كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أم كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان، لكن صار هذا الاسم عَلَماً على أول من خرج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان الخوارج من أنصار علي رضي الله عنه، ثم انشقوا عنه بعد التحكيم، قال ابن حزم: «كانوا أعراباً قرؤوا القرآن ولم يتفقهوا في السنن وبذلك تعددت طوائفهم».
انظر: الفصل في الملل والنحل (٤/ ١٦٨)، الملل والنحل للشهرستاني (٤/ ١١٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وفي الصحيح أن أبا هريرة قال لرسول الله ﷺ: أي الناس أسعد بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: «**يا أبا هريرة لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه**»(١) فبين ﷺ أن أسعد الناس بشفاعته في الآخرة أعظمهم إخلاصاً لله وتوحيداً له في الدين». اهـ.

٣٠ ـ جميع الأنبياء جاءوا بدين الإسلام:

(٢/ ٣٠١ ـ ٣٠٣): «والذي لا ريب فيه أنهم لا يؤمنون بالله ولا بملائكته ولا رسله ولا اليوم الآخر ولا يدينون دين الإسلام الذي بعث الله به جميع الرسل وهو عبادة الله وحده لا شريك له فإن هذا دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد من الأولين والآخرين ديناً غيره.

قال تعالى عن نوح: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة يونس ٧١ ـ ٧٢].

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه أول رسول بعث إلى أهل الأرض(٢) وأنه قال: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر: ١٢].

---

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، وكتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار.

(٢) عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك وقال ابن عبيد فيلهمون لذلك فيقولون لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا قال فيأتون آدم ﷺ فيقولون أنت آدم أبو الخلق خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله قال فيأتون نوحاً ﷺ =

وقال تعالى عن إبراهيم: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٠ ـ ١٣٢].

وقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران: ٦٧].

وقال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠].

وقال: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأنعام: ١٦١].

= فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا إبراهيم ﷺ الذي اتخذه الله خليلاً فيأتون إبراهيم ﷺ فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا موسى ﷺ الذي كلمه الله وأعطاه التوراة قال فيأتون موسى ﷺ فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمداً ﷺ عبداً قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال قال رسول الله ﷺ فيأتوني فأستأذن على ربي فيؤذن لي فإذا أنا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله فيقال يا محمد ارفع رأسك قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فأقع ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال ارفع رأسك يا محمد قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة قال فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة قال فأقول يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود». متفق عليه.

وقال عن قوم موسى: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

وقال عن سحرة فرعون: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الشعراء: ٤٧ ـ ٤٨] إلى قوله: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الشعراء: ٥١] وقال في الآية الأخرى: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

وقال عن يوسف الصديق: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وقال عن بلقيس: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وقال عن أنبياء بني إسرائيل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال عن الحواريين: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ١١١ ـ ١١٢]». اهـ.

٣١ ـ أمثلة من وسطية الإسلام بين الأديان الأخرى:

(٢/ ٣١٠ ـ ٣١٣): «فإن الإسلام وسط في الملل بين الأطراف المتجاذبة والسنة في الإسلام كالإسلام في الملل فالمسلمون في صفات الله تعالى وسط بين اليهود الذين شبهوا الخالق بالمخلوق فوصفوا الخالق بالصفات التي تختص بالمخلوق وهي صفات النقص فقالوا إن الله فقير وإن الله بخيل وإن الله تعب لما خلق العالم فاستراح، وبين النصارى

الذين شبهوا المخلوق بالخالق فوصفوه بالصفات المختصة بالخالق فقالوا هو الله.

والمسلمون وصفوا الخالق بصفات الكمال ونزهوه عن صفات النقص ونزهوه أن يكون شيء كفواً له في شيء من صفات الكمال فهو منزه عن صفات النقص مطلقاً ومنزه في صفات الكمال أن يماثله فيها شيء من المخلوقات.

وكذلك هم في الأنبياء وسط فإن اليهود كما قال فيهم: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧] وكذلك كانوا يقتلون الأنبياء ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس.

والنصارى غلوا فأشركوا بهم ومن هو دونهم قال الله فيهم: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١].

والمسلمون آمنوا بهم كلهم ولم يفرقوا بين أحد منهم فإن الإيمان بجميع النبيين فرض واجب ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم كلهم ومن سب نبياً من الأنبياء فهو كافر يجب قتله باتفاق العلماء وفي استتابته نزاع قال تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا

﴿مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٥ ـ ٢٨٦] والآية الأخرى وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ الآيتين في آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»(١).

وقد ثبت عنه في الصحيح «أنه كان يقرأ في ركعتي الفجر بسورتي الإخلاص ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾»(٢)، وتارة يقرأ في الأولى بآية الإيمان التي في البقرة: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآية وفي الثانية بآية الإسلام في آل عمران: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤](٣).

وكذلك المسلمون وسط في النسخ فإن اليهود قالوا ليس لرب العالمين أن يأمر ثانياً بخلاف ما أمر به أولاً والنصارى جوزوا لرؤوسهم أن يغيروا شريعة المسيح فيحللوا ما شاؤوا ويحرموا ما شاؤوا والمسلمون قالوا رب العالمين يأمر بما يشاء له الخلق والأمر وليس لأحد من الخلق أن يغير دينه ولا يبدل شرعه ولكن هو يحدث من أمره ما يشاء فينسخ ما يشاء.

ويثبت ما يشاء وكذلك في الشرائع كالحلال والحرام فإن اليهود

---

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدراً، وكتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة، وباب من لم ير بأساً أن يقول سورة البقرة وسورة كذا وكذا، وباب في كم يقرأ القرآن...».
ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة، من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب ركعتي الفجر....، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب ركعتي الفجر....، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

حرمت عليهم طيبات أحلت لهم عقوبة لهم وعليهم تشديد في النجاسات يجتنبون أشياء كثيرة طاهرة مع اجتناب النجاسة والنصارى لا يحرمون ما حرمه الله ورسوله بل يستحلون الخبائث ويباشرون النجاسات وكلما كان الراهب أكثر ملابسة للنجاسات والخبائث كان أفضل عندهم والمسلمون أباح الله لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث وهم وسط في سائر الأمور وليس هذا موضع بسط ذلك». اهـ.

٣٢ ـ أمثلة من وسطية أهل السنة بين الفرق الأخرى:

(٢/ ٣١٣ ـ ٣١٤): «وكذلك أهل السنة في الإسلام فهم في الصحابة وسط بين الرافضة التي يغلون في علي فيجعلونه معصوماً أو نبياً أو إلهاً وبين الخوارج الذين يكفرونه.

وهم وسط في الوعيد بين الوعيدية[١] من الخوارج والمعتزلة وبين المرجئة الذين لا يجزمون بتعذيب أحد من فساق الأمة.

وهم في القدر وسط بين النفاة للقدر من المعتزلة وغيرهم وبين الجهمية المثبتة الذين ينكرون حكمة الله في خلقه وأمره.

وهم في الصفات وسط بين المعطلة[٢] الذين ينفون صفات الله أو بعضها ويشبهونه بالجماد والمعدوم وبين الممثلة الذين يمثلون صفاته بصفات خلقه فيصفون الله بصفات خلقه فيصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تعطيل ولا تمثيل ومن غير تكييف ولا تحريف». اهـ.

---

(١) الوعيدية هم القائلون بخلود العصاة في النار.

(٢) المعطلة: التعطيل هو إنكار ما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات، أو إنكار بعضها، والتعطيل نوعان: تعطيل كلي كتعطيل الجهمية الذين ينكرون الأسماء والصفات، وتعطيل جزئي كتعطيل الأشعرية الذين ينكرون بعض الصفات دون بعض. انظر شرح لمعة الاعتقاد: ١١٣، تلخيص الحموية: ١٠.

٣٣ ـ معاهدة الكفار مطلقاً ومقيدة جائزة:

(٢/٣١٨ ـ ٣٢٠): «ولهذا كان بين النبي ﷺ وبين كثير من المشركين عهود مطلقة ومؤقتة فالمؤقتة كانت لازمة والمطلقة لم تكن لازمة بل لكل منهما فسخها فلما فتح الله مكة وغزا النبي ﷺ تبوك سنة تسع من الهجرة وهي آخر غزواته أمر فيها بغزو أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون بقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: ٢٩].

ولما رجع من غزوة تبوك أنزل الله سورة براءة وذكر أحوال المنافقين بقوله (ومنهم)، (ومنهم) ولهذا تسمى الكاشفة والمبعثرة والفاضحة وأمر بنبذ العهود المطلقة وتحريم الحرم على الكفار فأرسل النبي ﷺ أبا بكر أميراً على الموسم وأمره أن ينهى عن طواف العراة بالبيت وأن ينهى المشركين عن الحج ولهذا كان ينادي في الموسم ولا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وأتبعه بعلي بن أبي طالب لأجل نبذ العهود إلى المشركين الذين كانت لهم عهود مطلقة وكان أبو بكر هو الأمير على الموسم وعلي معه يصلي خلفه ويأتمر بأمره لكن أرسله النبي ﷺ لأنه كان من عادة العرب أن العهود لا يعقدها ولا يحلها إلا المطاع أو رجل من أهل بيته فخاف إن لم يبعث واحداً من أهل بيته أن لا يقبلوا نبذ العهود ولم يرجع أبو بكر إلى المدينة ولا عزله عن شيء كان ولاه وما روى من ذلك فهو من الكذب المعلوم أنه كذب.

وكان تأميره على علي بعد قوله لعلي في غزوة تبوك **«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى»**[1] كما قد بسط في موضعه

---

(١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فقال الله تعالى في براءة: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١﴾ [التوبة: ١] إلى قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٤] إلى قوله: ﴿فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة ٤].

وقد ظن طائفة من الفقهاء أنه لا يجوز أن يعاهد الكفار إلا إلى أجل مسمى ثم اضطربوا فقال بعضهم يجوز نقضه ولا يكون لازماً وقال بعضهم بل يكون لازماً لا ينقضي واضطربوا في نبذ النبي ﷺ العهد والصحيح أنه يجوز العهد مطلقاً ومؤجلاً فإن كان مؤجلاً كان لازماً لا يجوز نقضه لقوله: ﴿فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ [سورة التوبة: ٤] وإن كان مطلقاً لم يكن لازماً فإن العقود اللازمة لا تكون مؤبدة كالشركة والوكالة وغير ذلك وقد بسط هذا في غير هذا الموضع وسمي من قال كل قول». اهـ.

٣٤ ـ هل تؤخذ الجزية من كل كافر؟ أم هي خاصة بأهل الكتاب:

(٢/ ٣٢١ ـ ٣٢٢): «ثم العلماء مختلفون بعد نزول آية الجزية[١] هل تؤخذ من أهل الكتاب ومن له شبهة كتاب دون غيره أو تؤخذ من كل كافر جازت معاهدته والنبي ﷺ إنما لم يأخذها من العرب لأن قتالهم كان قبل نزول آية الجزية أو يستثنى مشركو العرب فيها ثلاثة أقوال للعلماء مشهورة والجمهور يجوزون أخذها من مشركي الهند والترك وغيرهم من أصناف العجم كما يجوز الجميع معاهدة هؤلاء عند الحاجة أو المصلحة». اهـ.

---

(١) هي قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ۝٢٩﴾ [التوبة: ٢٩].

٣٥ - مبتدعة الفرق من الخوارج والشيعة وغيرهم خير من الفلاسفة:

(٢/ ٣٢٦): «والفلاسفة المتظاهرون بالإسلام يقولون إنهم متبعون للرسول لكن إذا كشف حقيقة ما يقولونه في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر تبين لمن يعرف ما جاء به الرسول وما يقولونه في نفس الأمر أن قولهم ليس هو قول المؤمنين بالله ورسوله والمسلمين بل فيه من أقوال الكفار والمنافقين شيء كثير.

وفرق أهل الكلام مع بدعهم وضلالهم أقرب إلى الرسول وإلى دين الإسلام خارجيهم وشيعيهم[1] ومعتزليهم وكراميهم[2] لكن غالب هؤلاء ناظروهم مناظرة فاسدة سمعاً وعقلاً فلا هم عرفوا دين الإسلام في كثير من المسائل التي نازعوهم فيها بل صاروا يضيفون إلى دين الإسلام ما

---

(١) نسبة إلى الشيعة، وهم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه، وفضلوه على أبي بكر وعمر، ومنهم من قال: إنه الإمام بعد رسول الله ﷺ بالنص الجلي والخفي، واعتقدوا إن الإمامة لا تخرج عنه وعن ولده، وإن خرجت فبظلم أو تقية منه أو من أولاده، ويقولون: إن الإمامة من أصول الدين، وإن الأئمة معصومون، وهم فرق كثيرة جداً، وأصولها ثلاث: الغلاة، والزيدية، والإمامية.

انظر: الملل والنحل (١/ ١٤٦)، التبصير في أصول الدين (ص١٦)، كشاف اصطلاحات الفنون (٤/ ١٣٦).

(٢) نسبة إلى الكرامية، وهم أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام، قالوا: إن الباري - تعالى - جسم، وأن له سبحانه ثقل وأنه خالق بلا خلق، رازق بلا رزق..، وأن الإيمان هو القول باللسان فقط دون الاعتراف بالقلب، وأن المنافقين مؤمنون حقيقة في الدنيا، أما في الآخرة ففي النار، وقد وافقوا السلف على القول بأن الخلق غير المخلوق، والكرامية مختلفون فيما بينهم، فأوصلهم بعض المؤلفين في الفرق إلى اثنتي عشرة فرقة، وبعضهم جعلهم ثلاث فرق.

انظر: الفرق بين الفرق (ص٢١٥ - ٢٢٥)، الملل والنحل (١/ ١٠٨ - ١١٣)، عقائد الثلاث وسبعين فرقة لليمني (١/ ٢٧٥)، منهاج السنة (٢/ ٣٧٩)، الفتاوى (٣/ ١٠٣).

ليس منه ولا قالوا في الاستدلال والجواب عن معارضيهم ما هو حق بل ردوا باطلاً بباطل وقابلوا بدعة ببدعة.

لكن باطل الفلاسفة أكثر وهم أعظم مخالفة للحق المعلوم بالأدلة الشرعية والعقلية في الأمور الإلهية والدينية من أولئك المبتدعين من أهل الكلام ولكن ضعف معرفة هؤلاء المتكلمين بالحق وأدلته سلطت أولئك كالجند الفساق إذا قاتلوا عسكر الكفار قتالاً لم يكونوا فيه بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء وكان ذلك مما يسلط الكفار عليهم وإن غلبوهم بالفجور والظلم أديلوا عليهم فإن البغي مصرعه وخيم والعدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال وإنما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب ليقوم الناس بالقسط.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥] وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ [الشورى: ١٧] وقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾﴾ [الرحمن: ٧].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨] فأمر الله المؤمنين بالعدل على الكفار وإن كانوا يبغضونهم بغضة أمر الله بها ورسوله قال تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ [المائدة: ٤٢] وقال: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]».

اهـ.



فوائد كتاب الاستغاثة في الرد على البكري

٣٦ - الوليد بن عبد الملك هو الذي أدخل الحجرة النبوية في المسجد:

قال رَحِمَهُ اللهُ في سياق بيان أن السلف لم يكونوا يستغيثون بقبر النبي ﷺ:

(١/ ١٤٦): «ومما يبين هذا أنه في مدة حياة عائشة لم يكن للبيت كوة بل مكشوف، وكانت الشمس تنزل فيه، كما ثبت في الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «أن النبي ﷺ يصلي العصر والشمس في حجرتها لم يظهر الفيء بعد»[1].

ولم تزل الحجر كذلك حتى زاد الوليد بن عبد الملك في المسجد في أمارته لما زاد الحجر في مسجد الرسول ﷺ، وكان نائبه على المدينة ابن عمه عمر بن عبد العزيز وكانت حجر أزواج النبي ﷺ شرقي المسجد وقبليه فأمره أن يشتريها من ملّاكها ورثة أزواج النبي ﷺ فاشتراها وأدخلها في المسجد، فزاد في قبلي المسجد وشرقيه، ومن حينئذ دخلت الحجرة النبوية في المسجد، وإلا فهي قبل ذلك كانت خارجة عن المسجد في حياة النبي ﷺ وبعد موته، ثم إنه بنى حول حجرة عائشة التي فيها القبر جدار عال وبعد ذلك جعلت الكوة لينزل منها ما ينزل إذا احتيج إلى ذلك من أجل كنس أو تنظيف». اهـ.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب وقت العصر، ومسلم، كتاب المساجد، ومواضع الصلاة، باب أوقات الصلوات الخمس.

٣٧ ـ أصل عبادة الأصنام من القبور:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سياق كلامه على مراتب سؤال الموتى وتمثل الشياطين للناس على صورة الميت والغائب (١/ ١٥٧): «.. بل أصل عبادة الأصنام إنما كانت من القبور كما قال ابن عباس(١) وغيره». اهـ.

٣٨ ـ كثير من الناس بغضهم للنصارى لا للدين، إنما لظهورهم في الدنيا وتمكنهم منها:

(١/ ٢٤١): «وكنت أقول لهم إن الله وعد بنصره المؤمنين على الكافرين وأنتم مشابهون للنصارى وفيهم من هو أكفر من النصارى وأعظم إلحاداً ونفاقاً من النصارى، وكثير من بغضهم للنصارى إنما هو لهوى وحظ كونهم في الدنيا رياسة ومال أكثر منهم، ولا يبغضونه لأجل كفرهم ودينهم، إذ كانوا مشاركين لهم في كثير منه، وبعضهم أشد كفراً ونفاقاً من النصارى، وبعض النصارى أكفر منهم، وطائفة من شيوخهم يميلون إلى النصارى أكثر من المسلمين، ويأمرونهم بالبقاء على دينهم ويقولون إذا صرتك محققين على طريقتنا فلا حاجة بكم إلى الإسلام، بل دوموا على النصرانية». اهـ.

٣٩ ـ أنواع الاستغاثة أربعة، وحكم كل نوع:

قال رحمه الله تعالى في ذكره مراتب بدعة دعاء الموتى:

---

(١) روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود كانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع كانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبإ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت».

(١/ ١٥٤): «ولهذا تتمثل الشياطين على صورة الميت أو الغائب كما كانت تتمثل لعباد الأصنام، بل أصل عبادة الأصنام كانت من القبور كما قال ابن عباس وغيره». اهـ.

٤٠ ـ سؤال الناس محرم في الأصل، وهو أشد تحريماً من الميتة:

(١/ ٢٧٧): «وأما سؤال الناس، فسؤالهم في الأصل محرم بالنصوص له، وإنما يباح عند الضرورة». اهـ.

(١/ ٢٨٣): «فإن النصوص تقتضي أن ترك سؤال الخلق أفضل مطلقاً، ولهذا فإن النبي ﷺ في صفة السبعين ألفاً قال: «**الذين لا يسترقون**»[١] والمسترقي يطلب الدعاء من الراقي، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، فقد بين أنه كافي من توكل عليه، وأنه لا بد أن يرزق المتقي من حيث لا يحتسب، والميتة رزق ساقه الله إليه عند الضرورة فليس له أن يمتنع من أكله فيعين على قتل نفسه، ولو أتاه مال من غير مسألة ولا إشراف نفس أخذه وهذا كله يدل على أن سؤال الخلق والاستغاثة بهم حرام في الأصل، ولا يباح إلا لضرورة، وهو في الأظهر أشد تحريما من الميتة». اهـ.

٤١ ـ التكفير حق لله تعالى، وليس لأحد غيره تعالى:

(١/ ٣٨١ ـ ٢٨٢): «وكذلك التكفير حق لله فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله، وأيضاً فإن تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوف

---

(١) رواه البخاري، كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو، وباب من لم يرق، وكتاب الرقاق، باب ومن يتوكل على الله فهو حسبه، وباب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب.

ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها، وإلا فليس كل من جهل شيئاً من الدين يكفر». اهـ.

٤٢ ـ يجوز مدح الله تعالى بالنظم والشعر، بل هو أمر حسن:

(٢/ ٤٥٤ ـ ٤٦٠): «ويجوز مدح الله والثناء عليه بالنظم وكذلك دعاءه، كما قال الأسود بن سريع للنبي ﷺ لما نظم شعراً في مدح الله تعالى فقال: إني حمدت ربي بمحامده، فقال: **«إن ربك يحب الحمد»**(١) فلم ينكر عليه ذلك، لكن روي أنه قال ولم يستنشده، وروي أنه استنشده كما روى الإمام أحمد في مسنده عن الأسود بن سريع قال: قلت يا رسول الله إني مدحت ربي بمدحه ومدحتك بأخرى فقال النبي ﷺ: **«هات وابدأ بمدحة الله»**(٢).

ولكن ثبت عنه أنه كان يستنشد الشريد بن السويد الثقفي شعر أمية بن الصلت وهو يقول: **«هيه هيه»**(٣).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٣٥) والحاكم في المستدرك في كتاب معرفة الصحابة (٣/ ٦١٤)، وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٨٢) بالأرقام (٨٢١، ٨٢٠، ٨٢٢، ٨٢٤، ٨٢٥)، والبخاري في الأدب المفرد، باب من الشعر لحكمة (ص٢٨٩)، واللفظ للحاكم، وحسنه ناصر الدين الألباني في صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري (ص٢٢٠) رقم (٦٦٠).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٣٥) (٤/ ٢٤)، واللفظ له، والحاكم في المستدرك (٣/ ٦٥١)، كتاب معرفة الصحابة، وقال حديث صحيح الإسناد، وتعقبه الذهبي بقوله: معمر له مناكير واسمه معمر بن بكار السعدي.اهـ، والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٨٢) رقم (٨١٩)، والبخاري في الأدب المفرد باب من مدح في الشعر (ص١٢٥) رقم (٣٤٣)، وقد ضعفه الألباني في ضعيف الأدب المفرد ص٤٥، وقال: ضعيف بهذا التمام».

(٣) رواه مسلم في كتاب الشعر، ولفظه: «قال ردفت رسول الله ﷺ يوما فقال هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟ قلت: نعم، قال: هيه، فأنشدته بيتاً، فقال: هيه، ثم أنشدته بيتاً، فقال: هيه، حتى أنشدته مائة بيت».

وذلك مثل قوله:

مجدوا الله فهو للمجد أهل ربنا في السماء أمسى كبيرا
بالبناء الأعلى سبق الناس وسوى فوق السماء سريرا
شرجعا ما يناله بصر العين ترى دونه الملائك صورا

وقوله:

زحل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى ليث مرصد

وغير ذلك:

ومنه قول النبي ﷺ: «**إن أخاكم لا يقول الرفث**»(١) يعني ابن رواحة، وذلك كقوله الذي أنشده للنبي ﷺ:

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا
تحمله ملائكة شداد ملائكة الأله مسومينا

وقوله:

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه اذا استثقلت بالكافرين المضاجع

ومن ذلك ما كان النبي ﷺ والصحابة يتمثلون به:

اللّهم لولا أنت ما اهدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الأولى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

وهذا النظم فيه دعاء الله:

---

(١) رواه البخاري في كتاب التهجد، باب فضل من تعارّ في الليل فصلى، من حديث أبي هريرة ﷺ.

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

ومثل هذا البيت قولهم: اللّهم ويقال لاهُمَّ إن العيش، كما في قول عبد المطلب:

لاهُمَّ إن المرء يمنع رحله وحلاله فامنع حلالك

ومنه قوله ﷺ:

إن تغفر اللّهم تغفر جما وأي عبدٍ لكَ لا ألمَّا[1]

ومنه قول الصحابة:

اللّهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة[2]

وكان النبي ﷺ يتمثل به لكن روي أنه قال: «**فاغفر للمهاجرين والأنصار**»[3]، وهذا دعاء في الشعر وقد أقر الصحابة على قوله، فدل على جوازه». اهـ.

٤٣ ـ ليس كل الشعر مذموماً:

(٢/ ٤٦١ ـ ٤٦٢): «وليس كل الشعر مذموم، بل منه ما هو مباح كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن مِنَ الشعر

---

(١) رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ن وسورة النجم، من حديث ابن عباس وقال: حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وكذا رواه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي.
والراجح أن قائل هذا البيت هو أمية بن أبي الصلت كما نسبه ابن منظور في لسان العرب وغيره انظر هامش كتاب الاستغاثة (٢/ ٤٥٩).

(٢) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري في المناقب باب دعاء النبي ﷺ أصلح الأنصار والمهاجرة، وفي كتاب المغازي، باب غزوة الخندق.
ومسلم في الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق.

لحكمة»[1] وقد قال تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٧]، فقد استثنى ممن ذمه الله من الشعراء من ذكره فدل ذلك على أنه ليس كل الشعراء مذمومين، وقد ثبت في الصحيح أنه كان ينصب لحسان بن ثابت منبراً ويأمره بهجاء المشركين ويقول: «**اللّهم أيده بروح القدس**»[2] وفي رواية: «**إن روح القدس معك ما نافحت عن الله ورسوله**»[3].

وقد سمع شعر خزاعة لما قدموا عليه حين عدت بنو بكر على خزاعة وانشدوه القصيدة المعروفة التي فيها:

إن قريشا أخلفوك الموعدا ... ونقضوا ميثاقك المؤكدا

إلى آخرها، وكذلك سمع قصيدة كعب بن زهير المشهورة التي أولها: بانت سعاد[4]، إلى غير ذلك من الأدلة الشرعية التي تدل على أن من الشعر ما يجوز إنشاده وإنشاؤه واستماعه، ومما يبين حكمة الشريعة وعظم قدرها وأنها كما قيل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق». اهـ.

٤٤ ـ حكم الصلاة في الكنيسة:

(٢/ ٤٧٤): «وقد تنازع الفقهاء في الصلاة في الكنيسة، وقال

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء، وما يكره منه، من حديث أبي بن كعب.

(٢) رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب الشعر في المسجد، وكتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، وكتاب الأدب، باب هجاء المشركين، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه.

(٤) القصة بطولها في سيرة ابن هشام (٤/ ٥٠٣)، والبداية والنهاية (٤/ ٣٥).

البخاري: قال ابن عباس: لا بأس في الصلاة في الكنيسة»[1]، وقيل يكره مطلقاً، وقيل يرخص فيها.

والصحيح إنه إن كان فيها تماثيل كانت بمنزلة المساجد المبنية على القبور، وبمنزلة دار الأصنام، فالمصلي فيها مشابه لمن يعبد غير الله، وإن كانت نيته الصلاة فيها لله، كما أن المصلي عند طلوع الشمس وعند غروبها لما شابه من يعبد غير الله نهي عن ذلك سداً للذريعة، وأيضاً الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة، فكيف يصلي فيه؟ ولهذا لم يدخل النبي ﷺ الكعبة حتى أزيلت الصور، بخلاف الكنيسة التي لا صور فيها، فإن قيل: تكره لكونها محل الكفر: قيل الصلاة في محل الكفر بمنزلة فتح دار الكفر فجعلها دار إسلام، وبمنزلة صلاة المسلمين في دار الحرب، وقد أمر النبي ﷺ ثقيفاً أن يتخذوا مسجدهم في موضع ببيت اللات بعد هدم اللات[2] وكانوا يسمونها الربة.

ولهذا فضل ذاكر الله في الغافلين، وقيل: «إنه كالشجرة الخضراء بين الشجر اليابس»[3] فالعابد بين أهل الكفر والغفلة أعظم أجراً من غيره فإن قيل: الصلاة فيها غصب لهم، قيل له: الكنائس ليست ملكاً لأحد، وليس لهم أن يمنعوا فيها من يعبد الله، لأنا صالحناهم على هذا، بل قد شرط عليهم عمر بن الخطاب ﷺ أن يوسعوا أبوابها للمارة». اهـ.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة، تعليقاً عنه.

(٢) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب بناء المساجد، وابن ماجة في أبواب المساجد، باب أين يجوز بناء المساجد، من حديث عثمان بن العاص ﷺ، وسنده ضعيف فيه محمد بن عبد الله بن عياض الطائفي لم يوثقه غير ابن حبان. ولذا قال الحافظ في التقريب (٢/٩٨) «مقبول».

(٣) قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (١/٢٤١): «أخرجه أبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف».اهـ.

٤٥ ـ كان أحد المباشرين لقضاء القضاة يدعو عند قبر ثم اكتشف أنه قبر رافضي:

(٢/ ٥٠٠): «حتى بعض أصحابنا المباشرين لقضاء القضاة لما بلغه أني أنهى عن ذلك صار عنده من ذلك شبهة ووسواس، لما يعتقده من الحق فيما أذكر، ولما عنده من المعارضة لذلك، قال لبعض أصحابنا سراً أنا خرجت إجابة الدعاء عند قبر بالقرافة، فقال له ذلك الرجل: فأنا ذاهب معك إليه ليعرف (قبر من هو)؟ فذهبنا إليه، فوجدا مكتوباً عليه عبد علي، فعرفوا أنه إما رافضي وإما إسماعيلي». اهـ.

٤٦ ـ حديث الحجر الأسود يمين الله في الأرض:

(٢/ ٥٩٢): «وقد بينا في غير هذا الموضوع أن عامة ما يورد على ألفاظ الكتاب والسنة ويدّعى أن ظاهرها ممتنع، إنما أوتي من سوء فهمه، لا من قصور في بيان الله ورسوله، بل ممن تأول مثل طائفة في قوله «الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن استلمه أو صافحه، فكأنما صافح الله وقبل يمينه»[1] وهذا معروف عن ابن عباس، وقد روي مرفوعاً ولم يثبت بهذا اللفظ، قالت طائفة إنه يحتاج إلى تأويل وليس كما قالوا فإنه قال فيه «يمين الله في الأرض» فقيل «الخطاب في الأرض لم يطلق فيه، وقال في إثباته فمن استلمه فكأنما صافح الله وقبل يمينه والمشبه غير المشبه به، ففي الحديث بيان أنه ليس بصفة الله وإنما هو بمنزلة اليمين في الاستلام والتقبيل ولا يدل ولا يفهم منه غير هذا». اهـ.

٤٧ ـ لو دخل مسلم ديار الروافض والخوارج فكتم حبه للصحابة بل وعرّض لم يأثم:

(٢/ ٥٩٥): «ولو قدر أن شخصاً أبطن خلاف ما يظهر من الأقوال

---

(١) الحديث باطل لا يصح مرفوعاً عن النبي ﷺ. انظر السلسة الضعيفة للشيخ الألباني (١/ ٣٩٠) حديث رقم (٢٢٣).

لم يكن زنديقاً إلا إذا أبطن الكفر وإلا فمن أبطن قولاً يعتقد أنه دين الإسلام ويناظر عليه لم يكن هذا زنديقاً عند الفقهاء بل إن كان مخطئاً فقد يكون مبتدعاً، وإن كان مصيباً وسكت خوف العدوان عليه لم يكن مبتدعاً، ولو دخل مسلم دار الرافضة والخوارج فكتم حبه للصحابة رضوان الله عليهم لم يكن زنديقاً، ولو عرض لم يأثم بذلك». اهـ.



فوائد كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح

٤٨ ـ معجزات النبي ﷺ نوعان، ثلاثة أقسام حسية، وستة أقسام معنوية:

قال في حاشية الكتاب (١/ ٣٩٩): «معجزات النبي ﷺ قسمان:

الأول: حسية وهي ثلاثة أنواع:

١ ـ خارجة عن ذاته ﷺ وهي المعجزات التي أجراها الله على يديه.

٢ ـ في ذاته ﷺ كخاتم النبوة بين كتفيه، وما شوهد من خلقته وصورته الدالة على نبوته.

٣ ـ في صفاته ﷺ كصدقه وأمانته وشجاعته... الخ.

الثاني: عقلية، وهي ستة أنواع:

١ ـ أنه من قبيلة ليست من أهل العلم، ولم يرحل إلا إلى الشام مرتين، فلا يتهم والحالة هذه بأنه ادعى النبوة من عنده.

٢ ـ انقضى من عمره أربعون سنة، ولم يخض في ذلك، والشباب هو سن الحماس والاندفاع لمثل هذه الأمور.

٣ ـ تحمله في أداء الرسالة وأنواع المشاق، وصنوف المتاعب.

٤ ـ كان ﷺ مجاب الدعوة فما دعا الله في شيء إلا وأجاب دعوته.

٥ ـ جاءت البشارة به في الكتب السابقة والنصوص في ذلك كثيرة وموجودة.

٦ ـ أخبر عليه السلام عن الغيوب بما يشهد أنه نبي من عند الله، وإلا فمن أخبره بذلك؟». اهـ.

٤٩ ـ الشرك غالب على النصارى والكبر غالب على اليهود:

(٣/ ٦٧): «فهذا الإله الذي يعبده محمد وأمته وليس هو إله المشركين الذي يعبدونه وإن كان هو المستحق لأن يعبدوه فإنهم يشركون بعبادته ويصفونه بما هو بريء منه فلا يخلصون له الدين فيعبدوا معه آلهة أخرى إن لم يستكبروا عن عبادته وإله العبد الذي يعبده بالفعل ليس حاله معه كحاله مع الذي يستحق أن يعبده وهو لا يعبده بل يشرك به أو يستكبر عن عبادته فهذا هو الذي قال فيه﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢﴾ [الكافرون: ٢].

والشرك غالب على النصارى والكبر غالب على اليهود». اهـ.

٥٠ ـ يجب الفرق بين أن يقال إن الصفات غير الذات وبين أن يقال غير الله:

(١٦/٥ ـ ١٩): «وقد تنازع المثبتة هل يقال الصفات عين الذات أم يقال ليست عين الذات أم يقال لا يقال هن غير الذات ولا يقال ليست غير الذات وتنازعوا في مسمى الغيرين هل هما ما جاز مفارقة أحدهما الآخر مطلقاً أو ما جاز مفارقته بوجود أو زمان أو مكان أو هما ما جاز العلم بأحدهما مع عدم العلم بالآخر وغاية ذلك منازعات لفظية.

وكثير منهم فرق في الصفات اللازمة بين بعضها وبعض فجعل بعضها زائداً على الذات وبعضها ليس بزائد على الذات وكان الفرق بحسب ما يتصوره لا بحسب ما الأمر عليه في نفسه فإذا أمكنهم تصور الذات بدون صفة قالوا هذه زائدة وإلا قالوا ليست زائدة وهذا يقتضي أنها زائدة على ما تصوروه هم من الذات لا أنه في الخارج ذات مجردة عن تلك الصفة وصفة زائدة عليها بل ليس إلا الذات المتصفة بتلك الصفات.

ولكن يجب الفرق بين أن يقال إن الصفات غير الذات وبين أن

يقال إنها غير الله فإن اسم الله متناول لذاته المتصفة بصفاته فإذا قال القائل دعوت الله وعبدت الله فلم يدع ذاتاً مجردة ولا صفات مجردة بل دعا الذات المتصفة بصفاتها فاسمه تعالى يتناول ذلك فليست صفاته خارجة عن مسمى اسمه ولا زائدة على ذلك وإن قيل إنها زائدة على الذات المجردة ومن ظن أنها زائدة على الذات المتصفة بصفاتها التي تدخل صفاتها في مسماها فقد غلط ولكن في الأذهان والألسنة زلق في هذا الموضع كثيراً.

فإذا قيل الصفات مغايرة للذات لم يكن في هذا من المحذور ما في قولنا إن صفات الله غير الله فإن اسم الله يتناول صفاته.

فإذا قيل إنها غيره فهم من ذلك أنها مباينة له وهذا باطل ولهذا كان النفاة[1] إذا ناظروا أئمة المسلمين كما ناظروا الإمام أحمد بن حنبل في محنته المشهورة[2] فقالوا له ما تقول في القرآن وكلام الله أهو الله أم غير الله عارضهم بالعلم وقال لهم ما تقولون في علم الله أهو الله أم غير الله وأجاب أيضاً بأن الرسل لم تنطق بواحد من الأمرين فلا حجة لهم في كلام الله ورسوله فإن الله لم يقل لكلامه هو أنا ولا قال إنه غيري

---

(١) النفاة، هم المعطلة، من النفي والتعطيل: وهو نفي الصفات الإلهية عن الله ـ تعالى ـ وإنكار قيامها بذاته، كما تفعل الجهمية والمعتزلة وغيرهم.
انظر هامش الجواب الصحيح (٥/ ١٧).

(٢) وذلك عندما حاول الخليفة العباسي المأمون حمل الناس على القول بعقيدة خلق القرآن، فتصدى له الإمام أحمد لإنكار ذلك، فاعتقل وأرسل هو وزميله: محمد بن نوح إلى المأمون في الرقة، فمات المأمون، وتولى المعتصم فأبقاه في الحبس، وأمر بضربه، وكان يشرف بنفسه على ذلك، ثم أطلقه ورجع إلى بيته بعد ثمانية وعشرين شهراً من الاعتقال والتعذيب، ثم مات المعتصم، وتولى الواثق، فأمره بنفي نفسه، فاختفى حتى مات الواثق، ثم تولى المتوكل فانكشف الغمة وظهرت السنة. .اهـ نقلاً من هامش الجواب الصحيح (٥/ ١٨).

حتى يقول القائل إذا كان قد جعل كلامه غيره وسواه فقد أخبر أنه خالق لكل ما سواه.

فإن كان الاحتجاج بالسمع فلا حجة فيه وإن كان الاحتجاج بالعقل فالمرجع في ذلك إلى المعاني لا إلى العبارات فإن أراد المريد بقوله هل كلامه وعلمه غيره أنه مباين له فليس هو غيراً له بهذا الاعتبار وإن أراد بذلك أن نفس الكلام والعلم ليس هو العالم المتكلم فهو غير له بهذا الاعتبار وإذا كان اللفظ مجملاً لم يجز إطلاقه على الوجه الذي يفهم المعنى الفاسد وأما الذين جعلوا الأعيان القائمة بأنفسها صفات فهم هؤلاء المتفلسفة النفاة للصفات ومن أشبههم فإنهم قالوا إن رب العالمين عقل وعاقل ومعقول». اهـ.

٥١ ـ الكفر أربعة أنواع: ١ ـ إنكار ٢ ـ جحود ٣ ـ عناد ٤ ـ نفاق:

قال محقق الكتاب في الحاشية (٥/ ٣٢٢): «والكفر أربعة أضرب:

١ ـ كفر إنكار: وهو أن لا يعرف الله أصلاً، ككفر فرعون.

٢ ـ كفر جحود: وهو أن يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر إبليس.

٣ ـ كفر عناد: وهو أن يعرف الله بقلبه، يقر بلسانه، ولا يدين به، ككفر أمية بن أبي الصلت وأبي طالب.

٤ ـ كفر نفاق: وهو أن يقر بلسانه ولا يعتقد صحة ذلك بقلبه». اهـ.

٥٢ ـ مكان كهف أصحاب الكهف في قرية الرجيب في الأردن، على بعد سبعة عشر كيلو متر من عمّان:

قال محقق الكتاب في الحاشية:

(٥/ ٣٢٢): «هذا وقد ذكرت جريدة (المسلمون) اللندنية في عددها ذي الرقم ١٠٩ الصادر في يوم ٧/ ٧/ ١٤٠٧هـ أن باحثاً مسلماً هو (محمد تيسير ظبيان) أردني الجنسية، اكتشف مكان الكهف، واسمه (الرجيب)

ويبعد عن مدينة عمان ١٧ كلم، وهذه التسمية (الرجيب) إنما هي (الرقيم) وهي قرية صغيرة يقيم بها أناس من قبيلة (الشوابكة) وقد تم إجراء حفريات بهذا الكهف ووجدت بها ثمانية قبور ومجموعة من الأثريات، ويؤكد هذا الباحث أن الزعم بأن الكهف يوجد في (أفسوس) زعم باطل لا أساس له، وأن السبب فيه هو أن المؤرخين ورجال الكنيسة يصرون على أن (أفسوس) هي التي يوجد بها الكهف لأنها كانت عندهم أهم المراكز الرئيسه للدعوة النصرانية، وقبل ذلك كانت للبوذية». اهـ.

٥٣ ـ قصص وحوادث وقعت من كفار مكة وغيرهم، تبيّن تصديقهم لرسول الله ﷺ فيما يقول وإن جحدوا:

(٥/٣٥٨ ـ ٣٨٦): «وقد ذكرنا أن قومه المعادين له غاية العداوة ما زالوا معترفين بصدقه وأنهم لم يجربوا عليه كذباً بل ومعترفين بأن ما يقوله ليس بشعر ولا كهانة وأنه ليس بساحر وكانوا في أول أمره يرسلون إلى البلاد التي فيها علماء أهل الكتاب يسألونهم عنه لأن مكة لم يكن بها ذلك.

ففي الصحيحين عن ابن عباس أن أبا سفيان بن حرب حدثه قال انطلقت إلى الشام في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله قال فبينما أنا بالشام إذ جيء بكتاب رسول الله إلى هرقل قال وكان دحية الكلبي جاء به فدفعه إلى عظيم بصرى فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل فقال هرقل: هل ها هنا أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قالوا: نعم، قال: فدعيت في نفر من قريش فدخلنا على هرقل فأجلسنا بين يديه، فقال: أيكم أقرب نسباً من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قال أبو سفيان: فقلت: أنا، فأجلسوني بين يديه وأجلسوا أصحابي خلفي فدعا بترجمانه فقال: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي

فإن كذبني فكذبوه، قال: فقال: وأيم الله لولا مخافة أن يؤثر علي كذب لكذبت عليه ثم قال: لترجمانه سله كيف حسبه فيكم؟ قال: قلت: هو فينا ذو حسب قال:

فهل كان في آبائه من ملك؟ قلت: لا قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا»[1] وذكر باقي الحديث.

---

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل.. بلفظ «أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشأم في المدة التي كان رسول الله ﷺ ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهم بإيلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي فقال أبو سفيان فقلت أنا أقربهم نسباً فقال أدنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره ثم قال لترجمانه قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذباً لكذبت عنه ثم كان أول ما سألني عنه أن قال كيف نسبه فيكم قلت هو فينا ذو نسب قال فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله قلت لا قال فهل كان من آبائه من ملك قلت لا قال فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم فقلت بل ضعفاؤهم قال أيزيدون أم ينقصون قلت بل يزيدون قال فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه قلت لا قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال قلت لا قال فهل يغدر قلت لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها قال ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة قال فهل قاتلتموه قلت نعم قال فكيف كان قتالكم إياه قلت الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه قال ماذا يأمركم قلت يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة فقال للترجمان قل له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول فذكرت أن لا فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتسي بقول قيل قبله وسألتك هل كان من آبائه من ملك فذكرت أن لا قلت فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه وسألتك هل كنتم =

= تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فذكرت أن لا فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر وسألتك بما يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

قال أبو سفيان فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا فقلت لأصحابي حين أخرجنا لقد أَمِر أَمْرُ ابن أبي كبشة إنه يخافه ملك بني الأصفر فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام وكان ابن الناظور صاحب إيلياء وهرقل سقفاً على نصارى الشأم يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس فقال بعض بطارقته قد استنكرنا هيئتك قال ابن الناظور وكان هرقل حزاء ينظر في النجوم فقال لهم حين سألوه إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر فمن يختتن من هذه الأمة قالوا ليس يختتن إلا اليهود فلا يهمنك شأنهم واكتب إلى مداين ملكك فيقتلوا من فيهم من اليهود فبينما هم على أمرهم أتي هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله ﷺ فلما استخبره هرقل قال اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا فنظروا إليه فحدثوه أنه مختتن وسأله عن =

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود حديث سعد بن معاذ لما قال لأمية: إنهم قاتلوك يعني النبي وأصحابه وفزع منه لذلك وقال لامرأته ذلك فقالت: «والله ما يكذب محمد» وقال هو: في رواية أخرى: «والله ما يكذب محمد وعزم أن لا يخرج خوفاً من هذا وقال والله لا أخرج من مكة وأراد التخلف عن بدر حتى قال له أبو جهل إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد هذا الوادي تخلفوا معك فقال أما إذا غلبتني فلأشترين أجود بعير بمكة وذكرته امرأته بقول سعد فقال ما أريد أن أكون معهم إلا قريباً»(١).

وكذلك ما ذكره أهل المغازي وغيرهم أن أبي بن خلف لما بلغه أن النبي قال أنا أقتله ثم طعنه رسول الله فخدشه وجعل أصحابه يجزعونه ويقولون إنما هو خدش وليس بشيء فقال والله لو كان بمضر لقتلهم أليس قال: «لأقتلنك»(٢).

وعن مجاهد(٣) قال: مولاي السائب بن أبي السائب كنت فيمن

= العرب فقال هم يختتنون فقال هرقل هذا ملك هذه الأمة قد ظهر ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية وكان نظيره في العلم وسار هرقل إلى حمص فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ وأنه نبي فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص ثم أمر بأبوابها فغلقت ثم اطلع فقال يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال ردوهم علي وقال إني قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت فسجدوا له ورضوا عنه فكان ذلك آخر شأن هرقل.

(١) رواه البخاري، في كتاب المغازي، باب ذكر النبي ﷺ من يقتل ببدر.

(٢) انظر سيرة ابن هشام (٣/ ٨٩).

(٣) هو الإمام: مجاهد بن جبر المخزومي، مولاهم، المكي، أبو الحجاج، من الأئمة الثقات من الطبقة الثالثة من التابعين ومن كبار المفسرين والفقهاء توفي =

بنى البيت وأن قريشاً اختلفوا في الحجر حين أرادوا أن يضعوه حتى كادوا يقع بينهم قتال بالسيوف فقال اجعلوا بينكم أول رجل يدخل من الباب فدخل رسول الله وكانوا يسمونه في الجاهلية الأمين فقالوا يا محمد قد رضينا بك»[1].

وعن عقيل بن أبي طالب[2] قال: جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا له: إن ابن أخيك يأتينا في كعبتنا ونادينا ويسمعنا ما يؤذينا فإن رأيت أن تكفه عنا فافعل، قال: فقال لي يا عقيل التمس ابن عمك قال: فأخرجته من كبس من أكباس شعب أبي طالب فأقبل يمشي حتى انتهى إلى أبي طالب فقال له: يا ابن أخي والله ما علمت إن كنت لي مطيعاً وقد جاءني قومك يزعمون أنك تأتيهم في كعبتهم وناديهم فتسمعهم ما يؤذيهم فإن رأيت أن تكف عنهم قال: فحلق ببصره إلى السماء فقال: **«والله ما أنا بأقدر على أن أدع ما بعثت به من أن يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من النار»**.

فقال أبو طالب: إنه والله ما كذب قط فارجعوا راشدين، رواه البخاري في تاريخه وأبو زرعة في الدلائل ورواه ابن إسحاق قريباً من هذا اللفظ وقال: «فأخرجته من حفش وهو بيت صغير وقال فيه فظن رسول الله أن قد بدا لعمه وأنه خاذله ومسلمه وضعف عن القيام معه

= سنة (١٠٣هـ) وعمره ٨٣ سنة، وقد أخرج له أصحاب الكتب الستة وسائر أهل الحديث. انظر: تقريب التهذيب (٢/ ٢٢٩)، (ت ٩٢٢)، والطبقات الكبرى، لابن سعد (٥/ ٤٦٦) و(٤٦٧).

(١) انظر سيرة ابن هشام (١/ ٢٠٩ ـ ٢١٠).

(٢) هو عقيل بن عبد مناف بن عبد المطلب، القرشي الهاشمي: ابن عم رسول الله ﷺ، يكنى أبا يزيد، أسلم قبل الحديبية، وهاجر سنة (٨هـ)، وشهد غزوة مؤتة، ومات في خلافة معاوية سنة (٦٠هـ) وقيل بعدها.
انظر: أسد الغابة (٣/ ٥٦٠ ـ ٥٦٣)، وتقريب التهذيب (٢/ ٢٩).

فقال: «**يا عم لو وضعت الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه**».

وفي الصحيحين عن عبد الله بن الصامت قال: قال أبو ذر: «خرجنا من قومنا غفار وكانوا يحلون الشهر الحرام فخرجت أنا وأخي أنيس وأمنا فنزلنا على خال لنا فأكرمنا وأحسن إلينا فحسدنا قومه فقالوا إنك إذا خرجت عن أهلك خالف إليهم أنيس فجاء خالنا فنثا علينا الذي قيل له فقلت له أما ما مضى من معروفك فقد كدرته ولا جماع لك فيما بعد فقربنا صرمتنا فاحتملنا عليها وتغطى خالنا بثوبه يبكي وانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكة.

فنافر أنيس رجلاً عن صرمتنا وعن مثلها فأتينا الكاهن فخير أنيسا فأتى بصرمتنا ومثلها معها قال: وقد صليت يا ابن أخي قبل أن ألقى رسول الله ﷺ بثلاث سنين قلت: لمن؟ قال: لله قلت: فأين توجه قال: أتوجه حيث يوجهني ربي أصلي عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ألقيت كأني خفاء حتى تعلوني الشمس فقال أنيس: إن لي حاجة بمكة فاكفني، فانطلق أنيس حتى أتى مكة فراث علي ثم جاء فقلت: ما صنعت؟ قال: لقيت رجلاً بمكة على دينك يزعم أن الله أرسله قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون: شاعر كاهن ساحر وكان أنيس أحد الشعراء قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعت قوله على أقراء الشعراء فما يلتئم على لسان أحد يقرى بعدي أنه شعر والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون قال: قلت: فاكفني حتى أذهب فأنظر قال: فأتيت مكة فضعفت رجلاً منهم فقلت: أين هذا الذي تدعونه الصابىء؟ فأشار إلي فقال: الصابىء! فمال علي أهل الوادي بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشياً علي، وذكر الحديث وصفة إسلامه رضي الله عنه بلفظ مسلم(١).

(١) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام أبي ذر، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي ذر واللفظ له.

وفي حديث البخاري عن ابن عباس أن أبا ذر أرسل أخاه وقال اعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء فاسمع من قوله ثم ائتني فانطلق الآخر حتى قدم مكة وسمع من قوله ثم رجع إلى أبي ذر فقال رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وكلاماً ما هو بالشعر.

فقال ما شفيتني فيما أردت فتزود وحمل شنة له فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد وذكر تمام الحديث»[1].

---

(١) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام أبي ذر، من حديث ابن عباس بلفظ: لما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ قال لأخيه اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء واسمع من قوله ثم ائتني فانطلق الأخ حتى قدمه وسمع من قوله ثم رجع إلى أبي ذر فقال له رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وكلاماً ما هو بالشعر فقال ما شفيتني مما أردت فتزود وحمل شنة له فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد فالتمس النبي ﷺ ولا يعرفه وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل فاضطجع فرآه علي فعرف أنه غريب فلما رآه تبعه فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يراه النبي ﷺ حتى أمسى فعاد إلى مضجعه فمر به علي فقال أما نال للرجل أن يعلم منزله فأقامه فذهب به معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى إذا كان يوم الثالث فعاد علي على مثل ذلك فأقام معه ثم قال ألا تحدثني ما الذي أقدمك قال إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت ففعل فأخبره قال فإنه حق وهو رسول الله ﷺ فإذا أصبحت فاتبعني فإني إن رأيت شيئاً أخاف عليك قمت كأني أريق الماء فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ففعل فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي ﷺ ودخل معه فسمع من قوله وأسلم مكانه فقال له النبي ﷺ ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري قال والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ثم قام القوم فضربوه حتى أضجعوه وأتى العباس فأكب عليه قال ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار وأن طريق تجاركم إلى الشأم فأنقذه منهم ثم عاد من الغد لمثلها فضربوه وثاروا إليه فأكب العباس عليه.

وعن جابر بن عبد الله قال الملأ وأبو جهل لبد غلبنا أمر محمد فلو التمستم رجلاً عالماً بالشعر والكهانة والسحر فأتاه فكلمه وأتانا ببيان من أمره.

قال عتبة بن ربيعة: والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما فما يخفى علي إن كان كذلك فأتاه فلما خرج إليه قال: أنت يا محمد خير أم هاشم وأنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله؟ فيما تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا فإن كنت إنما بك الرياسة عقدنا لك الرياسة فكنت رأسنا ما بقيت وإن كان بك الباه زوجناك عشر نسوة تختار من أي بنات قريش شئت وإن كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به أنت وعقبك من بعد ورسول الله ساكت لا يتكلم فلما فرغ قرأ رسول الله: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣﴾، إلى قوله: ﴿فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةً مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾. [فصلت: ١ ـ ١٣].

فأمسك عتبة على فيه وناشد بالرحم أن يكف ورجع إلى أهله فلم يخرج إلى قريش فاحتبس عنهم عتبة فقال أبو جهل: يا معشر قريش والله ما نرى عتبة إلا قد صبأ إلى محمد وأعجبه طعامه وما ذاك إلا من حاجة أصابته فانطلقوا بنا إليه فأتاه أبو جهل فقال: يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك صبوت إلى محمد وأعجبك أمره فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب وأقسم أن لا يكلم محمد أبداً وقال لقد علمتم أني من أكثر قريش مالاً ولكني أتيته وقصصت عليه القصة فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر.

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣﴾، إلى قوله: ﴿فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةً مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١ ـ ١٣].

فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب» رواه أبو بكر أحمد بن مردويه[1] في كتاب التفسير عن محمد بن فضيل[2] عن الأجلح[3] عن الذيال بن حرملة[4] عنه ورواه يحيى بن معين[5] عن محمد بن فضيل ورواه أبو يعلى الموصلي[6] في مسنده ورواه عبد بن حميد[7] عن شيخ

---

(١) هو أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك بن موسى بن جعفر الأصبهاني، أبو بكر، الحافظ المجود العلامة، محدث أصبهان، ولد سنة (٣٢٣هـ)، ومات سنة (٤٢٤هـ)، وله كتاب التفسير الكبير والتاريخ والأمالي والمستخرج على صحيح البخاري.
انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٠٨ ـ ٣١١).

(٢) هو محمد بن فضيل بن غزوان بن جرير الضبي مولاهم، أبو عبد الرحمن الكوفي، صدوق عارف، رمي بالتشيع، من الطبقة التاسعة، مات سنة (٢٩٥هـ).
انظر: تقريب التهذيب (٢/ ٢٠٠).

(٣) هو عبد الله بن حجية، ويقال معاوية الكندي أبو حجية، ويقال اسمه يحيى، والأجلح لقب، وثقه ابن معين وغيره وضعفه آخرون، مات سنة (١٤٥هـ).
انظر: تهذيب التهذيب (١/ ١٨٩).

(٤) هو الذيال بن حرملة الأسدي، كوفي، وثقه ابن حبان، قال ابن حجر: نسبه البخاري.
انظر: تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة (١٢٢).

(٥) هو يحيى بن معين بن عون الغطفاني، مولاهم، أبو زكريا البغدادي، ثقة حافظ مشهور، إمام الجرح والتعديل، مات بالمدينة النبوية سنة (٢٣٣هـ) وله بضع وسبعون سنة. انظر: تقريب التهذيب (٢/ ٣٥٨).

(٦) هو أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلي، الإمام الحافظ، الثقة، محث الجزيرة، شيخ الإسلام، ولد سنة (٢١٠هـ)، وتوفي سنة (٣٠٧هـ)، أثنى عليه وعلى مسنده كثير من الأئمة.
انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٧٣ ـ ١٨٢)، وطبقات الحفاظ (ص٣٠٩).

(٧) هو عبد بن حميد ابن نصر الكسّي، أبو محمد، قيل اسمه: عبد الحميد، ثقة =

أبي يعلى ابن أبي شيبة[1].

وفي بعض الطرق؛ إن كنت تزعم أن هؤلاء خيراً منك فقد عبدوا الآلهة وإن كنت تزعم أنك خيراً منهم فتكلم حتى نسمع ورواه ابن إسحاق قال حدثني يزيد بن زياد مولى لبني هاشم عن محمد بن كعب قال حدثت أن عتبة بن ربيعة وكان سيداً حليماً وذكر الحديث إلى أن قال: لما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني والله قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ فإن تصيبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به فقالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه قال: هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم ثم ذكر شعر أبي طالب يمدح عتبة فيما قال».

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال: «قدم ضماد[2] مكة وهو رجل من أزد شنوءة[3] وكان يرقي من هذه الريح فسمع سفهاء من أهل

= حافظ، مات سنة (٢٤٩هـ). انظر تقريب التهذيب (١/٥٢٩).

(١) هو عثمان بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي: أبو الحسن بن أبي شيبة الكوفي، ثقة، حافظ شهير، له أوهام، وقيل كان لا يحفظ القرآن، من الطبقة العاشرة، مات سنة (٢٣٩هـ) وله ٨٣ سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء (١١/١٥١ ـ ١٥٤).

(٢) ضماد، هو ابن ثعلبة الأزدي، كان صديقاً للنبي ﷺ في الجاهلية، وكان رجلاً يتطبب ويرقس ويطلب العلم أسلم أول الإسلام. انظر: أسد الغابة (٢/٤٣٨).

(٣) بفتح المعجمة وضم النون بعدها واو ساكنة ثم همزة مفتوحة، وهي قبيلة مشهورة نسبوا إلى شنوءة واسمه الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن النضر بن الأزد. وسمي شنوءة لشنآن كان بينه وبين قومه. انظر: فتح الباري (٦/١٠٥) (٧/١٧٢) (المكتبة الشاملة).

مكة يقولون إن محمداً مجنون فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي قال: فلقيت محمداً فقلت: إني أرقي من هذه الريح وإن الله يشفي على يدي من شاء فهلم فقال محمد: «**إن الحمد لله نحمد ونستعينه من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له أشهد أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أما بعد**» قال: فقال أعد علي كلماتك هؤلاء فأعادهن عليه رسول الله ثلاث مرات فقال: «والله لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت بمثل كلماتك هؤلاء ولقد بلغن ناعوس البحر قال: فقال هات يدك أبايعك على الإسلام قال فبايعه رسول الله ﷺ فقال: وعلى قومك فقال: وعلى قومي»[1] الحديث.

وعن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة[2] جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه من القرآن: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠].

قال أعد فأعاد النبي ﷺ فقال: «والله إن له الحلاوة وإن عليه لطلاوة[3] وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق[4] وما يقول هذا البشر».

وفي لفظ أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن

---

(١) رواه مسلم في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة.

(٢) هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أبو عبد الله بن شمس، من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش ومن زنادقتها، كان قد حرم شرب الخمر في الجاهلية، وضرب ابنه هشام على شربها، وأدرك الإسلام وهو شيخ هرم فعاداه وقاوم دعوته، وهو والد سيف الله خالد بن الوليد، مات بعد الهجرة بثلاثة أشهر، وله ٩٥ سنة. انظر: الأعلام للزركلي (٨/ ١٢٢).

(٣) الطلاوة: الحسن والقبول.

(٤) أي مطر كثير.

يجمعوا لك مالاً قال: ولم؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمداً لتعوض مما قبله قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر لها وأنك كاره له قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ووالله إن لقوله الذي يقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو وما يعلى وإنه ليحط مما تحته قال لا ترضى عنك قومك حتى تقول فيه قال فدعني حتى أفكر فيه فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ [المدثر: ١١].

رواه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن عكرمة عنه.

وفي رواية أخرى أن الوليد بن المغيرة اجتمع ونفر من قريش وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم فقال إن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ويرد بعضكم قول بعض فقالوا: فأنت يا أبا عبد شمس[1] فقل وأقم لنا رأياً نقوم به فقال: بل أنتم فقولوا: وأنا أسمع فقالوا: نقول كاهن فقال: ما هو بكاهن لقد رأيت الكهان فما هو بزمزمة الكهان فقالوا: نقول مجنون فقال: ما هو بمجنون لقد رأينا المجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته قالوا: فنقول شاعر فقال: ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر برجزه وهزجه وقريظه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر قالوا: فنقول ساحر قال: فما هو بساحر قد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثه ولا عقده فقالوا: ما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله حلاوة وإن أصله لغدق وإن فرعه لجنى فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل وإن أقرب القول أن

---

(١) كنية الوليد بن المغيرة.

تقولوا ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه وبين المرء وبين أخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه فجعلوا يجلسون للناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا له أمره فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة وذلك من قوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾. إلى قوله: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المدثر: ١١ - ٢٦].

وأنزل في النفر الذين كانوا معه: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الحجر: ٩١]. أي أصنافاً.

وروى ابن إسحاق عن شيخ من أهل مصر عن عكرمة عن ابن عباس قال: قام النضر بن الحارث(١) فقال: يا معشر قريش والله لقد نزل بكم أمر ما ابتليتم بمثله لقد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بسحر قد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم وقلتم كاهن لا والله ما هو بكاهن قد رأينا الكهنة وسمعنا سجعهم وقلتم شاعر لا والله ما هو بشاعر لقد روينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه وقريظه وقلتم مجنون ولا والله ما هو بمجنون لقد رأينا المجنون فما هو بخنقه ولا تخليطه يا معشر قريش انظروا في شأنكم فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش وممن يؤذي رسول الله وينصب له العداوة»(٢).

---

(١) هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار، يكنى: أبا قائد، وكان أشد قريش في تكذيب رسول الله ﷺ والأذى له ولأصحابه، وكان ينظر في كتب الفرس، ويخالط اليهود والنصارى، أسره المقداد يوم بدر، وأمر رسول الله ﷺ بضرب عنقه فقتله علي بن أبي طالب صبراً بالأثيل (واد بنواحي المدينة) أو بالصفراء سنة (٢هـ).
انظر سيرة ابن هشام (٢/ ٣٦٧).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣٢٠).

قال وحدثني الزهري[1] قال: حدثت أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شريق[2] خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله وهو يصلي بالليل في بيته وأخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قال أول مرة ثم انصرفوا فلما كانت الليلة الثالثة فعلوا كذلك ثم جمتعهم الطريق فتعاهدوا أو لا يعودوا فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم أتى أبا سفيان في بيته فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد فقال: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها فقال الأخنس: وأنا والذي حلفت به ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد فقال: ماذا سمعت تنازعنا نحن وبنوا عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا

---

(١) هو: محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، من بني زهرة بن كلاب، أبو بكر، هو أول من دون الحديث وسمع عن بعض الصحابة، تابعي مدني، ومن الحفاظ الثقات، ومن المكثرين للحديث مع إتقان وفقه، يعد من الطبقة الرابعة، توفي رحمه الله سنة (١٢٥هـ). انظر: تقريب التهذيب (٢/ ٢٠٧)، ترجمة (٧٠٢)؛ والجرح والتعديل (٨/ ٧١ ـ ٧٤)، ترجمة (٣١٨).

(٢) هو أبي بن عمرو بن وهب الثقفي، أبو المغيرة، أو أبو ثعلبة، حليف بني زهرة بن كلاب، قال ابن هشام: وإنما سمي الأخنس لأنه: خنس بالقوم يوم بدر، وهو من بني علاج بن أبي سلمة بن عوف بن عقبة، وتنسب له أبيات في رثاء عثمان بن عفان، نسبها إليه: سيف بن عمر.
انظر: السيرة لابن هشام (٢/ ٣٠١) (٣/ ٣٣٧)، والبداية والنهاية (٧/ ١٩٦).

وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا ثم إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه والله لا نؤمن به ولا نصدقه أبداً.

وكذلك روي عن المغيرة بن شعبة أن أبا جهل قال له مثل ذلك وقال إني لأعلم أن ما يقول حق ولكن بني قصي قالوا فينا الندوة فقلنا نعم فينا الحجابة فقلنا نعم فينا السقاية فقلنا نعم وذكر نحوه.

وقد كانوا يرسلون إلى أهل الكتاب ليسألوهم عن أمره ﷺ.

قال محمد بن إسحاق: حدثني شيخ من أهل مصر قدم منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس قال: بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة فقالوا لهم: اسألوهم عن محمد وصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء فخرجا حتى قدما المدينة فسألوا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ ووصفوا لهم أمره وبعض قوله وقالا إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا قال فقالت لهم أحبار يهود سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإن لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم فإنه قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجلا طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه وسلوه عن الروح ما هو فإن أخبركم بذلك فإنه نبي فاتبعوه وإن هو لم يخبركم فهو رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم.

فأقبل النضر وعقبة حتى قدما مكة على قريش فقالا يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور فأخبروهم بها فجاؤوا رسول الله فقالوا يا محمد أخبرنا فسألوه عما أمروهم به فقال لهم رسول الله ﷺ: **أخبركم وجاءه جبريل من الله بسورة**

الكهف فيها خبر ما سألوه عنه من أمر الفتية الرجل الطواف وقول الله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥].

قال ابن إسحاق بلغني أن رسول الله افتتح السورة فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف: ١].

يعني محمداً أنك رسولي في تحقيق ما سألوه عنه من نبوته.

﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا﴾ [الكهف: ١ ـ ٢].

أي أنزله قيماً أي معتدلاً لا اختلاف فيه وذكر تفسير السورة إلى قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾﴾ [الكهف: ٩].

أي وما قدروا من قدري وفيما صنعت من أمر الخلائق وما وضعت على العباد من حجتي ما هو أعظم من ذلك.

قال مجاهد: «ليس بأعجب من آياتنا من هو أعجب من ذلك»[1].

وفي تفسير العوفي عن ابن عباس الذي آتيتك من العلم والسنة والكتاب أفضل من شأن أصحاب الكهف»[2].

قلت والأمر على ما ذكره السلف فإن قصة أصحاب الكهف هي من آيات الله فإن مكثهم نياماً لايموتون ثلاثمائة سنة آية دالة قدرة الله ومشيئته وأنه يخلق ما يشاء ليس كما يقوله أهل الإلحاد وهي آية على معاد الأبدان كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ [الكهف: ٢١].

---

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٢/٢٦٩ ـ ٢٧١).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥/١٩٨)، من طريق العوفي، وهو عطية بن سعد بن جنادة الجدلي الكوفي، وهو ضعيف.

وكان الناس قد تنازعوا في زمانهم هل تعاد الأرواح دون الأبدان.

وإخبار النبي ﷺ بقصتهم من غير أن يعلمه بشر آية على نبوته فكانت قصتهم آية على أصول الإيمان الثلاثة الإيمان بالله واليوم الآخر والإيمان برسوله ومع هذا فليسوا من آيات الله بعجب بل من آيات الله ما هو أعجب من ذلك وقد ذكر الله تعالى سؤالهم عن الآيات التي كانوا يسألونه عنها ليعلموا هل هو نبي صادق أم كاذب فقال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٣].

وقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾﴾ [يوسف: ٧].

إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [يوسف: ١٠٢].

إلى قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٥ - ١٠٦].

إلى قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١٠٩ - ١١١].

وقال تعالى لما ذكر قصة أهل الكهف التي سألوه عنها:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾ [الكهف: ٨٣]..

أي يسألونك عن ذاك ويسألونك عن هذا.

والقرآن مملوء من إخباره عن الغيب الماضي الذي لا يعلمه أحد من البشر إلا من جهة الأنبياء الذين أخبرهم الله بذلك ليس هو الشيء الذي تزعمه ملاحدة المتفلسفة فإن هذه الأمور الغيبية المعينة المفصلة لا يؤخذ خبرها قط إلا عن نبي كموسى ومحمد وليس أحد ممن يدعي المكاشفات لا من أولياء الله ولا من غير أولياء الله يخبر بشيء من ذلك ولهذا كان هذا من أعلام الأنبياء وخصائصهم التي لا يشركهم فيها غيرهم». اهـ.

٥٤ ـ قصص وحوادث وقعت من أهل الكتاب، تبين تصديق قلوبهم لرسول الله ﷺ وإن جحدوا بألسنتهم:

(٥/ ٣٩٢ ـ ٤٠٤): «وجميع المهاجرين والأنصار آمنوا به طوعاً واختياراً قبل أن يؤمر أحد بقتال. فإنه مكث بمكة بضع عشرة سنة لا يقاتل أحداً ولم يؤمر بقتال بل كان لا يكره أحد على الدين كما قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وكانوا خلقاً كثيراً ومعلوم أن الخلق الكثير الذين اتبعوا شخصاً قد جاء بدين لا يوافقه عليه أحد وطلب منهم أن يؤمنوا به ويتبعوه ويفارقوا دين آبائهم ويصبروا على عداوة الناس وأذاهم ويهجروا لأجله ما ترغب النفوس فيه من الأهل والمال والوطن وهو مع ذلك لم يعط أحداً منهم مالاً ولا كان له مال يعطيهم إياه ولا ولي أحد ولاية ولم يكن عنده ولاية يوليهم إياها ولا أكره أحداً ولا بقرصة في جلده فضلاً عن سوط أو عصا أو سيف وهو مع ذلك يقول عما يخبرهم به من الغيب الله أخبرني به لم يخبرني بذلك بشر.

فلو كانوا مع ذلك يعلمون أن تعلمه من بشر لكان هذا مما يقوله بعضهم لبعض ويمتنع في جبلة بني آدم وفطرهم أن يعلموا أنه كاذب وأنه قد تعلم هذا من بشر وليس فيهم من يخبر بذلك مع أنهم كانوا كثيرين لا

يمكن تواطؤهم على الكذب والكتمان بل ولا داعي لهم يدعوهم إلى ذلك ويمتنع أن لا يعلموا ذلك وهم بطانته المطلعون على أحواله وهم يسمعون كلام أعدائه المطلعين على حاله.

والقرآن كان ينزل شيئاً فشيئاً لم ينزل جملة بل كانوا يسألونه عن الشيء بعد الشيء من الغيب بين الذين آمنوا به وباطنوه واطلعوا على أسراره وهو لا يعلم شيئاً من ذلك ثم يخبرهم به وهم مطلعون على أمره خبراً بعد خبر وسؤالاً بعد سؤال وهذا كان بمكة وليس بها أحد من علماء أهل الكتاب لا اليهود ولا النصارى ثم هاجر إلى المدينة وبها خلق كثير من اليهود قينقاع والنضير وقريظة ولعلهم كانوا بقدر نصف أهلها أو أقل أو أكثر وهم أيضاً يسألونه عن الغيوب التي لا يعلمها إلا نبي فيخبرهم بها ويتلو عليهم ما سأله عنه المشركون من الغيب وما أخبرهم به ويتلو عليهم هذا الغيب الذي أوحاه الله إليه ويبين أن الله أعلمه ذلك لم يعلمه إياه بشر فآمن به طائفة من أهل الكتاب وكفرت به طائفة أخرى والطائفتان ليس فيهم من يقول إن هذا تعلمه منا أو من إخواننا أو نظرائنا ولا إنك قرأته في كتبنا مع أنه لو كان قد تعلم ذلك منهم لكان شيوخه منهم وشيوخهم إذا علموا أنه كاذب تعلمه منهم يمتنع أن يصدقوه باطناً وظاهراً بل تصديقهم الكتاب الأول وعلمهم بكذب من ادعى نزول كتاب ثانٍ وقد تعلم منهم يدعوهم إلى أن يبينوا أمره ويظهروا كذبه ويقولوا للناس تعلم منا نحن أخبرناه بذلك لاسيما مع ما فعله باليهود من القتل والحصار والجلاء والسبي وغير ذلك.

وهذا لو وقع لكان من أعظم ما تتوفر الهمم والدواعي على نقله ينقله الموافق والمخالف فلما لم يقل ذلك أحد ولم ينقله أحد مع ما أظهره من الأخبار المتواترة التي علمها الخاص والعام بأن هذا مما أنبأني الله لم يخبرني به بشر كان هذا دليلاً قاطعاً بيناً في أن هذه الأخبار

الغيبية التي لا يعلمها إلا نبي أعلمه الله بها أو من تعلمها من نبي هي مما أنبأه الله به ولم يعلمه ذلك بشر وهذا من الغيب الذي قال الله فيه في السورة التي فيها استماع الجن للقرآن وإنذار قومهم به حيث قال: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣)﴾ [الجن: ١ ـ ٣].

إلى قوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ۚ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣) حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا (٢٤) قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا (٢٥) عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨)﴾ [الجن: ١٩ ـ ٢٨].

فقوله تعالى: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾.

يبين أنه غيب يضاف إليه يختص به لا يعلمه أحد إلا من جهته بخلاف ما يغيب عن بعض الناس ويعلمه بعضهم فإن هذا قد يتعلمه بعضهم من بعض.

فمما سأله عنه أهل الكتاب في المدينة مسائل وهي غير المسائل التي كان يسأل عنها وهو بمكة كما كان مشركو قريش يرسلون إلى اليهود بالمدينة يسألونهم عن محمد فيرسل اليهود بمسائل يمتحنون بها نبوته وذلك مثل ما في صحيح البخاري عن أنس قال جاء عبد الله بن سلام إلى رسول الله ﷺ مقدمه المدينة فقال إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن

إلا نبي ما أول أشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة والولد ينزع إلى أمه تارة وإلى أبيه قال: «أخبرني جبريل آنفا» قال عبد الله ذاك عدو اليهود من الملائكة أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد إلى أبيه وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد إلى أمه» فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله قال يا رسول الله إن اليهود قوم بهت فإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني عندك. فجاءت اليهود فقال لهم النبي ﷺ: «أي رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وعالمنا وابن عالمنا» قال: «أرأيتم إن أسلم عبد الله» قالوا أعاذه الله من ذلك فخرج إليهم عبد الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وتنقصوه قال فهذا ما كنت أخاف وأحذر»[1].

وروى مسلم في صحيحه عن ثوبان قال كنت قائماً عند رسول الله فجاء حبر من أحبار اليهود وقال السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال لم تدفعني قال قلت ألا تقول يا رسول الله قال إنما سميته باسمه الذي سماه به أهله فقال رسول الله ﷺ: **«إن اسمي الذي سماني به أهلي محمد»** فقال اليهودي جئت أسألك فقال رسول الله ﷺ: **«ينفعك شيء إن حدثتك»** قال أسمع بأذني فنكت بعود معه فقال له: **«سل»** فقال اليهودي: أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله ﷺ: **«في الظلمة دون الجسر»** قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال: **«فقراء المهاجرين»** فقال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون؟ قال: **«زيادة كبد نون»** قال: وما غذاؤهم على إثره؟ قال:

(١) رواه البخاري في المناقب، باب كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه.

«ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها» قال: فما شرابهم عليه؟ قال: **«من عين فيها تسمى سلسبيلا»** قال: صدقت. قال وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان قال: ينفعك إذا حدثتك قال: أسمع بأذني قال: جئت أسألك عن الولد قال: **«ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله وإذا علا مني المرأة مني الرجل آنثا بإذن الله»** فقال اليهودي: صدقت وإنك لنبي ثم انصرف فقال النبي ﷺ: **«إنه سألني هذا الذي سألني عنه وما أعلم شيئاً منه حتى أتاني به الله تعالى»**[1].

وروى أبو داود الطيالسي حدثنا عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن ابن عباس قال: حضرت عصابة من اليهود يوماً إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله حدثنا عن خلال نسألك عنها لا يعلمها إلا نبي، فقال: **«سلوني عم شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه إن أنا حدثتكم بشيء تعرفونه صدقاً لتتابعوني على الإسلام»** قالوا لك ذلك قال: **«فسلوني عم شئتم»** قالوا: أخبرنا عن أربع خلال أخبرنا عن الطعام الذي حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة وأخبرنا عن ماء الرجل كيف يكون الذكر منه حتى يكون ذكراً وكيف يكون الأنثى حتى يكون أنثى وأخبرنا كيف هذا النبي في النوم ومن وليك من الملائكة قال: **«فعليكم عهد الله وميثاقه لئن أنا حدثتكم لتتابعوني»** فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق قال: **«أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب مرض مرضاً شديداً طال سقمه فيه فنذر لله نذراً لئن شفاه الله من سقمه ليحرمن أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه وكان أحب الشراب إليه ألبان الإبل وأحب الطعام إليه لحوم الإبل»**

---

(١) رواه مسلم في كتاب الحيض، باب بيان صفة مني الرجل والمرأة.

قالوا: اللّهم نعم! فقال رسول الله: «**اللّهم اشهد عليهم قال: فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن ماء الرجل غليظ أبيض وأن ماء المرأة رقيق أصفر فأيهما علا كان الولد والشبه له بإذن الله**» قالوا: اللّهم نعم! فقال: «**اللّهم اشهد**» قال: «**أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو وأنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبي تنام عيناه ولا ينام قلبه**» قالوا: اللّهم نعم قال: «**اللّهم اشهد**» قالوا: أنت الآن حدثنا من وليك من الملائكة فعندها نجامعك أو نفارقك قال: «**وليي جبريل ﷺ ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليه**» قالوا فعندها نفارقك لو كان غيره لاتبعناك وصدقناك قال: «**فما يمنعكم أن تصدقوا**» قالوا إنه عدونا من الملائكة فأنزل الله ﷻ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة: ٩٧]. إلى قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾(١) [البقرة: ٩٨].

ففي هذه الأحاديث أن علماء اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كانوا يسألونه عن مسائل يقولون فيها لا يعلمها إلا نبي أي: ومن تعلمها من الأنبياء فإن السائلين كانوا يعلمونها كما جاء أيضاً لا يعلمها إلا نبي أو رجل أو رجلان. فكانوا يمتحنونه بهذه المسائل ليتبين هل يعلمها وإذا كان يعلم ما لا يعلمه إلا نبي كان نبياً ومعلوم أن مقصودهم بذلك إنما يتم إذا علموا أنه لم يعلم هذه المسائل من أهل الكتاب ومن تعلم منهم وإلا فمعلوم أن هذه المسائل كان تعلمها بعض الناس لكن تعلمها هؤلاء من الأنبياء.

وهذا يبين أن هؤلاء السائلين له من أهل الكتاب كانوا يعلمون أن أحداً من البشر لم يعلمه ما عند أهل الكتاب من العلم إذ لو جوزوا ذلك

---

(١) في سنده شهر بن حوشب وثقه أحمد ويحيى بن معين والعجلي، وضعفه آخرون.

عليه لم يحصل مقصودهم من امتحانه هل هو نبي أم لا، فإنهم إذا جوزوا أن يكون تعلم ما لا يعلمه إلا نبي من أهل الكتاب كان من جنسهم فلم يكن في علمه بها وإجابتهم عنها دليلاً على نبوته.

فلا بد أن يكون هؤلاء السائلون يقطعون بأنه لم يتعلم من أهل الكتاب وهذا كان بالمدينة بعد أن أقام بمكة بضع عشرة سنة وانتشر أمره وكذبه قومه وحرصوا على إبطال دعوته بكل طريق يقدرون عليه فلو كان بمكة أو بالمدينة أحد من أهل الكتاب يتعلم منه أو لقي أحداً من أهل الكتاب في طريق فتعلم منه لكان ذلك يقدح في مقصود هؤلاء السائلين.

فتبين أنه كان معلوما عند أهل الكتاب أنه لم يتعلم شيئاً من الغيب من بشر لا سيما ولو كان قد تعلمه من أهل الكتاب وقد كذبهم وحاربهم لأظهروا ذلك ولشاع في أهل الكتاب فكان إذا أجابهم قالوا هذا تعلمته من فلان وفلان منا أو هذا علمكه بعض أهل ديننا وهذا كما كانوا يرسلون إلى قومه من قريش ليسألوه عن مسائل ويقولون إن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإلا فهو متقول ويقولون سلوه عن مسائل لا يعلمها إلا نبي.

فهذا من أهل المدينة ومن قريش قومه يبين أن قومه المشركين وأهل الكتاب كانوا متفقين على أنه لم يتعلم شيئاً من ذلك البشر إذ لو جوزوا ذلك لم يحصل مقصودهم بذلك ولم يجز أن يقولوا لا يعلمها إلا نبي فإنهم كانوا جميعاً يعلمون أن من أهل الكتاب من يعلم هذه المسائل وبذلك يعرف هل يجيب فيها بما قالته الأنبياء أو بخلاف ذلك ويعلمون أن من كان تعلمها من أهل الكتاب ومن تعلم منهم لا يدل جوابه عنها على نبوته كما لو أجاب عن تلك المسائل بعض أهل الكتاب وكما لو سأل في زماننا بعض الناس لبعض المسلمين عن تلك المسائل أو غيرها من أنباء الغيب التي لا يعلمها إلا نبي فإن ذلك لا يدل على نبوته لأنه قد تعلم ذلك من الأنبياء.

فدل على أن مرادهم بقولهم لا يعلمها إلا نبي أي لا يعلمها ابتداء بدون تعليم من بشر إلا نبي ويدل على أن المشركين وأهل الكتاب كانوا جميعا متفقين على أنه لم يتعلم من بشر مع انتشار أخباره ومع اطلاع قومه على أسراره ومع ظهور ذلك لو وجد ومع أنهم لو جوزوا تجويزا أن يكون قد تعلمها من بشر في الباطن لم يجز أن يستدل بها على نبوته فدل على أنهم كانوا قاطعين بأنه لم يتعلم ذلك من بشر لا في الباطن ولا في الظاهر وهذا طريق بين يدل على أنه لم يتعلم ذلك من بشر سوى الطرق المذكورة هنا». اهـ.

٥٥ ـ أهل الأرض في المعاد على أربعة أقوال:

١ ـ قول سلف المسلمين للأرواح والأبدان.

٢ ـ للأبدان فقط وهو قول الجهمية والمعتزلة.

٣ ـ للأرواح فقط وهو قول الفلاسفة.

٤ ـ إنكار المعادين جميعا وهو قول كفار العرب واليونان.

(٦/ ٧ ـ ١١): «ثم الأمم متفاضلون في معرفة الخالق تعالى وفي الإقرار بالمعاد بعد الموت إما للأرواح فقط وأما للأبدان فقط وأما لمجموعهما كما هو قول سلف الأمة المسلمين وأئمتهم وعامتهم أهل السنة والجماعة ومتفاضلون فيما يحمدونه ويستحسنونه من الأفعال والصفات وما يذمونه ويستقبحونه من ذلك لكن عامة بني آدم على أن العدل خير من الظلم والصدق خير من الكذب والعلم خير من الجهل فإن المحسن إلى الناس خير من الذي لا يحسن إليهم وأما المعاد فهو إما للأرواح أو للأبدان وإن الناس بعد الموت يكونون سعداء أو أشقياء فيقر به كثير من الأمم غير أهل الكتاب وإن كان على وجه قاصر كحكماء الهند واليونان والمجوس وغيرهم وذلك أن أهل الأرض في المعاد على أربعة أقوال:

أحدها: وهو مذهب سلف المسلمين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين المشهورين وغيرهم من أهل السنة والحديث من الفقهاء والصوفية والنظار وهو إثبات معاد الأرواح والأبدان جميعاً وأن الإنسان إذا مات كانت روحه منعمة أو معذبة ثم تعاد روحه إلى بدنه عند القيامة الكبرى ولهذا يذكر الله في كثير من السور أمر القيامتين القيامة الصغرى بالموت والقيامة الكبرى حين يقوم الناس من قبورهم وتعاد أرواحهم إلى أبدانهم كما ذكر الله القيامتين في سورة الواقعة حيث قال في أولها ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا (٦) وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١)﴾ [الواقعة: ١ ـ ١١] ثم ذكر سبحانه حال الأصناف الثلاثة في القيامة الكبرى وقال في آخر السورة ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤)﴾ [الواقعة: ٨٣ ـ ٩٤] وكذلك في سورة القيامة ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤) بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (٦) فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣)﴾ [القيامة: ١ ـ ١٣]، فذكر القيامة الكبرى ثم قال في آخر السورة ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠)﴾ [القيامة: ٢٦ ـ ٣٠]، ولبسط هذا موضع آخر فإن ذكر ما ينال الروح

عند فراق البدن من النعيم والعذاب كثير في النصوص النبوية وأما وصف القيامة الكبرى في الكتاب والسنة فكثير جداً لأن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء وقد بعث بين يدي الساعة فلذلك وصف القيامة بما لم يصفها به غيره كما ذكر المسيح في صفته فقال إنه يخبركم بكل ما يأتي ويعرفكم جميع ما للرب.

والقول الثاني: قول من يثبت معاد الأبدان فقط كما يقول ذلك كثير من المتكلمين الجهمية والمعتزلة المبتدعين من هذه الأمة وبعض المصنفين يحكي هذا القول عن جمهور متكلمي المسلمين أو جمهور المسلمين وذلك غلط فإنه لم يقل ذلك أحد من أئمة المسلمين ولا هو قول جمهور نظارهم بل هو قول طائفة من متكلميهم المبتدعة الذين ذمهم السلف والأئمة.

والقول الثالث: المعاد للنفس الناطقة بالموت فقط وأن الأبدان لا تعاد وهذا لم يقله أحد من أهل الملل لا المسلمين ولا اليهود ولا النصارى بل هؤلاء كلهم متفقون على إعادة الأبدان وعلى القيامة الكبرى ولكن من تفلسف من هؤلاء فوافق سلفه من الصابئة والفلاسفة المشركين على أن المعاد للروح وحده فإنه يزعم أن الأنبياء خاطبوا الجمهور بمعاد الأبدان وإن لم يكن له حقيقة وخاطبوهم بإثبات الصفات لله وليس له حقيقة وأن الأنبياء لم يظهروا الحقائق للخلق وأنه لا يستفاد من أخبارهم معرفة شيء من صفات الله ولا معرفة شيء من أمر المعاد وحقيقة قولهم أن الأنبياء كذبوا للمصلحة.

وهؤلاء ملاحدة كفار عند المتبعين للأنبياء من المسلمين واليهود والنصارى وإن كان هؤلاء كثيرين موجودين فيمن يتظاهر بأنه من أهل الملل لظهور أديانهم وهو في الباطن على هذا الرأي وهؤلاء القائلون بمعاد الأرواح فقط منهم من يقول بأن الأرواح تتناسخ إما في أبدان

الآدميين أو أبدان الحيوان مطلقا أو في موضع الأجسام النامية ومنهم من يقول بالتناسخ للأنفس الشقية فقط وكثير من محققيهم ينكر التناسخ.

والقول الرابع: إنكار المعادين جميعاً كما هو قول أهل الكفر من العرب واليونان والهند والترك وغيرهم والمتفلسفة أتباع أرسطو كالفارابي وأتباعه لهم في معاد الأرواح ثلاثة أقوال قيل بالمعاد للنفس العالمة والجاهلة وقيل بالمعاد للعالمة دون الجاهلة وقيل بإنكار الاثنين والفارابي نفسه قد قال الأقوال الثلاثة». اهـ.

٥٦ ـ من ادعى النبوة لا يخلو من إحدى ثلاث حالات:

١ ـ أن يكون نبياً صادقاً.

٢ ـ أن يكون ملكاً مسلماً عادلاً أراد الإصلاح فاجتهد.

٣ ـ أن يكون كذاباً أفاكاً:

(٦/٤٦ ـ ٤٧): «ومما يبين أمر محمد ﷺ أن من دعا إلى مثل ما دعا إليه لا يخلو من ثلاثة أقسام؛ إما أن يكون نبياً صادقاً مرسلاً من الله كما أخبر عن نفسه بمنزلة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان وغيرهم من الأنبياء الذين ذكرهم الله في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾ [النساء: ١٦٣ ـ ١٦٦].

وأما أن يكون ملكاً مسلماً عادلاً وضع ناموساً[1] سياسياً وقانوناً

---

(١) المراد بالناموس النظام والقانون.

عدلياً ينفع به الخلق ويحملهم به على السيرة العادلة بمبلغ علمه كان أن للأمم من يضع لهم النواميس مثل واضعي النواميس من اليونان والهند والفرس[1] وغيرهم وإن كان واضع الناموس مختصاً بقوة قدسية ينال بها العلم بسهولة وقوة نفسية يتصرف فيها تصرفات خارجة عن العادة ويكون له قوة تخييلية تمثل له في نفسه أشكالاً نورانية وأصواتاً يسمعها في داخل نفسه فإن هذه الخواص الثلاثة هي التي يقول ابن سينا وأمثاله من المتفلسفة إنها خواص النبي ومن قامت به كان نبياً والنبوة مكتسبة عندهم ولكن لما كانت هذه موجودة لكثير من الخلق ولم يصل بها إلى قريب من درجة الصديقين أتباع الأنبياء كالخلفاء الراشدين وحواريي عيسى وأصحاب موسى جعلناها من هذا القسم إذ صاحب هذا قد يكون فيه عدل وسياسة بحسب ما معه من العلم والعدل فهذا القسم الثاني وأما أن يكون رجلاً كاذباً فاجراً أفاكاً أثيماً يتعمد الكذب والظلم أو يتكلم بلا علم»اهـ.

٥٧ ـ ذكر عدد من علامات الساعة وتقرير الشيخ لوقوعها:

(٦/ ٨٠ ـ ١٥٩): «وآياته ﷺ قد استوعبت جميع أنواع الآيات الخبرية والفعلية وإخباره عن الغيب الماضي والحاضر والمستقبل بأمور باهرة لا يوجد مثلها لأحد من النبيين قبله فضلاً عن غير النبيين ففي

---

(١) الفرس: في اللغة جمع فارس، والنسبة فارسي، وهي بلاد واسعة جامعة لعدة مدن، وهي حالياً تجمع دولتي العراق وإيران، وجزءاً من خرسان والجمهوريات الإسلامية، وديانة الفرس في الأصل المجوسية (عبادة النار)، وقد فتحت بلاد الفرس في خلافة عمر ﷺ، وآخر ملوكهم يزدجرد بن شهريار بن كسرى.
انظر: مراصد الاطلاع (٣/ ١٠١٢)، الأنساب للسمعاني (٤/ ٣٣٢)، البداية والنهاية (٧/ ١٢٦ ـ ١٥٨)، فتح الباري (٦/ ٦٢٥).

القرآن من إخباره عن الغيوب شيء كثير كما تقدم بعض ذلك وكذلك في الأحاديث الصحيحة مما أخبر بوقوعه فكان كما أخبر ففي الصحيحين عن حذيفة قال: «قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك شيئاً يكون من مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه»[1].

وفي صحيح مسلم عن أبي زيد عمرو بن أخطب قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر ثم نزل فصلى بنا ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ثم نزل فصلى بنا ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس قال: وأخبرنا بما كان وما هو كائن فأحفظنا أعلمنا»[2].

وفي صحيح البخاري عن عدي بن حاتم قال: «بينا أنا عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فشكى إليه الفاقة ثم أتى آخر فشكى إليه قطع السبيل فقال: **«يا عدي هل رأيت الحيرة»**[3] فقلت لم أرها وقد أنبئت عنها قال: **«فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله»** قال: قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعار طيء الذين سعروا البلاد **«ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى»** قلت كسرى بن هرمز قال: **«كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله عنه فلا**

---

(١) رواه البخاري في كتاب القدر، باب وكان أمر الله قدراً مقدوراً، ومسلم في كتاب الفتن، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، واللفظ له.

(٢) رواه مسلم، في كتاب الفتن، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة.

(٣) الحيرة: مدينة على ثلاثة أميال من الكوفة على النجف، زعموا أن بحر فارس كان يتصل بها. انظر: مراصد الاطلاع (١/ ٤٤٢).

يجد أحداً يقبله منه وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فليقولن له ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك فيقول بلى فيقول ألم أعطك مالاً وأفضل عليك فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم» قال عدي سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة»**.

قال عدي: فرأيت الظعينة[1] ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال رسول الله ﷺ: **«يخرج الرجل ملء كفه»**[2].

قلت: وهذا الذي أخبر به من خروج الرجل بملء كفه من ذهب أو فضة فلا يجد من يقبله[3] ظهر كما أخبر في زمن عمر بن عبد العزيز[4].

وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة عن نافع بن عتبة قال كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة قال فأتى النبي ﷺ قوم من قبل المغرب عليهم ثياب الصوف فوافقوه عند أكمة فإنهم لقيام ورسول الله ﷺ قاعد قال: فقالت لي نفسي ائتهم فقم بينهم لا يغتالونه قال: ثم قلت: لعله نَجيٌّ معهم فأتيتهم فقمت بينهم وبينه قال: فحفظت منه أربع كلمات أعدهن في يدي قال: «تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله ثم فارس فيفتحها الله ثم تغزون الروم فيفتحها الله ثم تغزون الدجال فيفتحه الله»[5].

---

(١) الظعينة: كل جمل يركب، ويعتمد عليه، وهذا هو الأصل، وإنما سميت المرأة ظعينة لأنها تركبه، وكان إقبالها وإدبارها به، فسميت به.

(٢) رواه البخاري، في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.

(٣) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً»** رواه البخاري.

(٤) انظر البداية والنهاية (٩/ ٢٠٣).

(٥) رواه مسلم، في الفتن، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال.

وروى البخاري عن عوف بن مالك قال أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة آدم فقال: **«أعدد ستاً بين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كعقاص الغنم ثم استفاضة المال حتى يعطي الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية كل غاية اثنا عشر ألفاً»**[١].

قلت: ففتح بيت المقدس بعد موته في خلافة عمر بن الخطاب ثم بعد ذلك وقع الطاعون العظيم بالشام طاعون عمواس[٢] في خلافة عمر أيضاً ومات فيه معاذ بن جبل وأبو عبيدة بن الجراح وخلق كثير وكان ذلك أول طاعون وقع في الإسلام فكان ما أخبر به حيث أخذهم طاعون كعقاص الغنم ثم استفاض المال في خلافة عثمان بن عفان حتى كان أحدهم يعطى مائة دينار فيسخطها وكثر المال حتى كانت الفرس تشتري بوزنها ثم وقعت الفتنة العامة التي لم يبق بيت من العرب إلا دخلته لما قتل عثمان ووقعت الفتنة بين المسلمين أو الملوك، يوم الجمل ويوم صفين.

وفي الصحيحين عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلنا ألا تدعو الله لنا ألا تستنصر لنا قال: **«فجلس محمراً وجهه ثم قال والله إن من كان قبلكم ليؤخذ الرجل فيمشط بأمشاط الحديد ما بين لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويؤخذ فتحفر له الحفرة فيوضع المنشار على رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه عن دينه وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير**

---

(١) رواه البخاري، في كتاب الجزية والموادعة، باب ما يحذر من الغدر.

(٢) عمواس: كورة (منطقة) من فلسطين، قرب بيت المقدس، على ستة أميال من الرملة على طريق بيت المقدس.

الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله ﷻ أو الذئب على غنمه ولكنكم تعجلون»[1].

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه ذلف الأنف كأن وجوههم المجان المطرقة ولا تقوم الساعة حتى تقاتلون قوماً نعالهم الشعر»**[2].

قلت وهؤلاء الطوائف كلهم قاتلهم المسلمون كما أخبر ﷺ وأمر هذه الطوائف معروف فإن قتال الترك من التتار وغيرهم الذين هذه صفتهم معروف مشهور وحديثهم في أكثر من عشرة آلاف نسخة كبار وصغار من كتب المسلمين قبل قتال هؤلاء الذي ظهروا من ناحية المشرق الذين هذه صفتهم التي لو كلف من رآهم بعينه أن يصفهم لم يحسن مثل هذه الصفة.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: **«لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى»**[3].

وقد ظهرت هذه النار سنة بضع وخمسين وستماية ورآها الناس ورأوا أعناق الإبل قد أضاءت ببصرى وكانت تحرق الحجر ولا تنضج اللحم.

---

(١) رواه البخاري، في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.
(٢) رواه البخاري، في كتاب الجهاد، باب قتال الترك، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون الميت من البلاء.
(٣) رواه البخاري، في كتاب الفتن، باب خروج النار، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد وأسماء أن رسول الله ﷺ قال لعمار بن ياسر: «**تقتلك الفئة الباغية**»[1].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**هلك كسرى ثم لا يكون كسرى بعده وقيصر ليهلكن ثم لا يكون قيصر بعده ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله**»[2].

وفي الصحيحين عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله**»[3].

في الصحيحين عن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لتفتحن عصابة من المسلمين أو قال المؤمنين كنز آل كسرى الذي في الأبيض**»[4] والأبيض قصر كان لكسرى.

وفي صحيح البخاري وغيره عن أبي بكرة عن النبي ﷺ أنه قال عن الحسن: «**إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[5].

---

(١) رواه البخاري، في كتاب الصلاة، باب التعاون على بناء المساجد، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز.

(٢) رواه البخاري في كتاب الجهاد، باب الحرب خدعة، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز.

(٣) رواه البخاري في كتاب فرض الخمس قول النبي ﷺ أحلت لكم الغنائم، وفي كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز.

(٤) رواه مسلم، في كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ولم يخرجه البخاري.

(٥) رواه البخاري في كتاب الصلح، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي...

قلت: فوقع هذا كما أخبر به بعد موت الرسول بنحو ثلاثين سنة وهو سنة أربعين من الهجرة لما أصلح الله بالحسن بين الفئتين العظيمتين اللتين كانت متحاربتين بِصِفِّين عسكر علي وعسكر معاوية.

وفي الصحيحين عن ابن عباس: «أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني رأيت الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل فأرى الناس يتكففون منها بأيديهم فمنهم المستكثر والمستقل ثم إذا سبب واصل من الأرض إلى السماء فأراك أخذت به فعلوت ثم أخذ به رجل بعدك فعلا ثم اخذ به رجل آخر فعلا ثم أخذ به رجل آخر فانقطع ثم وصل له فعلا قال: أبو بكر يا رسول الله بأبي أنت وأمي لتدعني فلأعبره فقال: أعبر فقال: أبو بكر أما الظلة فظلة الإسلام وأما الذي تنطف من السمن والعسل فهو القرآن حلاوته ولينه وأما ما يتكفف فالمستكثر من القرآن والمستقل وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه فأخذت به فيعليك الله ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلو ثم يأخذ به رجل فيعلو ثم يأخذ به رجل آخر فينقطع به ثم يوصل له فيعلو به فأخبرني يا رسول الله أصبت أم أخطأت فقال أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً قال: فوالله يا رسول الله لتخبرني بالذي أخطأت قال لا تقسم»[(1)].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«بينا أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع منها ذنوباً أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم استحالت غرباً فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقرياً من الناس ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن»**[(2)].

---

(1) رواه البخاري في كتاب التعبير، باب من لم ير الرؤيا لأول عابر لم يصب، ومسلم في كتاب الرؤيا، باب تأويل الرؤيا.

(2) رواه البخاري في كتاب التعبير، باب نزع الذنوب والذنوبين من البئر بضعف، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عمر رضي الله عنه.

وفي رواية: «**فاستحالت الدلو غربا في يد عمر**»[1].

قال الشافعي: رؤيا الأنبياء وحي.

وقوله في «**نزعه ضعف**» قصر مدته وعجلة موته وشغله بالحرب مع أهل الردة عن الافتتاح والتزيد الذي بلغه عمر في طول مدته.

وفي الصحيحين عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أن امرأة سألت رسول الله ﷺ شيئاً فأمرها أن ترجع إليه فقالت أرأيت إن جئت فلم أجدك يا رسول الله قال أي كأنها تعني الموت قال: «**إن لم تجديني فائتي أبا بكر**»[2].

وروى أبو داود الطيالسي عن أبي ثعلبة الخشني وعن أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال: «**إن الله بدأ هذا الأمر نبوة ورحمة وكائناً خلافة ورحمة وكائناً ملكاً عضوضاً وكائناً عنوة وجبرية وفساداً في الأمة يستحلون الفروج والخمور والحرير وينصرون على ذلك ويرزقون أبداً حتى يلقوا الله** ﷻ»[3].

وروى أبو داود عن سمرة بن جندب أن رجلاً قال: يا رسول الله إني رأيت كأن دلواً دلي من السماء فجاء أبو بكر رضي الله عنه فأخذ بعراقيها فشرب شرباً ضعيفاً ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ثم جاء علي فأخذ بعراقيها فانتشطت وانتضح عليه منه شيء»[4].

---

(١) رواه البخاري في كتاب التعبير، باب نزع الذنوب والذنوبين من البئر بضعف.

(٢) رواه البخاري في فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ، لو كنت متخذاً خليلاً، ورواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر الصديق.

(٣) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (٣) (٢٢٨)، وفي سنده ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف.

(٤) رواه أبو داود في السنن، في كتاب السنة، باب في الخلفاء، وكذا أحمد في =

وفي السنن عن سفينة[1] عن النبي ﷺ أنه قال: «**تكون خلافة النبوة ثلاثين سنة ثم تصير ملكاً**»[2] فكان هذا العام تمام الثلاثين سنة من موته ودخل في ذلك خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي.

وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «**زويت لي الأرض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها**»[3].

وفي صحيح مسلم: «**إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وأن ربي قال لي: يا محمد إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وألا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً**»[4].

وهذا أخبر به في أول الأمر وأصحابه في غاية القلة قبل فتح مكة وكان كما أخبر فإن ملك أمته انتشر في الشرق والغرب ولم ينتشر في

= المسند (٥/ ٢١)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٨٠): رجاله ثقات. .اهـ، وصرح الشيخ الألباني بضعفه في ضعيف أبي داود (١/ ٤٦٤).

(١) هو مولى رسول الله ﷺ، وقيل: مولى أم سلمة زوج النبي ﷺ، وهي أعتقته، قيل: اسمه مهران أو رومان أو عبس، وكنيته: أبو عبد الرحمن، سمي سفينة لأنه كان مع رسول الله ﷺ في سفر فكلما أعيا (تعب) بعض القوم ألقى سيفه وترسه ورمحه حتى حمل شيئاً كثيراً، وهو مشهور وله أحاديث.
انظر: أسد الغابة (٢/ ٢٥٩).

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب الخلفاء، والترمذي في جامعه، كتاب الفتن، باب ما جاء في الخلافة، وحسنه.

(٣) لم أجده في صحيح البخاري، إنما رواه مسلم من حديث ثوبان.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض.

الجنوب والشمال كانتشاره في الشرق والغرب إذ كانت أمته أعدل الأمم فانتشرت دعوته في الأقاليم التي هي وسط المعمور من الأرض كالثالث والرابع والخامس وقد تقدم قوله هلك كسرى فلا يكون كسرى بعده وذاك كسرى بن هرمز آخر الأكاسرة المملكين ثم ولي بعده ولاة متضعفون فكان آخرهم يزدجرد[1] وإليه الإشارة باللفظ الآخر: «**إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله**»[2].

وهذا أخبر به وملك كسرى وقيصر أعز ملك في الأرض فصدق الله خبره في خلافة عمر وعثمان فهلك كسرى وهو آخر الأكاسرة في خلافة عثمان بأرض فارس ولم يبق بعده كسرى ولم يبق للمجوس والفرس ملك. وهلك قيصر الذي بأرض الشام وغيرها ولم يبق بعده من هو ملك على الشام ولا مصر ولا الجزيرة من النصارى وهو الذي يدعى قيصر.

قال الشافعي: كانت قريش تنتاب[3] الشام انتياباً كثيراً وكان كثير من معاشها منه وتأتي العراق فيقال لما دخلت في الإسلام ذكرت للنبي ﷺ خوفها من انقطاع معاشها بالتجارة من الشام والعراق إذا فارقت الكفر ودخلت في الإسلام فقال مع خلاف ملك الشام والعراق لأهل

---

(١) يزدجرد: هو ابن شهريار بن كسرى، وقد ملك على الفرس وله ٢١ سنة، وذلك في عهد عمر بن الخطاب، وقد هزمه المسلمون في (جلولا) وقتله رجل من أهل مرو، والترك يطلبونه، فقتلوا الرجل، وأخذوا متاع كسرى، وذلك سنة (٣١هـ).
انظر: البداية والنهاية (٧/ ٣٠ و١٢٦ و١٥٨).

(٢) رواه البخاري، في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم في كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء.

(٣) أي: تقصده، وتأتيه مرة بعد مرة.

الإسلام فقال النبي ﷺ: «**إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده**» فلم يبق بأرض العراق كسرى يثبت له أمر بعده.

وقال: «**إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده**» فلم يكن بأرض الشام قيصر فأجابهم على ما قالوا وكان كما قال قطع الله الأكاسرة عن العراق وفارس وقيصر عن الشام وقال في كسرى مزق الله ملكه فلم يبق للأكاسرة ملك وقال في قيصر ثبت ملكه فثبت ملكهم ببلاد الروم وتنحى عن الشام وكل هذا يصدق بعضه بعضاً».

وفي الصحيحين عن سفيان بن أبي زهير قال: قال رسول الله ﷺ: «**تفتح اليمن فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ثم تفتح الشام فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون**» وفي رواية: «**فيخرج من المدينة**»(١).

فأخبر ﷺ بفتح اليمن والشام والعراق قبل أن يكون وأخبر أنه يخرج من المدينة أقوام يتحملون بأهليهم ومن أطاعهم إلى هذه الأمصار ويطلبون الريف وسعة الرزق قال: «**والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون**».

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر عن النبي ﷺ أنه قال: «**ستفتح مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيراً**» وفي رواية: «**فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحماً فإذا رأيتم رجلين يقتتلان على موضع لبنة فاخرج منها**»(٢).

فمر أبو ذر بعد فتح مصر بمدة بابني شرحبيل بن حسنة وهما

---

(١) رواه البخاري، في كتاب فضائل المدينة، باب من رغب عن المدينة، ومسلم في كتاب الحج، باب الترغيب في المدينة عند فتح الأمصار.

(٢) كلا الروايتين رواهما مسلم في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر.

يتنازعان في موضع لبنة فخرج منها»[1].

وفي صحيح البخاري عن سليمان بن صرد قال سمعت النبي ﷺ يقول حين أجلي الأحزاب عنه «**الآن نغزوهم ولا يغزونا**»[2] وكذلك كان.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم**»؟ قال عبد الرحمن بن عوف نقول كما أمرنا الله قال رسول الله ﷺ: «**أو غير ذلك تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون ثم تنطلقون في مساكن المهاجرين فتحملون بعضهم على رقاب بعض**»[3].

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة أنه لما أنزل الله ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣﴾ [الجمعة: ٢ -٣] سئل النبي ﷺ عن هؤلاء الآخرين فقال: «**لو كان الدين معلقاً بالثريا لناله رجال من أبناء فارس**» وفي لفظ: «**لو كان الإيمان**»، وفي لفظ: «**العلم**»[4].

وكان كما أخبر فإنه حصل في التابعين وتابعيهم وهلم جرا من أبناء فارس مثل الحسن البصري ومحمد بن سيرين وسعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس ومجاهد بن جبر وأضعاف هؤلاء من نالوا ذلك ولما نزل قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ سئل عنهم فقال: هم قوم هذا وأشار إلى أبي موسى الأشعري

---

(١) انظر التعليق السابق.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب المغازي، باب غزوة الخندق.

(٣) رواه مسلم، في كتاب الزهد والرقائق.

(٤) رواه البخاري في كتاب التفسير، سورة الجمعة، باب قوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾.

وقال: «**إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن**»[1].

وفي الصحيحين عنه أنه قال: «**أتاكم أهل اليمن هم أرق قلوباً وألين أفئدة الإيمان يماني والفقه يماني والحكمة يمانية**»[2].

فلما ارتد من ارتد عن الإسلام أتى الله بهؤلاء الذين يحبهم ويحبونه فقاتل الصديق بهم أهل الردة وغلب بهم أبو بكر وعمر كسرى وقيصر وقال لعثمان: «**إن الله مقمصك قميصاً فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه**»[3].

وفي الصحيحين عن أبي موسى قال: «بينا رسول الله ﷺ في حائط من حوائط المدينة وهو متكئ يركز بعود في الماء والطين إذ استفتح رجل فقال له: «**افتح وبشره بالجنة**» فإذا هو أبو بكر ففتحت له وبشرته بالجنة ثم استفتح رجل آخر فقال له: «**افتح له وبشره بالجنة**» فذهبت فإذا هو عمر ففتحت له وبشرته بالجنة ثم استفتح رجل آخر فقال له: «**افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه**» فذهبت فإذا هو عثمان ففتحت له وبشرته بالجنة فقلت له الذي قال فقال اللّهم صبراً والله المستعان»[4].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك دون قوله: «إني لأجد نفس الرحمن..» وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.
والفقرة الأخيرة من الحديث وردت في رواية عند الإمام أحمد في المسند (٢/ ٣١٣) بلفظ: «وأجد نفس ربكم من قبل اليمن» ووثق رجاله الحافظ العراقي كما في تخريج الإحياء (١/ ٩٢)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٥٦): «ورجاله رجال الصحيح غير شبيب وهو ثقة».

(٢) رواه البخاري بمعناه، في كتاب المناقب، باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾، ومسلم من عدة روايات، في كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان.

(٣) رواه الترمذي في كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٤) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عثمان بن عفان، واللفظ له.

وفي الصحيحين حديث حذيفة عن النبي ﷺ في الفتن التي تموج موج البحر وقال لعمر[1]: «**إن بينك وبينها باباً مغلقاً يوشك ذلك الباب أن يكسر**» فسأله مسروق[2] من الباب فقال: عمر[3].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ستكون الفتن القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي من تشرف لها تستشرفه ومن وجد فيها ملجأ فليعذ به**»[4].

ورواه أبو بكرة وقال فيه: «**فإذا وقعت فمن كان له إبل فليلحق بإبله ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه**» قال: فقال رجل: يا رسول الله أرأيت إن لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض قال: «**يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر ثم لينج إن استطاع النجاء اللّهم هل بلغت اللّهم هل بلغت**» فقال رجل: يا رسول الله أرأيت إن كرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين أو إحدى الفئتين فضربني رجل بسيفه أو يجيء سهم فيقتلني قال: «**يبوء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار**»[5].

وفي صحيح أبي حاتم قال النبي ﷺ: «**ويل للعرب من شر قد**

---

(١) أي: قال حذيفة لعمر.

(٢) هو مسروق بن الأجدع الوادعي الهمذاني التابعي، أبو عائشة، عداده في كبار التابعين، وفي المخضرمين، ثقة عابد، مات سنة (٦٢هـ).
انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٣ ـ ٦٩).

(٣) رواه البخاري في كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الفتنة التي تموج كموج البحر، واللفظ له.

(٤) رواه البخاري، في كتاب الفتن، باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر.

(٥) رواه مسلم، في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب نزول الفتن.

اقترب أو فتنة عمياء صماء بكماء القاعد فيها خير من الماشي والماشي خير من الساعي ويل للساعي فيها من الله يوم القيامة»[1].

وفي الصحيحين عنه أنه قال: **«إني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كمواقع القطر»**[2].

وفي الصحيحين من غير وجه أنه لما قال له ذو الخويصرة[3]: يا محمد أعدل فإنك لم تعدل فقال: **«ويحك قد خبت وخسرت إن لم أعدل»**.

فقال بعض أصحابه: دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال النبي ﷺ: **«إنه يخرج من ضئضئ هذا أقوام يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية آيتهم أن فيهم رجلاً مخدج اليد على عضده مثل البضعة من اللحم تدردر عليها شعرات»**[4].

وفي رواية في الصحيحين: **«تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق»**[5].

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٢٧/ ٤٥١).

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل المدينة، باب آطام المدينة.

(٣) الخويصرة: تصغير الخاصرة، وهي الشاكلة، وما بين الحرفقة والقصيرى، وذو الخويصرة، قيل: هو حرقوص بن زهير السعدي التميمي، ذكره الطبري.
كانت له صحبة، أمره عمر على قتال الهرمزان وعلى ما غلب عليه، وفتح سوق الأهواز، ونزل بها، وشهد صفين، ثم صار من الخوارج، ومن أشدهم على علي بن أبي طالب، وقتل في حروبهم معه سنة (٣٧هـ).
انظر أسد الغابة (٢/ ٢٠) و(١/ ٤٧٤ ـ ٤٧٥)، والإصابة (١/ ٣٢٠).

(٤) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم.

(٥) رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم.

وهؤلاء ظهروا بعد موته ببضع وعشرين سنة في أواخر خلافة علي لما افترق المسلمون وكانت الفئة بين عسكر علي وعسكر معاوية وقتلهم علي بن أبي طالب وأصحابه وهم أدنى الطائفتين إلى الحق والطائفة الأخرى قتلوا عمار بن ياسر وهي الطائفة الباغية وكان علي قد أخبرهم بهذا الحديث وبعلامتهم فطلبوا هذا المخدج فلم يجدوه حتى قام علي بنفسه ففتش عليه فوجده مقتولاً فسجد شكراً لله.

وفي الصحيح عنه أنه قال: «**ستكون بعدي أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها فصلوا الصلاة لوقتها واجعلوا صلاتكم معهم نافلة**» وهؤلاء ظهروا بعده بمدة فكانوا يؤخرون الظهر إلى وقت العصر ويؤخرون العصر إلى اصفرار الشمس»[(١)].

وفي الصحيحين عنه أنه قال: «**إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض**»[(٢)] فلقوا بعده من استأثر عليهم ولم يعطهم حقهم.

وفي الصحيحين عنه أنه قال: «**ستكون بعدي أمراء يطلبون منكم حقهم ويمنعونكم حقكم قالوا فما تأمرنا يا رسول الله قال أدوا إليهم حقهم واسألوا الله حقكم**»[(٣)].

وفي الصحيحين عنه أنه سار فاطمة فقال لها وهو في مرضه الذي

---

(١) رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب كراهية تأخير الصلاة عن وقتها المختار.

(٢) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي ﷺ للأنصار: «اصبروا حتى تلقوني على الحوض»، ومسلم في كتاب الإمارة، باب الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم.

(٣) رواه البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ «سترون بعدي أموراً تنكرونها»، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء.

توفي فيه: «**إني أقبض في مرضي هذا ثم أخبرها أنها أول أهله لحوقا به**» وفي رواية: «**وأخبرها أنها سيدة نساء المؤمنين**»[١].

وفي الصحيحين عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ: «**أسرعكن بي لحاقاً أطولكن يداً**» قالت فكن يتطاولن أيتهن أطول يداً فكانت أطولنا يداً زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق»[٢].

وفي صحيح البخاري وغيره عن أم حرام عن النبي ﷺ أنه قال: «**أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور لهم**»[٣].

وفي صحيح البخاري عن أم حرام أيضاً قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا**» قالت: يا رسول الله أنا فيهم قال: «**أنت فيهم**» قالت: ثم قال النبي ﷺ: «**أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم**» فقلت: يا رسول الله أنا فيهم قال: «**لا**»[٤].

وغزاها المسلمون في خلافة معاوية وكان يزيد أميرهم وكان في العسكر أبو أيوب الأنصاري الذي نزل النبي ﷺ في بيته لما قدم المدينة مهاجراً ومات ودفن تحت سورها وذكروا أنهم كانوا إذا أجدبوا كشفوا عن قبره فيسقون.

ثم غزاها المسلمون مرة ثانية في خلافة عبد الملك غزاها ابنه مسلمة وحصروها عدة سنين وبنوا فيها مسجداً.

---

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليه الصلاة والسلام.

(٢) رواه البخاري بنحوه في كتاب الزكاة باب فضل صدقة الشحيح الصحيح، ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل زينب أم المؤمنين رضي الله عنها.

(٣) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في قتال الروم.

(٤) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في قتال الروم.

وفي الصحيحين عن أنس قال: «كان النبي ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها رسول الله ﷺ فأطعمته وجعلت تفلي رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك فقالت: مم تضحك فقال: **«عرض علي ناس من أمتي يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة»** فقالت أم حرام: ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك فقالت: مم تضحك، فقال: **«عرض علي ناس من أمتي كما قال في الأولى»** فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال: **«أنت من الأولين»** قال أنس: «فركبت البحر زمان معاوية بن أبي سفيان فصرعت عن دابتها لما خرجت من البحر فماتت»[1].

وهذا كان في خلافة عثمان ومعاوية نائبه وكان المسلمون في خلافة عمر لم يغزوا في البحر وأول ما غزوا البحر في خلافة عثمان وفتحوا جزيرة قبرص وجاؤوا بسبيها إلى دمشق وكان أبو الدرداء حياً بدمشق فجعل يبكي، فقيل له ما يبكيك يا أبا الدرداء هذا يوم قد أعز الله فيه الإسلام فقال إنما أبكى أني رأيت هذه الأمة كانت قاهرة ظاهرة فأضاعت أمر الله فيه فأصارها الله إلى ما ترون ما أهون العباد على الله إذا ضيعوا أمره.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: **«سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا يسلط على أمتي عدواً من غيرهم فيجتاحهم فأعطانيها وسألته أن لا يهلكهم بسنة عامة فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها»**[2].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء، ورواه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الغزو في البحر.

(٢) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض.

وثبت عنه في الصحيحين أنه قال: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة**»[(١)].

وهذا أخبر به حين كانت أمته أقل الأمم فانتشرت الأمة في مشارق الأرض ومغاربها وكان كما أخبر به فإن هذه الأمة ولله الحمد والمنة لم يزل فيها طائفة ظاهرة بالعلم والدين والسيف لم يصبها ما أصاب من قبلها من بني إسرائيل وغيرهم حيث كانوا مقهورين مع الأعداء بل إن غلبت طائفة في قطر من الأرض كانت في القطر الآخر أمة ظاهرة منصورة ولم يسلط على مجموعها عدواً من غيرهم ولكن وقع بينهم اختلاف وفتن.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما؛ قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**»[(٢)].

وهؤلاء ظهروا بعده بمدة طويلة وظهر النسوة بعد ذلك بسنين كثيرة وعلى رؤوسهن عمائم كأسنمة الجمال البخاتي يسمون العمامة سنام الجمل.

وفي حديث مسلم عن أسماء بنت أبي بكر عن النبي ﷺ أنه قال:

---

(١) رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب باب قول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون»، ورواه مسلم في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم».

(٢) رواه مسلم، في كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات.

«سيكون في ثقيف كذاب ومبير[1]»[2]، وظهر الكذاب من ثقيف وهو المختار بن أبي عبيد الثقفي[3] الذي أظهر التشيع والانتصار للحسين وقتل عبيد الله بن زياد[4] وغيره من قتلة الحسين ثم أظهر أنه يوحى إليه وأنه ينزل عليه حتى قيل لابن عمر وابن عباس عنه قيل لأحدهما أنه يوحى إليه وللآخر إنه ينزل عليه فقال أحدهما ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ وقال الآخر: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾.

وأما المبير فكان هو الحجاج بن يوسف الثقفي[5] وكان مبيراً سفاكاً للدماء بغير حق انتصاراً لملك عبد الملك بن مروان الذي استنابه.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أنه قال لقد قال رسول الله ﷺ: **«أيكم يبسط ثوبه فيأخذ من حديثي فيجمعه إلى صدره فإنه لن ينسى شيئاً سمعه»** فبسطت بردة علي حتى فرغ من حديثه ثم جمعتها إلى صدري فما

---

(١) المبير: هو المهلك. يقال: أباره: أي أهلكه. سمي الحجاج بذلك لكثرة قتله.

(٢) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها.

(٣) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن عنزة بن عوف بن ثقيف، الكذاب، كان من كبراء ثقيف وذوي الرأي والفصاحة والشجاعة، وقلة الدين، قتله مصعب بن الزبير سنة (٦٧هـ).
انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٥٣٨ ـ ٥٤٤).

(٤) هو عبد الله بن زياد بن أبيه، أبو حفص، أمير العراق، كان جميل الصورة، قبيح السريرة، قيل أمه مرجانة، من بنت ملوك الفرس، جرت له خطوب، وأبغضه المسلمون لما فعل بالحسين، قتل على يد المختار الكذاب، في أول سنة (٦٧هـ) بالخارز.
انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٥٤٥ ـ ٥٤٩).

(٥) هو: الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، عامل عبد الملك بن مروان وابنه الوليد على العراق، وكان حازماً قوياً ظالماً توفي سنة (٩٥هـ). انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ٢٩ ـ ٥٤).

نسيت بعد ذلك اليوم شيئا سمعته منه»[1].

وفي الصحيحين عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش**» وفي لفظ: «**إلى اثني عشر أميراً**»[2].

وفي رواية لأبي داود الطيالسي: «**كلهم يجتمع عليهم الأمة**»[3].

وفي رواية: «فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: «**ثم يكون الهرج**»[4].

قال أبو بكر البيهقي وفي الرواية الأولى بيان العدد وفي الأخرى بيان المراد بالعدد وقد بين وقوع الهرج وهو القتل بعدهم. وقد وجد هذا العدد بالصفة المذكورة إلى وقت الوليد بن يزيد ابن عبد الملك ثم وقع الهرج والفتنة العظمى وأنما يزيدون على العدد المذكور إذا تركت الصفة المذكورة فيه أو عد معهم من كان بعد الهرج.

وفي الصحيحين عن جابر قال: قال لي رسول الله صلى الله عليم وسلم: «**هل لك من أنماط**» قلت: يا رسول الله وأنّى يكون لي أنماط؟ فأنا أقول اليوم لامرأتي نحّي عنك أنماطك فتقول: ألم يقل رسول الله ﷺ إنها ستكون لكم أنماط[5].

---

(١) رواه البخاري في كتاب العلم، باب حفظ العلم، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة السدوسي رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري في كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، ومسلم في كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش، والخلافة في قريش.

(٣) سنن أبي داود في كتاب المهدي، وفي سنده إسماعيل بن أبي خالد قال الحافظ: «مقبول» أي لين الحديث، وقد تفرد بهذه الجملة.
انظر: هامش الجواب الصحيح (٦/ ١٢٥).

(٤) رواه أبو داود، في كتاب المهدي، قال محقق كتاب الجواب الصحيح (٦/ ١٢٥) إسنادها جيد.

(٥) رواه البخاري في كتب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم في كتاب اللباس والزينة باب جواز اتخاذ الأنماط.

وفي الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «**بينا أنا نائم أريت أنه وضع في يدي سواران من ذهب ففظعتهما فكرهتهما فأذن لي فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان بعدي**»[١].

قال عبيد الله أحدهما العنسي الذي قتله فيروز باليمن والآخر مسيلمة.

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ قال وهو مستقبل المشرق: «**إن الفتنة ها هنا إن الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان**»..

فالمشرق عن مدينته فيه البحرين ومنها خرج مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة وهو أول حادث حدث بعده واتبعه خلائق وقاتله خليفته الصديق.

وروى أبو حاتم في صحيحيه عن جابر بن عبد الله قال سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن بين يدي الساعة كذابين منهم صاحب اليمامة ومنهم صاحب صنعاء العنسي ومنهم صاحب حمير ومنهم الدجال وهو أعظمهم فتنة**»، وصاحب اليمامة هو مسيلمة قال وقال أصحابي قال هو قريب من ثلاثين كذاباً»[٢].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالون كذابون كلهم يزعم أنه رسول الله وحتى يفيض الماء وتظهر الفتن ويكثر الهرج**» قالوا وما الهرج يا رسول الله قال: «**القتل القتل**»[٣].

---

(١) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، وباب قصة الأسود العنسي.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (٢٧/ ٣٤٥). وجوّد إسنادها محقق كتاب الجواب الصحيح (٦/ ١٢٨).

(٣) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، وكتاب الزكاة، وكتاب العلم.

وفي صحيح ابن حبان عن أبي ذر قال ركب رسول الله ﷺ حماراً واردفني خلفه ثم قال: «**يا أبا ذر أين أنت إن أصاب الناس جوع شديد حتى لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك كيف تصنع**» فقال: الله ورسوله أعلم، قال: **تعفف** قال: «**يا أبا ذر أرأيت إن أصاب الناس موت شديد حتى يكون البيت بالعبد كيف تصنع**» قال: الله ورسوله أعلم قال: اصبر: «**يا أبا ذر أرأيت إن قتل الناس بعضهم بعضاً حتى تغرق حجارة الزيت من الدماء كيف تصنع**» قال: الله ورسوله أعلم، قال: «**اقعد في بيتك وأغلق عليك بابك**» فقال أرأيت إن لم اترك قال: «**فأت من أنت منه فكن فيهم**» قال فآخذ سلاحي قال: «**إذاً تشاركهم فيه ولكن إن خشيت أن يروعك شعاع السيف فأطلق طرف ردائك على وجهك يبوء بإثمك وإثمه**»(١).

وفيه عن ابن مسعود قال أتيت النبي ﷺ وهو في قبة من أدم فيها أربعون رجلاً فقال: «**إنكم مفتوحون ومنصورون فمن أدرك ذلك الزمان منكم فليتق الله وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»(٢).

وأما الفتوح التي فتحت عليهم والنصرة التي نصروا فقد أخبر به في أوائل مبعثه كما تقدم ذكره ووقع ما أخبر به.

وروى أبو حاتم في صحيحه عن ابن عباس قال: «مرض أبو طالب فأتته قريش وأتاه النبي ﷺ يعوده وعند رأسه مقعد رجل فقام أبو جهل فقعد فيه فشكوا رسول الله ﷺ إلى أبي طالب فقالوا إن ابن أخيك يقع في آلهتنا قال: ما شأن قومك يشكونك يا ابن أخي قال: «**يا عم إنما أردتهم على كلمة واحدة تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم بها العجم**

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٢٧/ ٤١٣)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (٢٠/ ١٢٤).

الجزية»، فقال: وما هي؟ قال: «**لا إله إلا الله**»، فقاموا فقالوا أجعل الآلهة إلهاً واحداً قال: ونزلت ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾[1] [ص: ١ ـ ٥].

وفي صحيح ابن حبان عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال لما أقبلت عائشة قربت ببعض مياه بني عامر طرقتهم ليلاً فسمعت نباح الكلاب فقالت: أي ماء هذا قالوا: ماء الحوأب قالت: ما أظنني رافعة قالوا: مهلاً يرحمك الله تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله بك قالت: ما أظنني رافعة أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كيف بإحداكن ينبح عليها كلاب الحوأب**»[2].

وفيه أيضاً عن ابن أبي طالب قال: قال لي عبد الله بن سلام وقد وضعت رجلي في الغرز وأنا أريد العراق لا تأت العراق فإنك إن تأتهم أصابك ذنب السيف قال علي: وأيم الله لقد قالها رسول الله ﷺ قال أبو الأسود: فقلت في نفسي ما رأيت كاليوم رجلاً محارباً يحدث الناس بمثل هذا»[3].

وهذا وأمثاله مما أخبر به ﷺ من المستقبلات فوقع بعده كما أخبر ورأى الناس ذلك وأما ما أخبر به مما لم يقع إلى الآن فكثير وقد أخبر بأشياء من المغيبات ووقعت في زمانه ووجدت كما أخبر كما في الصحيحين عن سهل بن سعد عن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «**لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه**»[4] فكان كذلك.

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٧٩/١٩).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (٥/٢٨) قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٣٤): رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه (٧/٢٨).

(٤) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل. =

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال شهدنا مع رسول الله ﷺ حنيناً فقال لرجل ممن يدعي الإسلام: **«هذا من أهل النار»** فلما حضرنا القتال قاتل الرجل قتالاً شديداً فأصابته جراحة فقيل يا رسول الله الرجل الذي قلت له آنفاً إنه من أهل النار فإنه قاتل اليوم قتالاً شديداً وقد مات» فقال النبي ﷺ: **«إلى النار»** فكاد بعض المسلمين أن يرتاب فبينا هم على ذلك إذ قيل فإنه لم يمت ولكن به جرحاً شديداً فلم كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال: «الله أكبر أشهد أني عبد الله ورسوله» ثم أمر بلالاً فنادى في الناس إنه: **«لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة وأن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»**(١) ورواه سهل بن سعد.

وفي الصحيحين عن علي رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ وأبا مرثد الغنوي والزبير بن العوام والمقداد وكلنا فارس فقال: **«انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها امرأة معها كتاب من حاطب إلى المشركين»** فأدركناها تسير على بعير لها خبب فقلنا لها: أين الكتاب؟ فقالت: ما معي كتاب، قال فأنخنا بها فالتمسنا الكتاب في رحلها فلم نر كتاباً قال: قلنا ما كذب رسول الله ﷺ لتخرجن الكتاب أو لنجردنك قال فلما رأت أني أهويت إلى حجزتها وهي محتجزة بكساء أخرجت الكتاب من عقاصها فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: **«يا حاطب ما هذا»** قال: لا تعجل علي إني كنت امرأ ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسها وكان من كان معك من المهاجرين لهم قرابات

= ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد وغيرها.

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير، باب إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر. ومسلم، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه.

يحمون أهليهم بمكة فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم إن أتخذ يداً يحمون بها قرابتي وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضاء بالكفر بعد الإسلام» فقال رسول الله ﷺ: «**إنه قد صدقكم**» فقال عمر دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال: «**إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال أعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[1].

فكان في هذا الكتاب إخبار المشركين بأن النبي ﷺ يريد يغزوهم فأعلمه الله بذلك.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: «نعى رسول الله ﷺ للناس النجاشي في اليوم الذي مات فيه فخرج إلى المصلى وكبر أربع تكبيرات»[2] وفي رواية عن جابر قال: «إن رسول الله ﷺ صلى على أصحمة النجاشي»[3].

وفي لفظ من رواية أبي هريرة قال: «قد مات اليوم عبد الله صالح أصحمة فأمنا وصلى عليه»[4] وفي رواية عمران بن حصين قال: «**إن أخاكم قد مات فصلوا عليه**، يعني النجاشي»[5].

وروى موسى بن عقبة عن ابن شهاب ورواها عروة بن الزبير ومحمد بن إسحاق بمعناه قال: ثم إن المشركين اشتدوا على رسول الله ﷺ

---

(١) رواه البخاري في أكثر من موضع، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح. ومسلم كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر.

(٢) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب الرجل ينعى إلى أهل الميت بنفسه. ومسلم في كتاب الجنائز باب في التكبير على الجنازة.

(٣) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب من صف صفين أو ثلاثة على الجنازة خلف الإمام. ومسلم في الجنائز باب في التكبير على الجنازة.

(٤) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب موت النجاشي. ومسلم، في كتاب الجنائز، باب في التكبير على الجنازة.

(٥) رواها مسلم في كتاب الجنائز، باب في التكبير على الجنازة.

كأشد ما كانوا حتى بلغ بالمسلمين الجهد واشتد عليهم البلاء وأجمعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسول الله ﷺ علانية فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بني عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم ويمنعوه ممن أراد قتله. فاجتمعوا على ذلك مسلمهم وكافرهم فمنهم من فعله حمية ومنهم من فعله إيماناً ويقيناً، فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا الرسول ﷺ واجتمعوا على ذلك، اجتمع المشركون من قريش فأجمعوا أمرهم أن لا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهوداً ومواثيق لا يقبلوا من بني هاشم أبداً صلحاً ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل. فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين واشتد عليهم البلاء والجهد وقطعوا عنهم الأسواق فلم يتركوا طعاماً يقدم مكة ولا بيعاً إلا بادروهم إليه فاشتروه يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله ﷺ.

زاد ابن إسحاق في روايته قال: حتى كان يسمع صوت صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع وعدوا على من أسلم فأوثقوهم وآذوهم واشتد البلاء عليهم وعظمت الفتنة وزلزلوا زلزالاً شديداً قال موسى بن عقبة في تمام حديثه: وكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله ﷺ فاضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد مكراً به واغتياله فإذا نوم الناس أمر أحد بنيه أو إخوته أو بني عمه فاضطجع على فراش رسول الله ﷺ وأمر رسول الله ﷺ أن يأتي بعض فرشهم فينام عليه.

فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من بني عبد مناف ومن بني قصي ورجال سواهم من قريش قد ولدتهم نساء بني هاشم ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم واستخفوا بالحق واجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه وبعث الله عز جل على صحيفتهم

التي فيها المكر برسول الله ﷺ الأرضة فلحست كل ما كان فيها من عهد وميثاق.

ويقال كانت معلقة في سقف البيت فلم تترك إسماً لله ﷻ فيها إلا لحسته وبقي ما فيها من شرك أو ظلم أو قطيعة رحم وأطلع الله رسوله على الذي صنع بصحيفتهم فذكر ذلك رسول الله ﷺ لأبي طالب فقال أبو طالب: لا والثواقب ما كذبني فانطلق يمشي بعصابة من بني عبد المطلب حتى أتى المسجد وهو حافل من قريش فلما رأوهم عامدين بجماعتهم أنكروا ذلك وظنوا أنهم أخرجوا من شدة البلاء فأتوهم ليعطوهم رسول الله ﷺ فتكلم أبو طالب فقال: قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم فائتوا بصحيفتكم التي تعاهدتم عليها فلعله أن يكون بينكم وبيننا صلح.

وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا في صحيفتهم قبل أن يأتوا بها فأتوا بصحيفتهم معجبين بها لا يشكون أن الرسول مدفوع إليهم فوضعوها بينهم وقالوا: قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمر يجمع قومكم فإنما قطع بيننا وبينكم رجل واحد جعلتموه خطراً لهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم فقال أبو طالب: إنما أتيتكم لأعطيكم أمراً فيه نصف فإن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني إن الله ﷻ بريء من هذه الصحيفة التي في أيديكم ومحا كل اسم هو له فيها وترك فيها غدركم وقطيعتكم إيانا وتظاهركم علينا بالظلم فإن كان الحديث الذي قال ابن أخي كما قال فأفيقوا فوالله لا نسلمه أبداً حتى نموت من عند آخرنا، وإن كان الذي قال باطلاً دفعناه إليكم فقتلتموه أو استحييتموه. قالوا: قد رضينا بالذي تقول ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدوق ﷺ قد أخبر خبرها فلما رأتها قريش كالذي قال أبو طالب قالوا: والله إن كان هذا إلا سحر من صاحبكم فارتكسوا وعادوا لشر ما كانوا عليه من كفرهم والشدة على

رسول الله ﷺ والمسلمين وعلى رهطه والقيام بما تعاهدوا عليه، فقال أولئك النفر من بني عبد المطلب: إن أولى بالسحر والكذب غيرنا فكيف ترون فإنا نعلم أن الذي اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الجبت والسحر من أمرنا ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهي في أيديكم طمس الله ما كان فيها من اسم وما كان فيها من بغي تركه أفنحن السحرة أم أنتم.

فقال عند ذلك النفر من بني عبد مناف وبني قصي ورجال من قريش ولدتهم نساء بني هاشم منهم أبو البختري[1] والمطعم بن عدي[2] وزهير بن أبي أمية ابن المغيرة[3] وزمعة بن الأسود[4] وهشام بن عمرو[5]

---

(١) أبو البختري: هو العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، قتل يوم بدر سنة (٢هـ) كافراً، قتله المجذر بن زياد البلوي رضي الله عنه.
انظر: أسد الغابة (٤/٢٨٨ ـ ٢٨٩).

(٢) هو المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي، وهو الذي أجار رسول الله ﷺ، عندما رجع من الطائف، مات المطعم قبل الهجرة، ورثاه حسان بن ثابت.
انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٢٨٥) و(٢/ ١٤ ـ ٢٠).

(٣) هو زهير بن أبي أمية بن المغيرة واسم أبيه عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وأمه: عاتكة بنت عبد المطلب، وقد أجارته أم هانئ بنت أبي طالب هو والحارث بن هشام يوم الفتح، وقد بايع رسول الله ﷺ يوم حنين، وأعطاه من الغنائم.
انظر: أسد الغابة (٢/١٠٩).

(٤) هو زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، أصيب يوم بدر مع أخويه عقيل والحارث، وقد قتله ثابت بن الجذع أو بني حرام، ويقال: اشترك فيه حمزة وعلي وثابت.
انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ١٥ و١٢٥ و٣٠٢ و٣٦٦).

(٥) هو هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حنيف أو حبيب بن جذيمة بن =

وكانت الصحيفة عنده وهو من بني عامر بن لؤي في رجال من أشرافهم ووجهوهم نحن براء مما في هذه الصحيفة فقال أبو جهل هذا أمر قد قضي بليل.

وأنشأ أبو طالب يقول في ذلك الشعر في شأن صحيفتهم ويمتدح النفر الذين تبرؤا منها ونقضوا ما كان فيها من عهد ويمتدح النجاشي قال موسى بن عقبة فلما أفسد الله صحيفة مكرهم خرج النبي ﷺ فعاشوا وخالطوا الناس»[1].

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: انطلق سعد بن معاذ معتمراً فنزل على أمية بن خلف أبي صفوان وكان أمية بن خلف إذا انطلق إلى الشام فمر بالمدينة نزل على سعد بن معاذ فقال لأمية: انظر لي ساعة خلوة لعلي أن أطوف بالبيت قال: انتظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت قال فخرج به قريباً من نصف النهار فلقيهما أبو جهل فقال: يا أبا صفوان من هذا معك قال هذا سعد فقال أبو جهل: إلا أراك تطوف بالبيت آمناً وقد أويتم الصباة وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً فقال له سعد وقد رفع صوته عليه لئن منعتني من هذا لأمنعنك ما هو أشد عليك منه طريقك على المدينة قال فقال له أمية لا ترفع صوتك على أبي الحكم سيد أهل الوادي فقال سعد دعنا منك يا أمية فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنه قاتلك**» قال بمكة قال لا

= مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب القرشي العامري، ذكره ابن إسحاق في المؤلفة ممن أعطاهم الرسول ﷺ دون المائة من غنائم حنين، كان كثير التردد على بني هاشم في الشعب.

انظر: أسد الغابة (٤/ ٦٢٨)، الإصابة (٣/ ٦٠٥ ـ ٦٠٦).

(١) القصة بطولها ذكرها ابن هشام في السيرة (٢/ ١٤).

أدري ففزع لذلك أمية فزعاً شديداً وقال والله ما يكذب محمد فلما رجع أمية إلى أهله قال يا أم صفوان الم تري إلى ما قال لي سعد قالت وما قال لك قال زعم أن محمداً أخبرهم أنه قاتلي فقلت له بمكة فقال لا أدري فقالت والله ما يكذب محمد فقال أمية والله لا أخرج من مكة فلما كان يوم بدر استنصر ابو جهل الناس فقال: أدركوا عيركم قال: فكره أمية أن يخرج فأتاه أبو جهل فقال يا أبا صفوان إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك فلم يزل أبو جهل حتى قال: إذ غلبتني فوالله لأشترين أجود بعير بمكة قال: يا أم صفوان جهزيني فقالت له: يا أبا صفوان قد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي قال: لا وما أريد أن أجوز معهم إلا قريباً قال فلما خرج أمية جعل لا ينزل منزلاً إلا عقل بعيره فلم يزل كذلك حتى قتله الله ببدر»[1].

وعن كعب بن مالك قال: «كان أبي بن خلف أخو بني جمع قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله ﷺ فلما بلغت رسول الله ﷺ حلفته قال رسول الله ﷺ: «**بل أنا أقتله إن شاء الله ﷻ**» فأقبل أبي مقنعاً في الحديد وهو يقول: لا نجوت إن نجا محمد، فحمل على رسول الله ﷺ يريد قتله فاستقبله مصعب بن عمير من بني عبد الدار يقي رسول الله ﷺ بنفسه فقتل مصعب بن عمير وأبصر النبي ﷺ ترقوة أبي بن خلف من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة فطعنه فيها بحربته فوقع أبي عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور فقالوا: الله ما أجزعك إنما هو خدش فذكر لهم قول رسول الله ﷺ أنا أقتل أبياً ثم قال: والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي

---

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة، وكتاب المغازي، باب ذكر النبي ﷺ من يقتل من ببدر، وفي كتاب الوكالة، باب إذا وكل المسلم حربياً في دار الحرب.

المجاز لماتوا أجمعون فمات إلى النار»[1] ورواه موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزهري عن سعيد بن المسيب وذكره الواقدي بإسناده وهذا لفظه وهو مما ذكره عروة بن الزبير في مغازيه وابن إسحاق وغيره.

وذكر موسى بن عقبة في مغازيه أن عمير بن وهب الجمحي لما رجع فل المشركين إلى مكة وقد قتل الله من قتل منهم أقبل عمير حتى جلس إلى صفوان بن أمية في الحجر فقال صفوان: قبح الله العيش بعد قتلى بدر قال: أجل والله ما في العيش خير بعدهم ولولا دين علي لا أجد له قضاء وعيال لا أدع لهم شيئاً لرحلت إلى محمد فقتلته إن ملأت عيني منه فإن لي عنده علة أعتل بها أقول قدمت على ابني أفدي هذا الأسير ففرح صفوان بقوله وقال له: علي دينك وعيالك أسوة عيالي في النفقة فحمله صفوان وجهزه وأمر بسيف عمير فصقل وسم فأقبل عمير حتى قدم المدينة فنزل بباب المسجد وعقل راحلته وأخذ السيف فعمد لرسول الله ﷺ فنظر عمر بن الخطاب إليه وهو في نفر من الأنصار يتحدثون فقال عمر عندكم الكلب هذا عدو الله الذي حرش بيننا يوم بدر وحزرنا للقوم ثم قام عمر حتى دخل على رسول الله ﷺ إلى أن قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما أقدمك»** قال أسيري عندكم ففادونا في أسرائنا فإنكم العشيرة والأهل قال: **«فما بال السيف في عنقك؟»** قال عمير قبحها الله من سيوف فهل أغنت عنا شيئاً إنما نسيته في عنقي حين نزلت فقال له رسول الله ﷺ: **«صدقني ما أقدمك»** قال: ما قدمت إلا في أسيري قال: **«فماذا شرطت لصفوان بن أمية في الحجر»** ففزع عمير وقال ماذا شرطت؟ قال: **«تحملت له بقتلي على أن يعول بيتك ويقضي دينك والله حائل بينك وبين ذلك»** فقال عمير: أشهد أنك رسول الله وان لا إله إلا الله كنا نكذبك بالوحي وبما يأتيك من السماء وهذا الحديث كان بيني

---

(١) القصة في دلائل النبوة للبيهقي (٣/٢٥٨ ـ ٢٥٩).

وبين صفوان في الحجر لم يطلع عليه أحد غيري وغيره فأخبرك الله به وذكر بقية الحديث»[1].

وفي صحيح البخاري عن أنس قال بعث رسول الله ﷺ أقواماً من بني سليم إلى بني عامر في سبعين فلما قدموا قال لهم خالي أتقدمكم فإن أمنوني حتى أبلغهم عن رسول الله ﷺ وإلا كنتم مني قريباً فأمنوه فبينما هو يحدثهم عن النبي ﷺ إذ أومأوا إلى رجل منهم فطعنه فأنفذه قال فزت ورب الكعبة ثم مالوا على بقية أصحابه فقتلوهم إلا رجل أعرج صعد الجبل وآخر معه فأخبر جبريل النبي ﷺ أنهم قد لقوا ربهم فرضي الله عنهم وأرضاهم فكنا نقرأ أن بلغوا عنا قومنا إنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا ثم نسخ فدعا عليهم أربعين صباحاً على رعل وذكوان وبني لحيان وعصية الذين عصوا الله ورسوله وكان في هؤلاء عامر بن فهيرة قال عنه عامر بن الطفيل لقد رأيته بعدما قتل رفع إلى السماء حتى أني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض»[2].

وفي الصحيحين من حديث أبي حميد الساعدي قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فأتينا وادي القرى على حديقة لامرأة فقال رسول الله ﷺ: «**أخرصوها**» فخرصناها وخرصها رسول الله ﷺ عشرة أوسق قال أحصيها حتى نرجع إليك إن شاء الله تعالى فانطلقنا حتى قدمنا تبوك فقال النبي ﷺ: «**ستهب عليكم الليلة ريح شديدة، فلا يقم فيها أحد فمن كان له بعير فليشد عقاله**» فهبت ريح شديدة فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبل طيء»[3].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٣١٦ ـ ٣١٨).
(٢) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع.
(٣) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب خرص التمر. ومسلم في كتاب الفضائل باب في معجزات النبي ﷺ.

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس قال كان الذي أسر العباس بن عبد المطلب أبو اليسر بن عمرو وهو كعب بن عمرو أحدبني سلمة فقال له رسول الله ﷺ: «**كيف أسرته يا أبا اليسر**» فقال لقد أعانني عليه رجل ما رأيته بعد ولا قبل هيئته كذا وكذا فقال رسول الله ﷺ: «**لقد أعانك عليه ملك كريم**» وقال للعباس: «**يا عباس أفد نفسك وابن أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث وحليفك عتبة بن جحدم أخو بني الحارث بن فهر**» قال: فإني قد كنت مسلماً قبل ذلك وإنما استكرهوني قال: «**الله أعلم بشأنك إن يك ما تدعي حقاً فالله يجزيك بذلك وأما ظاهر أمرك فقد كان علينا فافد نفسك**» وقد كان رسول الله ﷺ قد أخذ منه عشرين أوقية ذهب فقال يا رسول الله أحسبها لي من فداي قال: «**لا ذلك شيء أعطانا الله منك**» قال فإنه ليس لي مال قال: «**فأين المال الذي وضعته بمكة حين خرجت عند أم الفضل وليس معك أحد غيركما، فقلت: إن أصبت في سفري هذا فللفضل كذا ولقثم كذا ولعبد الله كذا**» قال فوالذي بعثك بالحق ما علم بهذا أحد من الناس غيري وغيرها وأني أعلم أنك لرسول الله»(١).

وفي صحيح البخاري لما أرسل النبي ﷺ الجيش في غزوة مؤتة وأمر عليهم زيد بن الحارثة وقال: «**إن قتل فجعفر فإن قتل فعبد الله بن رواحة**».

فروى البخاري عن أنس بن مالك قال نعى رسول الله ﷺ زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب وإن عيني رسول الله ﷺ لتذرفان ثم أخذها خالد بن الوليد سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم»(٢) اهـ.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٣٤) والحديث حسن بشواهده.

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب خالد بن الوليد ﵁، وفي كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام.

فوائد كتاب بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية

٥٨ ـ مسألة رؤية الله تعالى في المنام:

(١/ ٧٢): «بل لفظ الرؤية وإن كان في الأصل مطابقاً فقد لا يكون مطابقاً كما في قوله: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨] وقال: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾ [آل عمران: ١٣].

وقد يكون التوهم والتخيل مطابقاً من وجه دون وجه فهو حق في مرتبته وإن لم يكن مماثلاً للحقيقة الخارجة مثل ما يراه الناس في منامهم وقد يرى في اليقظة من جنس ما يراه في منامه فإنه يرى صوراً وأفعالاً ويسمع أقوالاً وتلك أمثال مضروبة لحقائق خارجية كما رأى يوسف سجود الكواكب والشمس والقمر له فلا ريب أن هذا تمثله وتصوره في نفسه وكانت حقيقته سجود أبويه وأخوته كما قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠] وكذلك رؤيا الملك التي عبرها يوسف حيث رأى السنبل بل والبقر فتلك رآها متخيلة متمثلة في نفسه وكانت حقيقتها وتأويلها من الخصب والجدب.

فهذا التمثل والتخيل حق وصدق في مرتبته بمعنى أن له تأويلاً صحيحاً يكون مناسباً له ومشابهاً له من بعض الوجوه فإن تأويل الرؤيا مبناها على القياس والاعتبار والمشابهة والمناسبة ولكن من اعتقد أن ما تمثل في نفسه وتخيل من الرؤيا هو مماثل لنفس الموجود في الخارج وأن تلك الأمور هي بعينها رآها فهو مبطل مثل من يعتقد أن نفس الشمس التي في السماء والقمر والكواكب انفصلت عن أماكنها وسجدت ليوسف وأن بقراً موجودة في الخارج سبعاً سماناً أكلت سبعاً عجافاً: فهذا باطل.

وإذا كان كذلك فالإنسان قد يرى ربه في المنام ويخاطبه فهذا حق في الرؤيا ولا يجوز أن يعتقد أن الله في نفسه مثل ما رأى في المنام فإن سائر ما يرى في المنام لا يجب أن يكون مماثلاً ولكن لا بد أن تكون الصورة التي رآه فيها مناسبة ومشابهة لاعتقاده في ربه فإن كان إيمانه واعتقاده مطابقاً أتي من الصور وسمع من الكلام ما يناسب ذلك وإلا كان بالعكس قال بعض المشايخ: إذا رأى العبد ربه في صورة كانت تلك الصورة حجاباً بينه وبين الله وما زال الصالحون وغيرهم يرون ربهم في المنام ويخاطبهم وما أظن عاقلاً ينكر ذلك فإن وجود هذا مما لا يمكن دفعه إذ الرؤيا تقع للإنسان بغير اختياره وهذه مسألة معروفة وقد ذكرها العلماء من أصحابنا وغيرهم في أصول الدين وحكوا عن طائفة من المعتزلة وغيرهم إنكار رؤية الله والنقل بذلك متواتر عمن رأى ربه في المنام ولكن لعلهم قالوا: لا يجوز أن يعتقد أنه رأى ربه في المنام فيكونون قد جعلوا مثل هذا من أضغاث الأحلام ويكونون من فرط سلبهم ونفيهم نفوا أن تكون رؤية الله في المنام رؤية صحيحة كسائر ما يرى في المنام فهذا مما يقوله المتجهمة وهو باطل مخالف لما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها بل ولما اتفق عليه عامة عقلاء بني آدم وليس في رؤية الله في المنام نقص ولا عيب يتعلق به ﷻ وإنما ذلك بحسب حال الرائي وصحة إيمانه وفساده واستقامة حاله وانحرافه وقول من يقول ما خطر بالبال أو دار في الخيال فالله بخلافه ونحو ذلك إذا حمل على مثل هذا كان محملاً صحيحاً فلا نعتقد أن ما تخيله الإنسان في منامه أو يقظته من الصور أن الله في نفسه مثل ذلك فإنه ليس هو في نفسه مثل ذلك بل نفس الجن والملائكة لا يتصورها الإنسان ويتخيلها على حقيقتها.

بل هي على خلاف ما يتخيله ويتصوره في منامه ويقظته وإن كان ما رآه مناسباً مشابهاً لها فالله تعالى أجل وأعظم». اهـ.

٥٩ ـ وصف الله تعالى بصفة يوصف بها العبد لا يعني اشتراك الخالق جل وعلا مع المخلوق في كيفية الصفة، مثال: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾، ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾، ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾، وذكر الشيخ ثمانية وعشرين مثالاً:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في تناقض الرازي:

(١/ ٣٨٥): «الفصل الثاني في أن «المجسم» هل يوصف بأنه مشبه أم لا؟ قال: المجسم إنا وإن قلنا إنه جسم مختص بالحيز والجهة إلا أنا نعتقد أنه بخلاف سائر الأجسام في ذاته وحقيقته وذلك يمنع من القول بالتشبيه فإن إثبات المساواة في بعض الأمور لا يوجب إثبات التشبيه ويدل على ذلك أنه تعالى صرح في كتابه بالمساواة في الصفات الكثيرة ولم يقل أحد بأن ذلك يوجب التشبيه».

فالأول: قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في صفة نفسه: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] وقال في صفة الإنسان ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢].

الثاني: قال: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧] وقال في الإنسان: ﴿تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا﴾ [التوبة: ٩٢].

الثالث: قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] وفي الإنسان: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠] وقال في نفسه: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾ [يس: ٧١] وفي الإنسان: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠].

الرابع: قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] وفي الإنسان: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف: ١٣].

الخامس: قال في صفة نفسه: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ﴾ [الحشر: ٢٣] ووصف الخلق بذلك فقال إخوة يوسف: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ﴾ [الحشر: ٢٣] ووصف الخلق بذلك فقال إخوة يوسف: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ﴾ [يوسف ٧٨ و٨٨] وقال: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

والسادس: سمى نفسه: ﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ ثم وصف العرش فقال: ﴿رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩، والنمل: ٢٦].

والسابع: وصف نفسه: ﴿ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ ووصف يوسف بها فقال: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، وقال: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨]، وقال في آية أخرى: ﴿بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١].

الثامن: سمى تحيتنا سلاماً فقال: ﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤] وسمى نفسه سلاماً كما ﷺ بعد فراغه من الصلاة: «**اللّهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام**»[1].

التاسع: المؤمن قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ﴾ [الحجرات: ٩] ووصف نفسه تعالى به فقال: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣].

العاشر: الحكم قال الله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾ [الأنعام: ٦٢] ووصفنا به فقال: ﴿فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ [النساء: ٣٥].

الحادي عشر: الراحم ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ وهو ظاهر.

الثاني عشر: الشكور فقال: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤].

الثالث عشر: ﴿ٱلۡعَلِيِّ﴾ والإنسان يسمى بذلك منهم كعلي رضي الله عنه.

الرابع عشر: ﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾ قال في نفسه: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ وقال: ﴿إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا﴾ [يوسف: ٧٨] وقال في حكاية عن المرأتين: ﴿وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾ [القصص: ٢٣].

الخامس عشر: ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ والله تعالى وصف نفسه وكتابه.

السادس عشر: الشهيد قال في حق الخلق: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ﴾ [النساء: ٤١] وقال في حق نفسه: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

---

(١) رواه مسلم من حديث ثوبان وعائشة في كتاب الاستغفار، باب الأمر بالاستغفار وفضله.

السابع عشر: قال الله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [طه: ١١٤، والمؤمنون: ١١٦]، وقال: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥]، ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان: ٢٦]، ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٣٣]، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣، والفتح: ٢٨ والصف: ٩].

الثامن عشر: الوكيل قال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢، والزمر: ٦٢]، وقد يوصف الخلق بذلك فيقال فلان وكل فلاناً.

التاسع عشر: (المولى) قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمد: ١١]، ثم قال تعالى: في حقنا: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ﴾ [النساء: ٣٣]، والنبي ﷺ قال: **«من كنت مولاه فعلي مولاه»**[1].

العشرون: الولي: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [المائدة: ٥٥] وقال النبي ﷺ: **«أيما امرأة أنكحت نفسها بغير إذن وليها فنكاحها باطل»**[2] وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٧١ و٢٦٢ و٢٦٩ و٤٢٤)، والترمذي في كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وصححه الحاكم وقال: على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وللحديث طرق كثيرة.
انظر: السلسلة الصحيحة للألباني رقم (١٧٥٠).

(٢) رواه أحمد (٤٠/ ٢٤٣ ـ ٤٣٥) (٤٢/ ١٩٩)، وأبو داود، في كتاب النكاح، باب في الولي، والترمذي، في كتاب النكاح، باب ما جاء لا نكاح إلا بولي، من حديث عائشة رضي الله عنها.
قال الحافظ في «الفتح» (٩/ ١٩١): حسنه الترمذي وصححه أبو عوانة وابن خزيمة وابن حبان والحاكم.اهـ.

الحادي والعشرون: (الحي) قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾ [البقرة: ٢٥٥، آل عمران: ٢] وقال: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

الثاني والعشرون: قال تعالى: ﴿أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [الأنعام: ١٩، وإبراهيم: ٥٢، والنحل: ٥١]، ويقع هذا الوصف على أكثر الأشياء فيقال: ثوب واحد وإنسان واحد.

الثالث والعشرون: التواب قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ١٦] وسمى الخلق به فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

الرابع والعشرون: الغني قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ﴾ [محمد: ٣٨] وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ﴾ [التوبة: ٩٣] وقال النبي ﷺ: «**خذها من أغنيائهم وردها على فقرائهم**»(١).

الخامس والعشرون: النور قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النور: ٣٥] وقال: ﴿يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم﴾ [الحديد: ١٢].

السادس والعشرون: الهادي قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [البقرة: ٢٧٢، القصص: ٥٦] وقال: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧].

السابع والعشرون: الاستماع قال الله تعالى: ﴿فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥] وقال لموسى: ﴿فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: ١٣].

الثامن والعشرون: (القديم) قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]». اهـ.

---

(١) رواه البخاري في عدة مواضع من صحيحه، منها في كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، وباب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة.
ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام.

فوائد كتاب «درء تعارض العقل والنقل»

٦٠ ـ يخاطب الله بني إسرائيل في القرآن والمقصود اتعاظنا نحن، كما قيل «إياكِ أعني واسمعي يا جارة»:

(١/ ٢٢٠): «والمقصود هنا الاعتبار فإن بني إسرائيل قد ذهبوا أو كفروا وإنما ذكرت قصصهم عبرة لنا وكان بعض السلف يقول إن بني إسرائيل ذهبوا وإنما يعني أنتم ومن الأمثال السائرة إياك أعني واسمعي يا جارة فكان فيما خاطب الله به بني إسرائيل عبرة لنا أن لا نلبس الحق بالباطل ونكتم الحق». اهـ.

٦١ ـ قيل لبعض المبتدعة لماذا يقبل الناس قول أهل الإثبات ولا يقبلون قولكم؟ فقال: نحن إذا أخذنا الشخص فربيناه وعلمناه ودهناه ثلاثين سنة ثم أردنا أن ننزل في حلقه لم ينزل إلا بكلفة، وكلامهم إذا سمعه الناس قبلوه لعلمهم أنه الذي جاء به الرسول ﷺ:

(٥/ ٦١ ـ ٦٢): «ولقد حدثني بعض أصحابنا أن بعض الفضلاء الذين فيهم نوع من التجهم[١] عاتبه بعض أصحابه على إمساكه عن الانتصار لأقوال النفاة لما ظهر قول الإثبات في بلدهم بعد أن كان خفياً واستجاب له الناس بعد أن كان المتكلم به عندهم قد جاء شيئاً فرياً فقال هذا إذا سمعه الناس قبلوه وتلقوه بالقبول وظهر لهم أنه الحق الذي جاء به الرسول ونحن إذا أخذنا الشخص فربيناه وغذيناه ودهناه ثلاثين سنة ثم أردنا أن ننزل قولنا في حلقه لم ينزل في حلقه إلا بكلفة». اهـ.

---

(١) أي مذهب الجهمية، انظر فائدة رقم (١٣).

فوائد كتاب «الرد على الأخنائي»

٦٢ ـ جاء النصارى فقالوا: يا محمد إنك تنتقص صاحبنا وتقول: هو عبد الله فقال ﷺ: إنه ليس بعار على عيسى أن يكون عبداً لله، فأنزل الله ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ ...﴾ فمن غلا في نبي وعدّ معاملته بقدره والانضباط بضوابط التوحيد، من عدّ هذا تنقصاً فقد شابه النصارى:

(ص١٠٨ ـ ١٠٩): «فإذا قيل لا يجوز لأحد أن يتخذ الملائكة والنبيين أرباباً كما ذكر الله ذلك في القرآن[١] ولم يقل مسلم هذا معاداة لهم ولا منقصة ولا سب، وكذلك إذا قيل إنهم عبادة الله وأن المسيح وغيره عباد لله كان هذا توحيداً وإيماناً لم يكن ذلك تنقصاً ولا سباً ولا معادة قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ـ إلى قوله ـ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾: «وقد ذكر أهل التفسير أن أهل نجران قالوا: يا محمد إنك تعيب صاحبنا فتقول إنه عبد الله، فقال النبي ﷺ: إنه ليس بعار بعيسى أن يكون عبداً لله فنزل ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾[٢] [النساء: ١٧٢] أي لن يأنف ويتعظم عن ذلك، فمن جعل تحقيق التوحيد تنقصاً بالأنبياء أو سباً أو معاداة فهو من جنس هؤلاء النصارى، والنهي عن اتخاذ قبورهم مساجد والسفر إليها واتخاذها أوثاناً وعيداً فهو من جنس هذا الباب من باب تحقيق التوحيد». اهـ.

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: ٨٠].

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول (١/ ٦٦ ـ شاملة)، عن الكلبي.

٦٣ ـ من سلم عليك وجب عليك رد السلام وإن كان كافراً:

(ص١٤٢): «والمقصود هنا أن هذا السلام المأمور به خصوصاً هو المشروع في الصلاة وغيرها عموماً على كل عبد صالح كقول المصلي «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»، فإن هذا ثابت في التشهدات المروية عن النبي ﷺ مثل حديث ابن مسعود في الصحيحين[1] وحديث أبي موسى وابن عباس[2] اللذين رواهما مسلم وحديث عمر وعائشة وجابر وغيرهم التي في المسانيد والسنن وهذا السلام لا يقتضي رداً من المسلم عليه بل وبمنزلة دعاء المؤمن للمؤمنين واستغفاره لهم، فيه الأجر والثواب من الله وليس على المدعو لهم مثل ذلك الدعاء بخلاف سلام التحية فإنه مشروع بالنص والاجماع في حق كل مسلم وعلى المسلم عليه أن يرد السلام ولو كان المسلم عليه كافر فإن هذا من العدل الواجب ولهذا كان النبي ﷺ يرد على اليهود بقوله «وعليكم[3]». اهـ.

٦٤ ـ هل استجاب الله تعالى لرسوله ﷺ لما قال: «اللّهم لا تجعل قبري عيداً»:

(ص١٦١ ـ ١٦٢): «والعبادة المشروعة في المسجد معروفة

---

(١) رواه البخاري في عدة مواضع في الصحيح، منها كتاب الأذان، باب ما يتخير من الدعاء بعد التشهد، وكتاب العمل في الصلاة، باب من سمى قوماً أو سلم فى الصلاة على غيره مواجهة وهو لا يعلم .
ومسلم في كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة.

(٢) رواه مسلم عنهما في كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة.

(٣) عن عائشة رضي الله عنها قالت: (دخل رهط من اليهود على رسول اللّه فقالوا السامُ عليكم. قالت عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السامُ واللعنة. قالت: فقال رسول الله ﷺ: «مهلاً يا عائشة إن الله يُحبّ الرفق في الأمر كله»، فقلت: يا رسول الله ﷺ أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: «قد قلت وعليكم»). رواه البخاري، كتاب الأدب باب الرفق في الأمر كله.

بخلاف ما لو كان قبره منفرداً عن المسجد والمسافر إليه إنما يسافر إلى المسجد وإذا سمي هذا زيارة لقبره فهو اسم لا مسمى له إنما هو إتيان إلى مسجده، ولهذا لم يطلق السلف هذا اللفظ، ولا عند قبره قناديل معلقة، ولا ستور مسبلة، بل إنما تعلق القناديل في المسجد المؤسس على التقوى ولا يقدر أحد أن يخلق نفس قبره بزعفران أو غيره من الخلوق، ولا ينذر له زيتاً ولا شمعاً ولا ستراً ولا غير ذلك مما ينذر لغير قبره وإن كان فعل شيء من ذلك في ظاهر الحجرة أو كان في بعض الأحوال قد ستر بعض الناس الحجرة أو خلّقها بعضهم بزعفران فهذا إنما هو للحائط الذي يلي المسجد لا من باطن الحجرة والقبر كما يفعل بقبر غيره، فعلم أن الله سبحانه استجاب دعاءه حيث قال: **«اللّهم لا تجعل قبري وثناً يعبد»**[1] وإن كان كثير من الناس يريدون أن يجعلوه وثناً ويعتقدون أن ذلك تعظيم له، كما يريدون ذلك ويعتقدونه في قبر غيره فهم لا يتمكنون من ذلك بل هذا القصد والاعتقاد خيال في أنفسهم لا حقيقة في الخارج، لخلاف القبر الذي جعله وثناً وإن كان الميت وليا لله لا أثم عليه من فعل من أشرك به كما لا أثم على المسيح من فعل من أشرك به كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ

---

(١) رواه مالك في الموطأ، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة، الحديث رقم (٨٥)، (١/ ١٧٢)، ومالك أرسله. لكن رواه أحمد عن أبي هريرة موصولاً عن النبي ﷺ، المسند (١٢/ ٣١٤).

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٦ ـ ١١٧] وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الفرقان: ١٧ ـ ١٩]». اهـ.

٦٥ ـ العمل المفضول إذا فعل في مكانه صار أفضل من العمل الفاضل، كالتسبيح في الركوع والسجود أفضل من القراءة، والتسبيح بعد الفجر والعصر أفضل من الصلاة:

(ص١٨٠ ـ ١٨١): وقد يكون العمل المفضول في حق بعض الناس أفضل لكونه أنفع له وأرغب فيه وهو أحب إليه من عمل أفضل منه لكون يعجز عنه أو لم يتيسر له، فهذا يختلف بحسب اختلاف الأشخاص وهو غير ما ثبت فضل جنسه بالشرع كما ثبت أن الصلاة أفضل ثم القراءة ثم الذكر بالأدلة الشرعية مع أن العمل المفضول في مكانه هو أفضل من الفاضل في غير مكانه كفضيلة الذكر والدعاء والقراءة بعد الفجر والعصر على الصلاة المنهي عنها في هذا الوقت، وكفضيلة التسبيح في الركوع والسجود على القراءة لأنه نهى أن يقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً وكفضيلة الدعاء في آخر الصلاة على القراءة هناك لأنه موطن الدعاء ونظائره متعددة». اهـ.

فوائد كتاب المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية

٦٦ ـ حكاية امتناع الإمام أحمد عن الخبز من بيت ابنه صالح لما تولى القضاء باطلة:

(١/ ٢٤): «كذبوا على أحمد بن حنبل حكايات في السنة والورع، وذكر هذه الحكاية، وحكاية امتناعه من الخبز الذي في بيت ابنه صالح لما تولى القضاء». اهـ.

٦٧ ـ لم يختلف الصحابة في شيء من الصفات المذكورة في القرآن إلا آية ﴿عَن سَاقٍ﴾ لأنها جاءت غير مضافة:

(١/ ٧١): «نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] أنه قال: عن شدة[١]، وثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد رضي الله عنه في حديثه الطويل الذي فيه تجلى الله لعباده يوم القيامة **«وأنه يحتجب ثم يتجلى، قال: فيكشف عن ساقه فينظرون إليه»**[٢]. والذي في القرآن ﴿سَاقٍ﴾ ليست مضافة فلهذا وقع النزاع هل هو من الصفات أم لا؟

ولا أعلم خلافاً عن الصحابة في شيء مما يعد من الصفات المذكورة في القرآن إلا هذه الآية لعدم الإضافة فيها، والذي يجعلها من

---

(١) رواه ابن جرير في جامع البيان (٢٣/ ٥٥٤).

(٢) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، ومسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية.

الصفات يقول فيها كقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] وقوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧] ونحو ذلك، فإن الصفات تثبت ويجب تنزيه الرب عن التمثيل لأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾. اهـ.

٦٨ ـ أول بدعة ظهرت في الإسلام القدر والإرجاء ثم التشيع إلى أن انتهى الأمر بالاتحاد والحلول:

(١/ ٧٦ ـ ٧٧): «وهكذا ظهرت البدع كلما طال الأمر وبعد العهد اشتد أمرهم وتغلظت، قال: وأول بدعة ظهرت في الإسلام بدعة القدر والإرجاء ثم بدعة التشيع إلى أن انتهى الأمر إلى الاتحاد والحلول وأمثالهما». اهـ.

٦٩ ـ الصحيح في أولاد المشركين أنهم يمتحنون في العرصات:

(١/ ١٠٦): «وأما أطفال المشركين فأصح الأجوبة فيهم ما ثبت في الصحيحين: «أن رسول الله ﷺ سئل عنهم فقال: **الله أعلم بما كانوا عاملين**»[(١)] فلا نحكم على معين منهم لا بجنة ولا بنار، ويروى أنهم يمتحنون يوم القيامة، فمن أطاع منهم دخل الجنة، ومن عصى دخل النار[(٢)]، وقد دلت الأحاديث الصحيحة على أن بعضهم في

---

(١) رواه البخاري في الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، وكتاب القدر، باب الله أعلم بما كانوا عاملين، ومسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين.

(٢) كما في حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ في الهالك في الفترة والمعتوه والمولود قال يقول الهالك في الفترة لم يأتني كتاب ولا رسول ثم تلا: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ إلى آخر الآية ويقول المعتوه رب لم تجعل لي عقلاً أعقل به خيراً ولا شراً قال ويقول المولود رب لم أدرك العمل قال فترفع لهم نار فيقال ردوها ادخلوها قال فيردها أو يدخلها من كان في علم الله سعيداً وأدرك العمل ويمسك عنها =

الجنة[1] وبعضهم في النار[2]، والصحيح في أطفال الكفار أنهم يمتحنون في عرصات القيامة».اهـ.

٧٠ ـ حديث دخول عبد الرحمن بن عوف الجنة حبواً باطل:

(١/ ١١٣): «والحديث المذكور عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ باطل رواه أبو نعيم من طريق رجل اتفق أهل العلم على رد أخباره[3]، بل هو مخالف للنصوص وإجماع السلف والأئمة، فإنه من أهل الشورى

= من كان في علم الله شقياً لو أدرك العمل قال فيقول الله عز وجل إياي عصيتم فكيف رسلي لو أتتكم». رواه ابن عبد البر في التمهيد (١٨/ ١٢٧) وحكم بضعفه.

(١) رواه البخاري من حديث سمرة الطويل وفيه: «وأما الرجل الطوال الذي في الروضة فإنه إبراهيم، وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة، فقال بعض المسلمين: وأولاد المشركين؟ فقال ﷺ: وأولاد المشركين».

(٢) كما في صحيح مسلم في قصة الغلام الذي قتله الخضر.

(٣) فيه عمارة بن زاذان الصيدلاني أبو سلمة البصري:
أورده الحافظ في «التهذيب» (٧ ـ ٣٦٥) وقال: قال الأثرم عن أحمد: يروي عن ثابت عن أنس أحاديث مناكير، وقال: الآجري عن أبي داود: ليس بذاك، وقال الساجي: فيه ضعف ليس بشيء ولا يقوى في الحديث.اهـ.
وقال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢ ـ ١٣): قال أحمد بن حنبل: هذا الحديث كذب منكر، قال: وعمارة يروي أحاديث مناكير.
قال أبو حاتم الرازي: عمارة بن زاذان لا يحتج به.
وقد روى الجراح بن منهال إسناداً له عن عبد الرحمن بن عوف أنّ النبي ﷺ قال: «يا ابن عوف إنك من الأغنياء، وإنك لا تدخل الجنة إلا زحفاً فاقرض ربك يطلق قدميك».
قال النسائي: هذا حديث موضوع، والجراح متروك الحديث، وقال يحيى: ليس حديث الجراح بشيء، وقال ابن المديني لا يكتب حديثه، وقال ابن حبان: كان يكذب، وقال الدارقطني: روى عنه ابن إسحاق فقلب اسمه فقال منهال ابن الجراح وهو متروك»..اهـ.

الذين هم أفضل الأمة بعد أبي بكر وعمر، وأهل الشورى هم، عثمان وعلي وعبد الرحمن والزبير وطلحة وسعد ﷺ أجمعين فهؤلاء الستة جعل عمر ﷺ الخلافة فيهم، وأخبر أن الرسول ﷺ توفي وهو عنهم راض، ثم إن ثلاثة قدموا ثلاثة، قدموا عثمان وعلي وعبد الرحمن، ثم إنهم جعلوا عبد الرحمن يختار للأمة ورضوا بذلك، فمن هو بهذه المنزلة كيف يتأخر دخوله الجنة أو يدخل حبواً؟ ولو دخلها لغناه حبواً لدخلها سائر الصحابة الأغنياء حبواً: كعثمان وطلحة والزبير وسعد بن معاذ وسعد بن عبادة وأسيد بن خضير بل في الأنبياء من هو غني إبراهيم وداود وسليمان ويوسف صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين». اهـ.

٧١ ـ أبو بكر وعمر فضلا عن موسى ﷺ أفضل من الخضر:

(١١٣ ـ ١١٤) وقد أجمع المسلمون على أن موسى أفضل من الخضر.

فمن قال: إن الخضر أفضل فقد كفر، وساء قيل: إن الخضر نبي أو ولي، والجمهور على أنه ليس بنبي، بل أنبياء بني إسرائيل الذين اتبعوا التوراة وذكرهم الله تعالى كداود وسليمان أفضل من الخضر، بل على قول الجمهور أنه ليس بنبي فأبو بكر وعمر ﷺ أفضل منه، وكونه يعلمن مسائل لا يعلمها موسى لا يوجب أن يكون أفضل منه مطلقاً، كما أن الهدهد لما قال لسليمان ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ [النمل: ٢٢] لم يكن أفضل من سليمان.

وكما أن الذين كانوا يلقحون النخل لما كانوا أعلم بتلقيحة من النبي ﷺ لم يجب من ذلك أن يكونوا أفضل منه ﷺ، وقد قال لهم: **«أنتم أعلم بأمور دنياكم، وأما ما كان من أمر دينكم فإلي»**[(١)].

---

(١) رواه مسلم بلفظ قريب منه في كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأي، من حديث عائشة وأنس ﷺ.

وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ كانوا يتعلمون ممن هو دونهم علم الدين الذي عندهم، وقد قال النبي ﷺ: **«لم يبق بعدي من النبوة إلا الرؤيا الصالحة»**[1] ومعلوم رتبتهم في العلم أفضل ممن حصلت له الرؤيا الصالحة، وغاية الخضر أن يكون عنده من الكشف ما هو جزء من أجزاء النبوة، كيف يكون أفضل من نبي؟ فكيف بالرسول؟ فكيف بأولي العزم». اهـ.

٧٢ - يعفى لصاحب الإحسان العظيم ما لا يعفى لغيره، فانظر إلى موسى ﷺ ألقى الألواح وجرّ لحية أخيه هارون، وفقأ عين ملك الموت، وربه مع ذلك يتجاوز عنه لأن له مقامات عالية مع فرعون، وبني إسرائيل بخلاف يونس ﷺ:

قال ابن القيم[2] ﷺ: وأيضاً فإنه يعفى للمحب ولصاحب

---

(١) رواه مسلم، في كتاب الصلاة، باب النهى عن قراءة القرآن في الركوع والسجود من حديث ابن عباس بلفظ «كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر فقال: «أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً فأما الركوع فعظموا فيه الرب ﷻ وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم».

ورواه البخاري في كتاب التعبير، باب المبشرات، من حديث أبي هريرة بلفظ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات». قالوا وما المبشرات قال: «الرؤيا الصالحة».

(٢) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله بن قيم الجوزية، الفقيه، الأصولي، المفسر، النحوي، ولد سنة (٦٩١هـ)، كان من العلماء الجهابذة، ذو عبادة وتهجد، تتلمذ لابن تيمية - رحمهم الله -، له تصانيف كثيرة نافعة، منها: الصواعق المرسلة، إعلام الموقعين، وغيرها. توفي في رجب سنة (٧٥١هـ)، ألف في ترجمته جمع، منهم: عبد العظيم شرف الدين، بكر أبو زيد.

انظر: طبقات الحنابلة (٢/ ٤٤٧)، الدرر الكامنة (٤/ ٢١)، شذرات الذهب (٦/ ١٦٨)، الأعلام (٦/ ٥٦).

الإحسان العظيم ما لا يعفى لغيره، ويسامح بما لا يسامح له غيره وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ يقول:

(١/ ١٣١ ـ ١٣٢): «انظر إلى موسى صلوات الله وسلامه عليه رمى الألواح التي فيها كلام الله الذي كتبه بيده فكسرها[(١)]، وجرّ بلحة نبي مثله وهو هارون، ولطم عين ملك الموت ففقأها[(٢)]، وعاتب ربه ليلة الإسراء في محمد ﷺ ورفع عليه[(٣)]، وربه تعالى يحتمل له ذلك كله، ويحبه ويكرمه ويدلله لأنه قام لله تلك المقامات العظيمة في مقابلة أعدى عدو له، وصدع بأمره وعالج أمتي القبط وبني إسرائيل أشد المعالجة، فكانت هذه الأمور كالشعرة في البحر.

وانظر إلى يونس بن متى حيث لم يكن له هذه المقامات التي لموسى غاضب ربه فأخذه وسجنه في بطن الحوت ولم يحتمل له ما احتمل لموسى». اهـ.

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الأعراف: ١٥٠].

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه فرجع إلى ربه فقال أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت فرد الله عليه عينه وقال ارجع فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنة قال أي رب ثم ماذا قال ثم الموت قال فالآن فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر». قال: قال رسول الله ﷺ: «فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر».
رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها، وفي كتاب أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى، وذكره بعد.
ومسلم، في كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ.

(٣) أي قول موسى لما عرج بالنبي ﷺ: «رب لم أظن أن يرفع عليّ أحد». رواه البخاري، في كتاب التوحيد، باب قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾.

٧٣ ـ عبارة «الأب الروحي» صحيحة، لأن الولادة نوعان: ١ ـ ولادة الجسم ٢ ـ ولادة الروح:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: (١/١٩٨ ـ ١٩٩): ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

وفي كتاب الزهد للإمام أحمد: أن المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال للحواريين: «**إنكم لن تلجوا ملكوت السماوات حتى تولدوا مرتين**». وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: هي ولادة الأرواح والقلوب من الأبدان وخروجها من عالم الطبيعة، كما ولدت الأبدان من البدن وخرجت منه، والولادة الأخرى هي الولادة المعروفة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد النقل عن شيخ الإسلام في المجلد الثالث من المدارج: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يذكر ذلك ويفسره بأن الولادة نوعان: ولادة القلب والروح وخروجهما من مشيمة النفس وظلمة الطبع.

قال: وهذه الولادة لما كانت بسبب الرسول كان كالأب الروحي للمؤمنين، وقد قرأ أبي بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم»[1] قال: وهذا معنى القراءة والآية في قوله تعالى: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ﴾ إذ ثبوت أمومة أزواجه لهم فرع عن ثبوت أبوته.

قال: فالشيخ والمعلم والمؤدب أب للروح، والوالد أبو الجسم.

وليس للأب إلا ما يدعو به الولد له، فظهر معنى قوله تعالى ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فهو الأب الروحاني، والوالد الأب الجثماني، وهو سبب السعادة الأبدية للمؤمن في الدنيا والآخرة والأب سبب لوجوده في الدنيا، ومعلوم أن الإنسان يجب عليه أن يطيع أباه الذي يدعوه إلى الخير ويأمره بما أمره الله، ولا يجوز له أن يطيع أباه في مخالفة هذا الداعي لأنه يدله على ما ينفعه ويقربه إلى ربه ويحصل له باتباعه السعادة

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠/٢٠٩)، وتفسير القرطبي (١٤/١٢٣).

الأبدية، فظهر فضل الأب الروحاني على الأب الجثماني، فهذا أبوه في الدين وذاك أبوة في الطين، وأين هذا من هذا؟

وأزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين في الحرمة، لا في المحرمية، ولهن من الاحترام ما ليس للأم الوالدة». اهـ.

٧٤ ـ حديث «إذا أذنب عبد ذنباً فقال: اللّهم اغفر لي... الحديث حتى قال «اعمل ما شئت فقد غفرت لك» من كرر التوبة والذنب مستدلاً بالحديث فقد أخطأ من وجهين:

١ ـ أن الحديث حكاية حال عبد من عباد الله.

٢ ـ أنه لا يقتضي أن يغفر له من دون أسباب المغفرة.

وهذا كحديث البطاقة فليس كل من شهد الشهادة صار حاله كحاله، وحديث البغي وسقيها الكلب.

(١/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥): «ومن كرر التوبة مرات واسترسل في الذنوب وتعلق بهذا الحديث ـ أي حديث **«قد غفرت لعبدي فليعمل ما يشاء»**[1] ـ كان مخدوعاً مغروراً من وجهين:

أحدهما: ظنه أن الحديث عام في حق كل تائب، وإنما هو حكاية حال، فيدل على أن من عباد الله من هو كذلك.

والثاني: أن هذا لا يقتضي أن يغفر له بدون أسباب المغفرة كما قدمنا.

---

(١) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فيما يحكى عن ربه ﷻ قال: «أذنب عبد ذنباً فقال اللهم اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب. فقال: أي رب اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب واعمل ما شئت فقد غفرت لك». قال عبد الأعلى لا أدري أقال في الثالثة أو الرابعة: «اعمل ما شئت».
رواه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة.

ومن كرر التوبة المذكورة والعود لذنب لا يجزم له أنه قد دخل في معنى هذا الحديث، وأنه قد يعمل بعد ذلك ما يشاء لا يرجى له أن يكون من أهل الوعد، ولا يجزم لمعين بهذا الحكم، كما لا يجزم في حق معين بالوعيد كسائر نصوص الوعد والوعيد، فإن هذا كقوله: من فعل كذا دخل الجنة، ومن فعل كذا دخل النار، ولا يجزم لمعين، لكن يرجى للمحسن، ويخاف على المسيء.

ومن هذا الباب حديث البطاقة[1] التي قدر الكف فيها التوحيد ووضعت في الميزان فرجحت على تلك السجلات من السيئات.

وليس كل من تكلم بالشهادتين كان بهذه المنزلة لأن العبد صاحب البطاقة كان في قلبه من التوحيد واليقين والإخلاص ما أوجب أن عظم قدره حتى صار راجحاً على هذه السيئات.

من أجل ذلك صار «المد» من الصحابة ﭫ أفضل من مثل جبل أحد ذهباً من غيرهم.

ومن ذلك حديث البغي[2] التي سقت كلباً فغفر لها فلا يقال في

---

(١) عن عبد الله بن عمرو بن العاصي ﭭ أن رسول الله ﷺ قال: إن الله يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئاً أظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول أفلك عذر فقال لا يا رب فيقول الله تعالى بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال فإنك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء». رواه الترمذي، في كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله. وحسّنه، والحاكم في المستدرك (٦/١) وصحّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وانظر: السلسلة الصحيحة للألباني (١٣٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان، ومسلم، كتاب السلام باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامه، من حديث أبي هريرة =

كل بغي سقت كلباً غفر لها لأن هذه البغي قد حصل لها من الصدق والإخلاص والرحمة بخلق الله ما عادل إثم البغي وزاد عليه ما أوجب المغفرة، والمغفرة تحصل بما يحصل في القلب من الإيمان الذي يعلم الله وحده مقداره وصفته». اهـ.

٧٥ ـ لم يجئ في شيء من ألفاظ الصلاة الإبراهيمية على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وإنما ورد على إبراهيم وفي رواية أخرى على آل إبراهيم:

(٢/ ٩١): «وأما آل فإنما يضاف إلى شخص معظم من شأنه أن يؤول إليه غيره: أي يسوسه فيكون مآله إليه فيتناول نفسه ومن يؤول إليه.

ولهذا جاء في أكثر الألفاظ: **«كما صليت على إبراهيم»** وجاء في بعضها **«على إبراهيم»**[١] لأنه هو الأصل في الصلاة وسائر أهل بيته تبع له.

ولم يأت «على إبراهيم وعلى آل إبراهيم» بل روي ولكنه غير ثابت عن النبي ﷺ[٢]». اهـ.

= بلفظ: قال رسول الله ﷺ: «بينما كلب يطيف بركية قد كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقها فاستقت له به فسقته إياه فغفر لها به».

(١) صوابه «وعلى آل إبراهيم» كما في (المستدرك علىٰ فتاوى شيخ الإسلام ج٢/ ٩٢).

(٢) هذا وهم من شيخ الإسلام رحمه الله تعالى، وقد ثبت لفظ: «كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم»، في صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا موسى بن إسماعيل بلفظ: «عن عبد الله بن عيسى سمع عبد الرحمن بن أبي ليلى قال لقيني كعب بن عجرة فقال ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي ﷺ فقلت بلى، فاهدها لي. فقال سألنا رسول الله ﷺ فقلنا يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت فإن الله قد علمنا كيف نسلم؟ قال: «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

٧٦ ـ حكم من قال «كل يعمل في دينه ما يشتهي»:

(ص١٠): ولو قال: كل يعمل في دينه الذي يشتهي. فهي كلمة عظيمة يجب أن يستتاب منها أيضا». اهـ.

٧٧ ـ عنترة والبطال الصواب وجودهما:

(ص٦٥ ـ ٦٦): «ومن لا سبب لرزقه إلا قراءة سيرة عنترة والبطال ونحوهما: لا يجوز أن يرتب إماماً يصلي بالمسلمين، فإنه يحدق بالأكاذيب، ويأكل الجعل عليها وكلاهما محرم، فإن عنترة[١] والبطال[٢] ـ وإن كانا موجودين ـ لكن كذب عليهما ما لا يحصيه إلا الله». اهـ.

---

(١) هو عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي: أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الأولى، من أهل نجد، أمه حبشية اسمها زبيبة، سرى إليه السواد منها.

وكان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفساً، يوصف بالحلم على شدة بطشه، وفي شعره رقة وعذوبة، وكان مغرماً بابنة عمه «عبلة» فقل أن تخلو له قصيدة من ذكرها.

اجتمع في شبابه بامرئ القيس الشاعر، وشهد حرب داحس والغبراء، وعاش طويلاً، وقتله الأسد الرهيص أو جبار ابن عمرو الطائي، ينسب إليه «ديوان شعر ـ ط» أكثر ما فيه مصنوع.

انظر: معجم المؤلفين (٨/ ١٤)، والأعلام للزركلي (٢/ ٥٠٦).

(٢) هو عبد الله البطال، أبو محمد: قائد شجاع من أمراء الحرب الشاميين في زمن =

٧٨ ـ نسيان القرآن من الذنوب:

(ص٨٣ ـ ٨٤): «وقراءة القرآن لله تعالى فيها الثواب العظيم، ولو قصد بذلك أن يستذكر لئلا ينساه ففيه الثواب أيضاً، فإن نسيانه من الذنوب». اهـ.

٧٩ ـ وقوس الله الذي يقال له قوس قزح:

قال رحمه الله عن براءة جعفر الصادق فيما نسب له:

(ص١٥٦): «ونحن نعلم من أحوال أمتنا أنه قد أضيف إلى جعفر الصادق[1] ـ وليس هو نبي من الأنبياء ـ ما هو من جنس هذه الأمور، مما يعلمه كل عالم بحال جعفر أن جعفر مكذوب عليه، حتى نسبوا إليه

= بني أمية، قيل: اسم أبيه عمرو، واسم جده علقمة، كان مقره بأنطاكية.
وكان على طلائع مسلمة بن عبد الملك بن مروان في غزواته: قال له أبوه عبد الملك: صير على طلائعك البطال ومره فليعس بالليل، فإنه أمير شجاع مقدام، وعقد له مسلمة على عشرة آلاف.
قال ابن تغري بردي: «شهد عدة حروب وأوطأ الروم خوفاً وذلة وللعامة حكايات ترويها عنه، من مخترعات القصاصين.
قال الذهبي: كذب عليه جهلة القصاص وحكوا عنه من الخرافات ما لا يليق، واستشهد في معركة مع الروم.
انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ٧٤).

(١) هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، أبو عبد الله، الصادق، أمه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، كان مشغولاً بالعبادة عن حب الرياسة، وكان كثير الخير والصدقة والبر حسنة منها قوله: «لا يتم المعروف إلا بثلاثة: بتعجيله وتصغيره وستره» وسئل: لم حرم الربا؟ فقال: لئلا يتمانع الناس المعروف، قال ابن كثير: منسوب إليه كتاب اختلاج الأعضاء وهو مكذوب عليه». اهـ توفي سنة (١٤٨هـ).
انظر: صفة الصفوة (١/ ٤٣٢)، البداية والنهاية (٧/ ٨٤)، والكامل في التاريخ (٥/ ٥٨٩)، وتاريخ الخلفاء (١/ ٢٢٩).

أحكام الحركات السفلية، كاختلاج الأعضاء وحوادث الجو من الرعد والبرق والهالة، وقوس الله الذي يقال له قوس قزح وأمثال ذلك، والعلماء يعلمون أنه بريء من ذلك كله». اهـ.

٨٠ ـ القبور ثلاثة:

١ ـ متفق على صحته كقبر النبي ﷺ وصاحبيه.

٢ ـ متفق على عدم صحته كقبر أبي بن كعب بدمشق.

٣ ـ مختلف فيه كقبر خالد في حمص، وأبي مسلم الخولاني بداريا:

(ص١٦٨ ـ ١٧٠): «القبور ثلاثة متفق على صحته كقبر نبينا ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

ومنها: ما هو كذب لا ريب فيه مثل قبر أبي بن كعب بدمشق.

وكذلك اتفق المسلمون على أن أمهات المؤمنين بالمدينة، فمن قال: إن أم حبيبة بدمشق ـ فقد كذب ـ ولكن قبر بلال ممكن فإنه دفن بباب الصغير، وأسماء بنت يزيد بن السكن توفيت بالشام، صحابية رضي الله عنها.

وكذلك قبر أويس[1] غربي دمشق، وكذلك قبر هود.

والثالث مختلف فيه، كقبر خالد في حمص، قيل هو خالد بن الوليد بن يزيد أخو معاوية بن يزيد الذي خارج باب الصغير.

---

(١) هو أويس بن عامر (وقيل عمرو) بن جزء بن مالك المرادي القرني، الزاهد المشهور، قال فيه النبي ﷺ: «إن خير التابعين رجل يقال له أويس»، وفي رواية له عن عمر رضي الله عنه: (يأتي عليك أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن، ثم من مراد ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه، إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل) [كلا الروايتين في صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أويس القرني، من حديث عمر رضي الله عنه].

انظر: الإصابة (١/ ٢٢٠)، سير أعلام النبلاء (٤/ ١٩)، الحلية (٢/ ٨٣).

وكذلك قبر أبي مسلم الخولاني[1] بداريا، فيه قولان:

وكذا قبور غير هذه اختلف الناس فيها.

ومن الكذب قطعاً: قبر الحسين بن علي بمصر، وكذا قبر نوح بجبل بعلبك كذب قطعاً، وكذلك قبر علي الذي بالنجف، فإنه إنما دفن بالكوفة بقر الإمارة، وعمرو بن العاص بقصر الإمارة بمصر، ومعاوية بقصر الإمارة بدمشق خوفاً عليهم من الخوارج.

وكذا قبر جابر الذي في حران كذب، إنما هو في المدينة بالاتفاق، وقبر عبد الله بن عمر ليس بالجزيرة، بل هو بمكة اتفاقاً.

كذا قبر رقية وأم كلثوم رضي الله عنهما مما هو بالشام أو غيرها، فإن الناس متفقون على أنهما ماتتا في حياة النبي ﷺ تحت عثمان رضي الله عنه وبهما سمي بذي النورين، ولكن قد اتفق اسم مع اسم آخر من الناس، فيظن الجهال أنه فلان مثلاً لشهرته، ويكون غيره.

وكذلك المسجد الذي بجانب عرفة يقال له مسجد إبراهيم، فقد يظن بعضهم أنه إبراهيم الخليل، وإنما هو من ولد العباس، وكان بحران مسجد إبراهيم فيظن الجهال أنه إبراهيم الخليل، وإنما هو إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس الذي كانت له الدعوة العباسية مات هناك في الحبس وأوصى إلى أخيه السفاح قبل المنصور.

وأما قبر الخليل عليه الصلاة والسلام فقد قال العلماء أنه حق،

---

(١) هو عبد الله بن ثوب (بضم ففتح) الخولاني: تابعي، فقيه عابد زاهد، نعمة الذهبي بريحانة الشام، أصله من اليمن، أدرك الجاهلية، وأسلم قبل وفاة النبي ﷺ ولم يره، فقدم المدينة في خلافة أبي بكر، وهاجر إلى الشام، وفي أكثر المصادر: وفاته بدمشق، وكان يقال: أبو مسلم حكيم هذه الأمة.
انظر: تذكرة الحفاظ (١/ ٤٦)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ٢٣٥)، وفوات الوفيات (١/ ٢٠٩)، والأعلام للزركلي (٤/ ٧٥).

لكن كان مسدوداً منزلة قبر النبي ﷺ، فأحدث عليه المسجد، وكان أهل العلم والدين العالمون العاملون بالسنة لا يصلون هناك».اهـ.

٨١ ـ القول بأن إبليس أمر بالسجود على قبر آدم باطل:

(ص١٧٧): «وأما عرض السجود على إبليس عند قبر آدم فقد ذكره بعض الناس، وأما عرضه في الآخرة فما علمت أحداً ذكره وكلاهما باطل».اهـ.

٨٢ ـ لم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكتاب المبتدعين وهو باطل:

(ص١٧٧): «واتفق سلف الأمة وأئمتها على أن من المخلوقات ما لا يعدم وهو الجنة والنار والعرش وغير ذلك، ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكتاب المبتدعين، وهو قول باطل».اهـ.

٨٣ ـ كتابة «لا إله إلا الله» على الدراهم محدث في خلافة عبد الملك:

(ص٢٠٠): «وأما كتابة «لا إله إلا الله» على الدراهم فمحدث في خلافة عبد الملك بن مروان وإلى الآن وكانوا يكتبون عليها نحواً من ذلك».اهـ.

٨٤ ـ القول في يزيد بن معاوية أنه ملك من الملوك له حسنات وسيئات:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في موقف الناس من يزيد بن معاوية:

(ص٢١٠): «ومن الناس من يكفره وهم الرافضة، حتى يكفرون أباه وأبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ومنهم من يجعله من أئمة الهدى والعدل، حتى جعله بعضهم نبياً وبعضهم صحابياً، وهذا كله من أبين الجهل والضلال.

بل الحق فيه أنه ملكاً من ملوك المسلمين له حسنات وله سيئات والقول فيه كالقول في أمثاله من الملوك لا نحبه ولا نسبه، وهو أول من

غزا قسطنطينية، وقال رسول الله ﷺ «**أول جيش يغزوهم يغفر لهم**»[1].

وفعل في أهل المدينة ما فعل[2] وقد توعد رسول الله ﷺ

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد، باب ما قيل في قتال الروم، من حديث أم حرام أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا». قالت أم حرام قلت: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: «أنتِ فيه». ثم قال النبي ﷺ: «أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم». فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: «لا».

(٢) قال ابن كثير في البداية والنهاية (٨/٢٣٨) وما بعدها: «ثم دخلت سنة ثلاث وستين ففيها كانت وقعة الحرة: وكان سببها أن أهل المدينة لما خلعوا يزيد بن معاوية وولوا على قريش عبد الله بن مطيع، وعلى الأنصار عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر، فلما كان في أول هذه السنة أظهروا ذلك واجتمعوا عند المنبر فجعل الرجل منهم يقول: قد خلعت يزيد كما خلعت عمامتي هذه، ويلقيها عن رأسه، ويقول الآخر: قد خلعته كما خلعت نعلي هذه، حتى اجتمع شيء كثير من العمائم والنعال هناك، ثم اجتمعوا على إخراج عامل يزيد من بين أظهرهم، وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان ابن عم يزيد، وعلى إجلاء بني أمية من المدينة، فاجتمعت بنو أمية في دار مروان بن الحكم، وأحاط بهم أهل المدينة يحاصرونهم، واعتزل الناس علي بن الحسين «زين العابدين» وكذلك عبد الله بن عمر بن الخطاب لم يخلعا يزيد، ولا أحد من بيت ابن عمر، وقد قال ابن عمر لأهله: لا يخلعن أحد منكم يزيد فتكون الفيصل ويروى الصيلم بيني وبينه، وأنكر على أهل المدينة في مبايعتهم لابن مطيع وابن حنظلة على الموت، وقال: إنما كنا نبايع رسول الله ﷺ على أن لا نفر.

وكذلك لم يخلع يزيد أحد من بني عبد المطلب، وقد سئل محمد ابن الحنفية في ذلك فامتنع عن ذلك أشد الامتناع، وناظرهم وجادلهم في يزيد ورد عليهم ما اتهموا يزيد به من شرب الخمر وتركه بعض الصلوات كما سيأتي مبسوطاً في ترجمة يزيد قريباً إن شاء الله، وكتب بنو أمية إلى يزيد بما هم فيه من الحصر والإهانة، والجوع والعطش، وإنه إن لم يبعث إليهم من ينقذهم مما هم فيه وإلا استؤصلوا عن آخرهم، وبعثوا ذلك مع البريد، فلما قدم بذلك على يزيد وجده جالساً على سريره ورجلاه في ماء يتبرد به مما به من النقرس في =

....

= رجليه، فلما قرأ الكتاب انزعج لذلك وقال: ويلك! ما فيهم ألف رجل؟ قال: بلى، قال: فهلا قاتلوا ساعة من النهار؟ ثم بعث إلى عمرو بن سعيد بن العاص فقرأ عليه الكتاب واستشاره فيمن يبعثه إليهم، وعرض عليه أن يبعثه إليهم فأبى عليه ذلك، وقال: إن أمير المؤمنين عزلني عنها وهي مضبوطة وأمورها محكمة، فأما الآن فإنما دماء قريش تراق بالصعيد فلا أحب أن أتولى ذلك منهم، ليتولى ذلك من هو أبعد منهم مني، قال: فبعث البريد إلى مسلم بن عقبة المزني وهو شيخ كبير ضعيف فانتدب لذلك وأرسل معه يزيد عشرة آلاف فارس، وقيل اثنا عشر ألفاً وخمسة عشر ألف رجل، وأعطى كل واحد منهم مائة دينار، وقيل أربعة دنانير، ثم استعرضهم وهو على فرس له.

قال المدائني: وجعل على أهل دمشق عبد الله بن مسعدة الفزاري، وعلى أهل حمص حصين بن نمير السكوني، وعلى أهل الأردن حبيش بن دلجة القيني، وعلى أهل فلسطين روح بن زنباع الجذامي وشريك الكناني، وعلى أهل قنسرين طريف بن الحسحاس الهلالي، وعليهم مسلم بن عقبة المزني من غطفان، وإنما يسميه السلف مسرف بن عقبة.

فقال النعمان بن بشير: يا أمير المؤمنين ولني عليهم أكفك ـ وكان النعمان أخا عبد الله بن حنظلة لأمه عمرة بنت رواحة ـ فقال يزيد لا! ليس لهم إلا هذا الغشمة، والله لأقتلنهم بعد إحساني إليهم وعفوي عنهم مرة بعد مرة.

فقال النعمان يا أمير المؤمنين أنشدك الله في عشيرتك وأنصار رسول الله ﷺ.

وقال له عبد الله بن جعفر: أرأيت إن رجعوا إلى طاعتك أيقبل منهم؟ قال: إن فعلوا فلا سبيل عليهم، وقال يزيد لمسلم بن عقبة: ادع القوم ثلاثاً فإن رجعوا إلى الطاعة فاقبل منه وكف عنهم، وإلا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا ظهرت عليهم فأبح المدينة ثلاثاً ثم اكفف عن الناس، وانظر إلى علي بن الحسين فاكفف عنه واستوص به خيراً، وأدن مجلسه، فإنه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه، وأمر مسلم إذا فرغ من المدينة أن يذهب إلى مكة لحصار ابن نمير، وقال له: إن حدث بك أمر فعلى الناس حصين بن نمير السكوني.

قالوا: وسار مسلم بمن معه من الجيوش إلى المدينة، فلما اقترب منها اجتهد أهل المدينة في حصار بني أمية، وقالوا لهم: والله لنقتلنكم عن آخركم أو تعطونا موثقاً أن لا تدلوا علينا أحداً من هؤلاء الشاميين، ولا تمالؤهم علينا، =

= فأعطوهم العهود بذلك، فلما وصل الجيش تلقاهم بنو أمية فجعل مسلم يسألهم عن الأخبار فلا يخبره أحد، فانحصر لذلك، وجاءه عبد الملك بن مروان فقال له: إن كنت تريد النصر فأنزل شرقي المدينة في الحرة، فإذا خرجوا إليك كانت الشمس في أقفيتكم وفي وجوههم، فادعهم إلى الطاعة، فإن أجابوك وإلا فاستعن بالله وقاتلهم فإن الله ناصرك عليهم إذ خالفوا الإمام وخرجوا عن الطاعة.

فشكره مسلم بن عقبة على ذلك، وامتثل ما أشار به، فنزل شرقي المدينة في الحرة، ودعا أهلها ثلاثة أيام، كل ذلك يأبون إلا المحاربة والمقاتلة، فلما مضت الثلاثة قال لهم في اليوم الرابع ـ وهو يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين ـ قال لهم: يا أهل المدينة: مضت الثلاث وإن أمير المؤمنين قال لي: إنكم أصله وعشيرته، وإنه يكره إراقة دمائكم، وإنه أمرني أن أؤجلكم ثلاثاً فقد مضت، فماذا أنتم صانعون؟ أتسالمون أم تحاربون؟ فقالوا: بل نحارب.

فقال: لا تفعلوا بل سالموا ونجعل جدنا وقوتنا على هذا الملحد ـ يعني ابن الزبير ـ فقالوا: يا عدو الله! لو أردت ذلك لما مكناك منه، أنحن نذركم تذهبون فتلحدون في بيت الله الحرام؟ ثم تهيؤوا للقتال، وقد كانوا اتخذوا خندقاً بينهم وبين ابن عقبة، وجعلوا جيشهم أربعة أرباع على كل ربع أمير، وجعلوا أجمل الأرباع الرباع الذي فيه عبد الله بن حنظلة الغسيل، ثم اقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انهزم أهل المدينة إليها.

ثم أباح مسلم بن عقبة، الذي يقول فيه السلف مسرف بن عقبة ـ قبحه الله من شيخ سوء ما أجهله ـ المدينة ثلاث أيام كما أمره يزيد، لا جزاه الله خيراً، وقتل خلقاً من أشرافها وقرائها وانتهب أموالاً كثيرة منها، ووقع شر عظيم وفساد عريض على ما ذكره غير واحد.

فكان ممن قتل بين يديه صبراً معقل بن سنان، وقد كان صديقه قبل ذلك، ولكن أسمعه في يزيد كلاماً غليظاً فنقم عليه بسببه.

قال المدائني: وأباح مسلم بن عقبة المدينة ثلاثة أيام، يقتلون من وجدوا من الناس، ويأخذون الأموال.

فأرسلت سعدى بنت عوف المرية إلى مسلم بن عقبة تقول له: أنا بنت عمك =

من قتل فيها قتيلا ولعنه[1]». اهـ.

= فمر أصحابك أن لا يتعرضوا لإبلنا بمكان كذا وكذا، فقال لأصحابه: لا تبدؤوا إلا بأخذ إبلها أولاً.

وقد اختفى جماعة من سادات الصحابة منهم جابر بن عبد الله، وخرج أبو سعيد الخدري فلجأ إلى غار في جبل، فلحقه رجل من أهل الشام، قال: فلما رأيته انتضبت سيفي فقصدني، فلما رآني صمم على قتلي فشممت سيفي ثم قلت: إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين، فلما رأى ذلك قال: من أنت؟ قلت: أنا أبو سعيد الخدري قال: صاحب رسول الله ﷺ؟ قلت: نعم! فمضى وتركني.

قال: وكانت الوقعة لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين، وانتهبوا المدينة ثلاث أيام.

قال الواقدي وأبو معشر: كانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين.

وقد أخطأ يزيد خطأ فاحشاً في قوله لمسلم بن عقبة أن يبيح المدينة ثلاثة أيام، وهذا خطأ كبير فاحش، مع ما انضم إلى ذلك من قتل خلق من الصحابة وأبنائهم، وقد تقدم أنه قتل الحسين وأصحابه على يدي عبيد الله بن زياد، وقد وقع في هذه الثلاثة أيام من المفاسد العظيمة في المدينة النبوية ما لا يحد ولا يوصف، مما لا يعلمه إلا الله ﷻ، وقد أراد بإرسال مسلم بن عقبة توطيد سلطانه وملكه، ودوام أيامه من غير منازع، فعاقبه الله بنقيض قصده، وحال بينه وبين ما يشتهيه، فقصمه الله قاصم الجبابرة، وأخذه أخذ عزيز مقتدر ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾. انتهى بتصرف.

(١) روى أحمد في المسند (٢٧/ ٩٢ و٩٤ و٩٧ و٩٨)، من حديث السائب بن خلاد، أن رسول الله ﷺ قال: «من أخاف أهل المدينة، أخافه الله ﷻ، وعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين، لا يقبل الله منه، يوم القيامة، صرفاً ولا عدلاً».

وفي رواية: «من أخاف أهل المدينة، ظالماً لهم، أخافه الله، وكانت عليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل».

وروى البخاري في صحيحه كتاب فضائل المدينة، باب إثم من كاد أهل المدينة، من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ أنه قال: سمعت النبي ﷺ =

٨٥ ـ إذا وجد مع الجنازة منكر فاحضرها وأنكر، ولا تترك حضورها لأجله لأن تشييعها حق للميت فلا تحرمه إياه بسبب مخالفة الحي، بخلاف الوليمة:

(ص٢٥١): «وأما الجنازة التي فيها منكر، مثل أن يحمل قدامها أو وراءها الخبز والغنم، أو غير ذلك من البدع الفعلية أو القولية أو يجعل على النعش شنخانات[1] فهل له أن يمتنع من تشييعها؟ على قولين وهما روايتان عن أحمد.

والصحيح، انه يشيعها لأنه حق للميت، فلا يسقط بفعل غيره، وينكر المنكر بحسبه، وإن كان ممن امتنع تركوا المنكر امتنع، بخلاف الوليمة فإن صاحب الحق هو فاعل المنكر، فيسقط حقه لمعصيته، كالملتبس بمعصية: لا يسلم عليه حال تلبس بها».اهـ.

٨٦ ـ ولا يحل لأحد أن يضمن من ولاة الأمور أن يبيع الصنف الفلاني إلا هو:

(ص٣٢٢): «ولا يحل لأحد أن يضمن من ولاة الأمور أن لا يبيع الصنف الفلاني إلا هو وإن كان يشتري بمال حلال جاز الشراء، وإن اشترى بمال من يظلمه فهو كالمغصوب وحكمه ظاهر».اهـ.

٨٧ ـ الولد يتبع أمه في الحرية والرق وأباه في النسب والولاء:

(ص٤٢٨): «وإذا تزوج الحر القرشي أمة فولده منها رقيق لسيد الأمة باتفاق العلماء لأن الولد يتبع الأم في الحرية والرق وتبع أباه في النسب والولاء.

= يقول: «لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح فى الماء».

ورواه مسلم في الحج باب من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله بلفظ: «لا يريد أحد المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص ـ أو ذوب الملح في الماء».

(١) أي تُغطى نعوش الأغنياء بثياب منقوشة فاخرة مراءاة وتظاهراً.

ليس لأحد أن يرجع في هبته إلا هبة الوالد لولده، فإن كانت هبة الوالد لولده قد تعلق بها حق للغير كأن يكونوا زوجوّه لأجلها أو أسلفوه مالاً، فلا يرجع الوالد فيها والحال هذه». اهـ.

وفي (ص٤٥٦): «ليس الواهب أن يرجع في هبته غير الوالد لولده، إلا أن تكون الهبة على جهة المعاوضة لفظاً أو عرفاً فإذا لأجل عوض ولم يحصل فللواهب الرجوع فيها إذا كانت باقية وإلا فعوضها.

وقال (ص٤٥٧): «وإذا وهب ابنه شيئاً فتعلق حق الغير به، مثل أن يكون قد صار عليه دين أو زوجوه لأجل ذلك المال فليس للأب أن يرجع بذلك». اهـ.

٨٨ ـ دعا الحجاج سعيد بن جبير للقضاء، فلعب بالشطرنج ليسقط عدالته:

(ص٥٠٢): «وما يروى عن سعيد بن جبير[١] من اللعب بالشطرنج فقد بين سبب ذلك وهو أن الحجاج طلبه للقضاء، فلعب بها ليكون ذلك قادحاً فيه فلا يولى القضاء وذلك لأنه رأى ولاية الحجاج[٢] أشد ضررا عليه في دينه من ذلك والأعمال بالنيات، وقد يباح ما هو أعظم تحريماً من ذلك لأجل الحاجة». اهـ.

---

(١) هو: سعيد بن جبير بن هشام الأسدي، مولاهم، الكوفي، أبو عبد الله، وقيل: أبو محمد، من أئمة السلف، من الطبقة الثالثة، ومن الفقهاء والعلماء الصالحين الثقات، وكان عابداً فاضلاً ورعاً، خرج مع ابن الأشعث على الحجاج والي بني أمية، فلما تمكن منه الحجاج قتله، وذلك سنة (٩٥هـ) وعمره (٤٩)، وقيل (٤٧) سنة. انظر: تهذيب التهذيب (٤/ ١١ ـ ١٤)، ترجمة (١٤).

(٢) هو: الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، عامل عبد الملك بن مروان وابنه الوليد على العراق، وكان حازماً قوياً ظالماً توفي سنة (٩٥هـ). انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ٢٩ ـ ٥٤).

٨٩ ـ حكم تقبيل اليد:

(ص٥٦٣ ـ ٥٦٤): «فأما تقبيل اليد فلم يكونوا ـ أي الصحابة ـ يعتادونه إلا قليلا ولما قدموا عليه ﷺ عام مؤته قبلوا يده، وقالوا نحن الغرارون[١] قال «**بل أنتم العكارون**[٢]»[٣]، وقبّل أبو عبيدة يد عمر[٤]، ورخص أكثر الفقهاء أحمد وغيره لمن فعل ذلك على وجه التدين لا على وجه التعظيم للدنيا، وكره ذلك آخرون كمالك وغيره، وقال سليمان بن حرب[٥]: هي السجدة الصغرى».اهـ.



---

(١) كذا في الأصل (الغرارون) بالغين، ولعلّها (الفرارون) بالفاء، من الفرار.

(٢) العكارون: أي الذين ستهاجمون العدو وتعكرون عليه.

(٣) رواه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في التولي يوم الزحف، والترمذي كتاب الجهاد، باب ما جاء في الفرار من الزحف، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وسنده ضعيف فيه زيد بن أبي زياد الهاشمي مولاهم الكوفي وهو ضعيف قال الحافظ في التقريب: «ضعيف كبر فتغير وصار يتلقن وكان شيعيا».

(٤) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ١٩٨).

(٥) سليمان بن حرب الأزدي الواشحي بمعجمة ثم مهملة البصري قاضي مكة ثقة إمام حافظ من التاسعة مات سنة أربع وعشرين وله ثمانون سنة.
انظر: تقريب التهذيب (١/ ٢٥٠).

فوائد كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم

٩٠ ـ قال تعالى عن الكافر: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾، وهذا العذاب ظاهر فيما يصيبهم من الآلام النفسية غماً وحزناً... فلا يطيّبوا من عيشهم إلا بما يذهب عقولهم من الخمر:

(١/ ٩٧): «وقد قيل: إن قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ إشارة إلى ما هو لازم لهم في الدنيا والآخرة، من الآلام النفسية: غماً وحزناً، وقسوة وظلمة قلب وجهلاً، فإن للكفر والمعاصي من الآلام العاجلة الدائمة ما الله به عليم، ولهذا تجد غالب هؤلاء لا يطيبون عيشهم إلا بما يزيل العقل، ويلهي القلب، ومن تناول مسكر، أو رؤية مله، أو سماع مطرب، ونحو ذلك». اهـ.

٩١ ـ في حديث «يا للأنصار.. يا للمهاجرين» فقال: دعوها فإنها خبيثة، فيه النهي عن التداعي بالقبائل، فانظر كيف نهاهم مع أنهم تداعوا بألفاظ شرعية ممدوحة:

(١/ ٢١٣ ـ ٢١٥): «ومن هذا الباب: ما أخرجاه في الصحيحين، عن عمرو بن دينار، عن جابر بن عبد الله قال: غزونا مع رسول الله ﷺ وقد ثاب معه ناس من المهاجرين، حتى كثروا، وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع أنصارياً، فغضب الأنصاري غضباً شديداً، حتى تداعوا، وقال ـ الأنصاري، يا للأنصار، وقال المهاجرين: يا للمهاجرين: فخرج النبي ﷺ فقال: «**ما بال دعوى الجاهلية؟**» ثم قال: «**ما شأنهم؟**» فأخبر بكسعة المهاجري للأنصاري، قال فقال النبي ﷺ:

«دعوها فإنها خبيثة»، وقال عبد الله بن أبي ابن سلول: أو قد تداعوا علينا؟ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل قال عمر: ألا تقتل يا نبي الله هذا الخبيث ـ لعبد الله ـ فقال النبي ﷺ: **«لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه»**[1].

ورواه مسلم، من حديث أبي الزبير، «عن جابر قال: اقتتل غلامان: غلام من المهاجرين، وغلام من الأنصار، فنادى المهاجر: يا للمهاجرين، ونادى الأنصاري: يا للأنصار، فخرج رسول الله ﷺ، فقال: **ما هذا؟ أدعوى الجاهلية؟!** قالوا: لا يا رسول الله إلا أن غلامين اقتتلا، فكسع أحدهما الآخر، فقال: **لا بأس، ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً: إن كان ظالماً فلينهه، فإنه له نصر، وإن كان مظلوماً فلينصره»**[2].

فهذان الاسمان: المهاجرون، والأنصار اسمان شرعيان، جاء بهما الكتاب والسنة، وسماهما الله بهما، كما سمانا: المسلمين من قبل، وفي هذا.

وانتساب الرجل إلى المهاجرين أو الأنصار، انتساب حسن محمود، عند الله وعند رسوله، ليس من المباح الذي يقصد به التعريف فقط، كالانتساب إلى القبائل والأمصار، ولا من المكروه أو المحرم، كالانتساب إلى ما يفضي إلى بدعة، أو معصية أخرى.

ثم ـ مع هذا ـ لما ادعى كل منهما طائفته منتصراً بها، أنكر النبي ﷺ ذلك، وسماها: **(دعوى الجاهلية)** حتى قيل له: إن الداعي بها إنما هما غلامان، لم يصدر ذلك من الجماعة، فأمر بمنع الظالم، وإعانة

---

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب ما ينهى من دعوى الجاهلية.

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً.

المظلوم، ليبين النبي ﷺ: أن المحذور ـ إنما هو تعصب الرجل لطائفته مطلقاً، فعل أهل الجاهلية، فأما نصرها بالحق من غير عدوان: فحسن واجب، أو مستحب. . . .». اهـ.

وقال[1] **(١/ ٣٧٠ ـ ٣٧١)**: «وكذلك في سائر أصناف العجم من الحبشة والروم والترك وبينهم سابقون في الإيمان، والدين، لا يحصون كثرة، على ما هو معروف عند العلماء إذ الفضل الحقيقي: هو اتباع ما بعث الله به محمداً ﷺ من الإيمان والعلم باطناً وظاهراً، فكل من كان فيه أمكن: كان أفضل.

سكنى القرى أقرب لكمال الدين ورقة القلوب من سكنى البادية، والفضل إنما هو بالأسماء المحمودة في الكتاب والسنة مثل: الإسلام، والإيمان، والبر والتقوى، والعلم، والعمل الصالح، والإحسان، ونحو ذلك، لا بمجرد كون الإنسان عربياً، أو عجمياً، أو أسود، أو أبيض ولا بكونه قروياً، أو بدوياً، وإنما وجه النهي عن مشابهة الأعراب والأعاجم ـ مع ما ذكرناه من الفضل فيهم وعدم العبرة بالنسب والمكان ـ مبني على أصل، وذلك: أن الله ﷻ جعل سكنى القرى يقتضي من كمال الإنسان في العلم والدين، ورقة القلوب ما لا يقتضيه سكنى البادية، كما أن البادية توجب من صلابة البدن والخلق، ومتانة الكلام ما لا يكون في القرى، هذا هو الأصل» اهـ.

٩٢ ـ إذا وصف الله تعالى في كتابه أهل المعصية وصفهم بأنهم عمي وبكم وصم ولا يعقلون ولا يفقهون.. أما المؤمنون فيصفهم بأنهم أولوا الألباب.. أولوا النهى.. المهتدين:

(١/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠): «وكذلك من عمل بخلاف الحق: فهو جاهل،

---

(١) قاله ﵀ في سياق ذكر أن المدح يكون بالألفاظ الشرعية كالإيمان والإسلام لا بمجرد النسب أو البلد أو اللون أو غير ذلك من الصفات.

وإن علم أنه مخالف للحق، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ [النساء: ١٧]، قال أصحاب محمد ﷺ: كل من عمل سوءاً فهو جاهل».

وسبب ذلك: أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب، يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه، من قول أو فعل، فمتى صدر خلافه فلابد من غفلة القلب عنه، أو ضعفه في القلب بمقاومة ما يعارضه، وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم، فيصير جهلاً بهذا الاعتبار.

دخول الأعمال في مسمى الإيمان حقيقة لا مجازاً.

ومن هنا ـ تعرف دخول الأعمال في مستحق الإيمان، حقيقة لا مجازاً وإن لم يكن كل من ترك شيئاً من الأعمال كافراً، ولا خارجاً عن أصل مسمى الإيمان وكذلك اسم: العقل، ونحو ذلك من الأسماء.

ولهذا يسمى الله تعالى أصحاب هذه الأحوال: موتى، وعمياً، وصماً، وبكماً، وضالين، وجاهلين، ويصفهم بأنهم: لا يعقلون ولا يسمعون.

ويصف المؤمنين: بأولي الألباب، وأولي النهى، وأنهم مهتدون وإن لهم نوراً، وأنهم يسمعون، ويعقلون».اهـ.

٩٣ ـ فائدة: أماكن الكفر والطغيان إن كان نزل بها عذاب لم يصح أن يتعبد فيها، ولا يبنى فيها مسجد كأرض بابل ومدائن صالح والحجر، أما إن كانت لم ينزل بها عذاب فلا بأس أن يبنى فيها مسجد كما أمر النبي ﷺ أهل الطائف أن يجعلوا المسجد مكان طواغيتهم، وأهل اليمامة مكان بيعتهم:

(١/ ٢٣٧): «هذا كما أنه ندب إلى الصلاة في أمكنة الرحمة:

كالمساجد الثلاثة[1] ومسجد قباء[2]، فكذلك نهى عن الصلاة في أماكن العذاب[3].

---

(١) روى البخاري في كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ ومسجد الأقصى».

(٢) روى الترمذي في سننه، أبواب الصلاة، باب الصلاة في مسجد قباء، أن أسيد بن ظهير الأنصاري حدث عن النبي ﷺ قال: «الصلاة في مسجد قباء كعمرة»، وقال الترمذي: «حديث أسيد حديث حسن غريب»، ورواه الحاكم في المستدرك (١/ ٤٨٧)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه إلا أن أبا الأبرد [أحد رواة الحديث] مجهول».اهـ.
وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ كان يزور مسجد قباء كل يوم سبت ويصلي فيه ركعتين. انظر: فتح الباري، الحديث رقم (١١٩٣، ١١٩٤)، (٣/ ٦٩)؛ وصحيح مسلم، الحديث رقم (١٣٩٩)، (٢/ ١٠١٦، ١٠١٧) نقلاً من هامش اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٣٧).

(٣) روى أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب في المواضع التي لا تجوز فيها الصلاة: «أن علياً ﷺ مر ببابل وهو يسير فجاءه المؤذن يؤذنه بصلاة العصر فلما برز منها أمر المؤذن فأقام الصلاة فلما فرغ قال إن حبي ﷺ نهاني أن أصلي في المقبرة ونهاني أن أصلي في أرض بابل فإنها ملعونة». قال البيهقي في معرفة السنن والآثار (٤/ ١٢٣): إسناده غير قوي.
وقال ابن عبد البر: هو إسناد ضعيف، مجمع على ضعفه، وهو منقطع غير متصل، وعمارة بن سعد والحجاج وأبو صالح مجهولون.
وقد جاء الحديث موقوفاً عن علي ﷺ، قال ابن رجب: الموقوف أصح.
انظر: فتح الباري لابن رجب (٣/ ٢١٢).
لكن ثبت في صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الصلاة في مواضع الخسف والعذاب، ومسلم (في الزهد والرقائق باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم)، من حديث عبد الله بن عمر ﷺ قال: «أن رسول الله ﷺ قال: (لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم لا يصيبكم ما أصابهم).

فأما أماكن الكفر، والمعاصي، التي لم يكن فيها عذاب، إذا جعلت مكاناً للإيمان أو الطاعة: فهذا حسن، كما أمر النبي ﷺ أهل الطائف أن يجعلوا المسجد مكان طواغيتهم[1].

وأمر أهل اليمامة: أن يتخذوا المسجد مكان بيعة، كانت عندهم[2].

وكان مسجده ﷺ، مقبرة فجعله مسجداً بعد نبش القبور»[3]اهـ.

---

(١) روى أبو داود كتاب الصلاة، باب في بناء المساجد عن عثمان بن أبي العاص، أن النبي ﷺ: «أمره أن يجعل مسجد الطائف حيث كان طواغيتهم».

(٢) روى النسائي، كتاب المساجد، باب اتخاذ البيع مساجد، من حديث طلق بن علي ﷺ قال: «خرجنا وفداً إلى النبي ﷺ فبايعناه وصلينا معه وأخبرناه أن بأرضنا بيعة لنا فاستوهبناه من فضل طهوره فدعا بماء فتوضأ وتمضمض ثم صبه في إداوة وأمرنا فقال: «اخرجوا فإذا أتيتم أرضكم فاكسروا بيعتكم، وانضحوا مكانها بهذا الماء واتخذوها مسجداً». . إلى أن قال: «واتخذناها مسجداً فنادينا فيه بالأذان».

(٣) روى البخاري، كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية، ويتخذ مكانها مساجد، ومسلم، كتاب المساجد، باب ابتناء مسجد النبي ﷺ، من حديث أنس ﷺ: قال: قدم النبي ﷺ المدينة فنزل أعلى المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف فأقام النبي ﷺ فيهم أربع عشرة ليلة ثم أرسل إلى بني النجار فجاءوا متقلدي السيوف كأني أنظر إلى النبي ﷺ على راحلته وأبو بكر ردفه وملأ بني النجار حوله حتى ألقى بفناء أبي أيوب وكان يحب أن يصلي حيث أدركته الصلاة ويصلي في مرابض الغنم وأنه أمر ببناء المسجد فأرسل إلى ملأ من بني النجار فقال: (يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا). قالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله فقال: أنس فكان فيه ما أقول لكم قبور المشركين وفيه خرب وفيه نخل فأمر النبي ﷺ بقبور المشركين فنبشت ثم بالخرب فسويت وبالنخل فقطع فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه الحجارة وجعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون والنبي ﷺ معهم وهو يقول: «اللهم لا خير إلا خير الآخرة * فاغفر للأنصار والمهاجرة».

٩٤ - أمر النبي ﷺ بتغيير الشيب حتى لا نشابه اليهود، وهذا فيما ليس لنا فيه قصد، فكيف لو قصد الإنسان ذلك في زيّيه ومنطقه:

(١/ ٢٤٢): «ومن تبع غيره في فعل لغرض له في ذلك، إذا كان أصل الفعل مأخوذاً عن ذلك الغير، فأما من فعل الشيء واتفق أن الغير فعله أيضاً، ولم يأخذه أحدهما عن صاحبه، ففي كون هذا تشبهاً نظر، لكن قد ينهى عن هذا، لئلا يكون ذريعة إلى التشبه، ولما فيه من المخالفة، كما أمر بصبغ اللحى وإحفاء الشوارب، مع أن قوله ﷺ: **«غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود»**[1] دليل على أن التشبه بهم يحصل بغير قصد منا، ولا فعل. بل بمجرد ترك تغيير ما خلق فينا، وهذا أبلغ من الموافقة الفعلية، الاتفاقية».اهـ.

٩٥ - شرع عدم الاعتماد على الحساب في الأشهر بعداً عن التشبه:

(١/ ٢٥٤): «وأيضاً - عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: **«إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب، الشهر: هكذا هكذا** - يعني مرة تسعة وعشرين، ومرة ثلاثين»[2]. رواه البخاري ومسلم.

فوصف هذه الأمة، بترك الكتاب والحساب، الذي يفعله غيرها من الأمم في أوقات عباداتهم وأعيادهم، وأحالها على الرؤية، حيث قال - في غير حديث: **«صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته»**[3]، وفي رواية: **«صوموا**

---

(١) رواه أحمد (١٢/ ٥٠٧)، والنسائي في كتاب الزينة، الترمذي، كتاب اللباس، باب ما جاء في الخضاب، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ: «لا نكتب ولا نحسب»، ومسلم، كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان برؤية الهلال...

(٣) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ: «إذا رأيتم الهلال فصوموا، وإذا رأيتموه فافطروا»، ومسلم، كتاب الصوم، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال....

من الوضح إلى الوضح»[1]، أي من الهلال إلى الهلال.

وهذا: دليل على ما أجمع عليه المسلمون ـ إلا من شذ من بعض المتأخرين المخالفين، المسبوقين بالإجماع ـ من أن مواقيت الصوم والفطر والنسك: إنما تقام بالرؤية عند إمكانها، لا بالكتاب والحساب، الذي تسلكه الأعاجم: من الروم، والفرس، والقبط والهند، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى.

وقد روي عن غير واحد من أهل العلم: أن أهل الكتابين قبلنا إنما أمروا بالرؤية ـ أيضاً ـ في صومهم وعباداتهم، وتأولوا على ذلك: قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣]، ولكن أهل الكتابين بدلوا».اهـ.

٩٦ ـ التشديد المنهي عنه: أن يجعل المستحب واجباً أو المكروه محرماً:

(١/ ٢٨٧): «والتشديد: تارة يكون باتخاذ ما ليس بواجب، ولا مستحب، بمنزلة الواجب والمستحب في العبادات، وتارة باتخاذ ما ليس بمحرم، ولا مكروه: بمنزلة المحرم والمكروه، في الطيبات» اهـ.

٩٧ ـ علة النهي عن الأكل في آنية الذهب والفضة: التشبه:

(١/ ٣٢١ ـ ٣٢٢): «وأيضاً ـ فعن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة»**[2] متفق عليه.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١/ ١٩٠)، رقم (٥٠٤)، والأوسط (٣/ ١٩٢)، رقم (٢٩٠٠). قال الهيثمي (٣/ ١٥٨): رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط وفيه سالم بن عبيد الله بن سالم ولم أجد من ترجمه وبقية رجاله موثقون».اهـ. وحسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ٥٤٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأشربة، باب الشرب في آنية الذهب، وباب آنية الفضة، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة...

وعن جبير بن نفير، عن عبد الله بن عمرو قال: رأى رسول الله ﷺ علي ثوبين معصفرين[1] فقال: «**إن هذه ثياب الكفار، فلا تلبسها**»[2] رواه مسلم.

علل النهي عن لبسها بأنها: من ثياب الكفار، وسواء أراد أنها مما يستحله الكفار، بأنهم يستمتعون بخلاقهم في الدنيا، أو مما يعتاده الكفار لذلك.

كما أنه في الحديث قال: يستمتعون بآنية الذهب والفضة في الدنيا، وهي للمؤمنين في الآخرة، ولهذا كان العلماء، يجعلون اتخاذ الحرير وأواني الذهب والفضة، تشبهاً بالكفار». اهـ.

٩٨ ـ كراهية اتخاذ المحراب للتشبّه بأهل الكتاب، إلا إن كان مقامه خارجه وسجوده فيه:

(١/ ٣٤٩): «وروى سعيد ـ أيضاً ـ عن ابن مسعود: أنه كان يكره الصلاة في الطاق[3]، وقال: إنه في الكنائس، فلا تشبهوا بأهل الكتاب»[4].

وعن عبيد بن أبي الجعد قال: كان أصحاب محمد ﷺ يقولون: إن من أشراط الساعة أن تتخذ المذابح في المسجد، يعني الطاقات[5]». اهـ.

---

(١) المعصفر: المصبوغ بالعصفر وهو صباغ أصفر برتقالي ويستعمل في الطعام كالتوابل يعطي لوناً.
(٢) رواه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر.
(٣) الطاق: ما عطف من الأبنية كالقوس من قنطرة أو نافذة أو ما أشبه ذلك، وهو ما نسميه المحراب.
(٤) لم أجده في سنن سعيد بن منصور، ورواه البزار في المسند (٢/ ٣٣٣ ـ شاملة).
(٥) رواه عبد الرزاق في المصنف (٢/ ٤١٣)، عن عبيد ابن أبي الجعد الأشجعي عن كعب قال: يكون في آخر الزمان قوم ينقص أعمارهم، ويزينون مساجدهم، =

وقال في موضع آخر (١/ ٣٥١): «وقالوا أيضاً[١]: **يكره السجود في الطاق، لأنه يشبه صنيع أهل الكتاب**، من حيث تخصيص الإمام بالمكان، بخلاف ما إذا كان سجوده في الطاق، وهذا أيضاً ظاهر مذهب أحمد وغيره، وفيه آثار صحيحة عن الصحابة ابن مسعود، وغيره». اهـ.

٩٩ ـ كراهية الإمام مالك الصلاة للحجر المنفرد:

(١/ ٣٥٣): «قال ـ أي مالك ـ وأكره الصلاة إلى حجر منفرد في الطريق وأما أحجار كثيرة فجائز». اهـ.

١٠٠ ـ تكره مشابهة من دينه ناقص كالأعراب، في تسميتهم العشاء بالعتمة:

(١/ ٣٦٤): «ومما يشبه الأمر بمخالفة الكفار: الأمر بمخالفة الشياطين، كما رواه مسلم في صحيحه، عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: **«لا يأكلن أحدكم بشماله، ولا يشربن بها، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بها»**[٢].

وفي لفظ: **«إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله»**. ورواه مسلم أيضاً عن الليث عن أبي الزبير، عن جابر، عن النبي ﷺ قال: **«لا تأكلوا بالشمال فإن الشيطان يأكل بالشمال»**. فإنه علل النهي عن الأكل والشرب بالشمال: بأن الشيطان يفعل ذلك، فعلم أن مخالفة الشيطان أمر مقصود مأمور به، ونظائره كثيرة.

الأمر بمخالفة من لم يكمل دينه كالأعراب.

= ويتخذون بها مذابح كمذابح النصارى، فإذا فعلوا ذلك صب عليهم البلاء.

(١) أي العلماء.

(٢) رواه مسلم في كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما.

وقريب من هذا، مخالفة من لم يكمل دينه من الأعراب ونحوهم، لأن كمال الدين: الهجرة، فكان من آمن ولم يهاجر ـ من الأعراب ونحوهم ـ ناقصاً، قال الله ﷻ: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٩٧]..

وذلك مثل: ما رواه مسلم في صحيحه عن ابن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم، ألا إنها العشاء، وهم يعتمون بالإبل**»، وفي لفظ: أن النبي ﷺ قال: «**لا يغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم العشاء، فإنها في كتاب الله العشاء، فإنها تعتم بجلاب الإبل**»(١).

وروى البخاري، عن عبد الله بن مغفل، عن النبي ﷺ قال: «**لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم المغرب، وقال: والأعراب تقول هي العشاء**»(٢).

فقد كره موافقة الأعراب في اسم المغرب والعشاء، بالعشاء والعتمة، وهذه الكراهة عند بعض علمائنا تقتضي كراهة هذا الاسم مطلقاً، وعند بعضهم إنما تقتضي كراهة الإكثار منه، حتى يغلب على الاسم الآخر، وهو المشهور عندنا.

وعلى التقديرين: ففي الحديث النهي عن موافقة الأعراب في ذلك، كما نهى عن موافقة الأعاجم».اهـ.

١٠١ ـ المسلم بدار حرب ليس مأموراً بالمخالفة، بل قد يستحب له الموافقة في الهدي الظاهر إن كان في ذلك مصلحة دينية:

(١/ ٤٢٠ ـ ٤٢١): «ومما يوضح ذلك: أن كل ما جاء من التشبه

---

(١) رواه مسلم كتاب المساجد، باب وقت العشاء وتأخيرها.

(٢) رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب من كره أن يقال للمغرب العشاء.

بهم، إنما كان في صدر الهجرة، ثم نسخ، ذلك: أن اليهود إذ ذاك، كانوا لا يتميزون عن المسلمين لا في شعور ولا في لباس، لا بعلامة ولا غيرها.

ثم إنه ثبت بعد ذلك في الكتاب والسنة والإجماع، الذي كمل ظهوره في زمن عمر بن الخطاب ﷺ، ما شرعه الله من مخالفة الكافرين ومفارقتهم في الشعار والهدي.

وسبب ذلك: أن المخالفة لهم لا تكون إلا مع ظهور الدين وعلوه كالجهاد، وإلزامهم بالجزية والصغار، فلما كان المسلمون في أول ضعفاء لم تشرع المخالفة لهم، فلما كمل الدين وظهر وعلا، وشرع ذلك.

ومثل ذلك اليوم: لو أن المسلم بدار حرب، أو دار كفر غير حرب، لم يكن مأموراً بالمخالفة لهم في الهدي الظاهر، لما عليه في ذلك من الضرر، بل قد يستحب للرجل، أو يجب عليه، أن يشاركهم أحياناً في هديهم الظاهر، إذا كان في ذلك مصلحة دينية: من دعوتهم إلى الدين، والاطلاع على باطن أمورهم، لإخبار المسلمين بذلك، أو دفع ضررهم عن المسلمين، ونحو ذلك من المقاصد الصالحة.

فأما في دار الإسلام والهجرة، التي أعز الله فيها دينه، وجعل على الكافرين بها الصغار والجزية، ففيها شرعت المخالفة، وإذا ظهر أن الموافقة والمخالفة تختلف لهم باختلاف الزمان والمكان ظهرت حقيقة الأحاديث في هذا». اهـ.

١٠٢ ـ ملخص حكم الكلام بالأعجمية:

(١/ ٤٦٧): «وفي الجملة: فالكلمة بعد الكلمة من العجمية، أمرها قريب، وأكثر ما يفعلون ذلك، إما لكون المخاطب أعجمياً، أو قد اعتاد العجمية، يريدون تقريب الأفهام عليه، كما قال النبي ﷺ لأم خالد بنت

خالد بن سعيد بن العاص[1] ـ وكانت صغيرة قد ولدت بأرض الحبشة لما هاجر أبوها ـ فكساه النبي ﷺ خميصة وقال: **«يا أم خالد، هذا سنا»** ـ والسنا بلغة الحبشة الحسن»[2].

وروي عن أبي هريرة ﷺ أنه قال لمن أوجعه بطنه: «أشكم بدرد»[3] وبعضهم يرويه مرفوعاً، ولا يصح[4].

وأما اعتياد الخطاب بغير اللغة العربية، التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن حتى يصير ذلك عادة للمصر وأهله، أو لأهل الدار، للرجل مع صاحبه، أو لأهل السوق، أو للأمراء، أو لأهل الديوان، أو لأهل الفقه، فلا ريب أن هذا مكروه فإنه من التشبه بالأعاجم، وهو مكروه كما تقدم، ولهذا كان المسلمون المتقدمون لما سكنوا أرض الشام ومصر، وأهلهما رومية، وأرض العراق وخراسان ولغة أهلهما فارسية، وأهل المغرب، ولغة أهلها بربرية ـ عودوا أهل هذه البلاد العربية، حتى غلبت

---

(١) صحابية جليلة، كان اسمها: أمة، لكنها اشتهرت بكنيتها (أم خالد)، أخرج لها البخاري هذا الحديث، ويذكر بعض المؤرخين أنها عمرت (ت٨٢هـ). انظر: الإصابة (٤/ ٢٣٨).

(٢) رواه البخاري في كتاب اللباس، باب ما يدعى لمن ليس ثوباً جديداً.

(٣) قال محقق الكتاب الشيخ ناصر العقل: شكم تعني بالفارسية البطن، انظر في الأسامي للنيسابوري (ص١٠٢)، ولم أعثر على معنى بدرد، ولعلها بمعنى الوجع ونحوه. .اهـ.

(٤) ولفظه «عن أبي هريرة قال دخل النبي وأنا أشكو من البطن فقال يا أبا هريرة أشكم درد فقلت: نعم قال: قم فصل فإن في الصلاة شفاء».

رواه ابن الجوزي في العلل المتناهية من طرق عن أبي هريرة (١/ ١٧٧)، وقال: أما حديث أبي هريرة فالطريق الأربعة المتقدمة منه يرويها ذواد بن علبة أبو المنذر الحارثي قال: يحيى لا يكتب حديثه وقال: مرة ليس بشيء وقال ابن حبان: يروي عن الثقات ما لا أصل». اهـ.

على أهل هذه الأمصار: مسلمهم وكافرهم، وهكذا كانت خراسان قديماً.

ثم إنهم تساهلوا في أمر اللغة، واعتادوا الخطاب بالفارسية، حتى غلبت عليهم، وصارت العربية مهجورة عند كثير منهم، ولا ريب أن هذا مكروه، إنما الطريق الحسن اعتياد الخطاب بالعربية، حتى يتلقنها الصغار في المكاتب وفي الدور فيظهر شعار الإسلام وأهله، ويكون ذلك أسهل على أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب والسنة وكلام السلف، بخلاف من اعتاد لغة ثم أراد أن ينتقل إلى أخرى فإنه يصعب». اهـ.

١٠٣ ـ أكثر ما يفسد الدنيا والملك طاعة النساء:

(٢/ ٥١٤ ـ ٥١٦): «وليحذر العاقل من طاعة النساء في ذلك، ففي الصحيحين عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»**[١].

وأكثر ما يفسد الملك والدول، طاعة النساء، وفي صحيح البخاري، عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»**[٢].

وروي أيضاً: **«هلكت الرجال حين أطاعت النساء»**[٣]. وقد قال ﷺ

---

(١) رواه البخاري في كتاب النكاح، باب ما يتقى من سؤم المرأة، ومسلم في كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء.

(٢) رواه البخاري في كتاب الفتن، باب (١٨).

(٣) رواه أحمد في المسند، والحاكم في المستدرك من حديث أبي بكرة رضي الله عنه، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

قلت: في سنده أبو بكرة بكار بن عبد العزيز بن أبي بكرة، ضعفه ابن معين وابن عدي.

انظر: تهذيب التهذيب (١/ ٤١٩).

لأمهات المؤمنين: لما راجعنه في تقديم أبي بكر: «**إنكن صواحب يوسف**». يريد أن النساء من شأنهن مراجعة ذي اللب كما قال في الحديث الآخر: «**ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب للب ذي اللب من إحداكن**»[1].

ولما أنشده الأعشى ـ أعشى بأهلة ـ أبياته التي يقول فيها:

.... وهن شر غالب لمن غلب

جعل النبي ﷺ يرددها ويقول: وهن شر غالب لمن غلب»[2]، ولذلك امتن الله على زكريا عليه السلام حيث قال: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال بعض العلماء: ينبغي للرجل أن يجتهد إلى الله في إصلاح زوجه له». اهـ.

١٠٤ ـ لا يجوز للمسلم أن يبيع للمسلمين ما يستعينون به على مشاركة الكفار أعيادهم، أما إن باع للكفار أنفسهم فلا بأس، وسئل الإمام أحمد عن ذلك فرخص فيه وقال: لكن لا يشهد عيدهم:

(٢/ ٥٢٠): «ولا يبيع المسلم ما يستعين به المسلمون على مشابهتهم في العيد، من الطعام واللباس ونحو ذلك، لأن في ذلك إعانة على المنكر فأما مبايعتهم ما يستعينون هم به على عيدهم، أو شهود أعيادهم للشراء فيها، فقد قدمنا أنه قيل للإمام أحمد: هذه الأعياد التي

---

(١) رواه البخاري في كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، ومسلم، كتاب الإيمان، باب نقصان الإيمان...

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند، من حديث الأعشى المازني، ووثق رجاله الهيثمي في الزوائد (٨/ ١٢٨).

ورواه أيضاً في الزوائد على المسند، من حديث نضلة بن طريف، قال الهيثمي في المجمع (٤/ ٣٣١): رواه عبد الله بن أحمد والطبراني وفيه جماعة لم أعرفهم». اهـ.

تكون عندنا بالشام مثل طور يانور، ودير أيوب، وأشباهه، يشهده المسلمون، يشهدون الأسواق، ويجلبون فيه الغنم والبقر والدقيق والبر، وغير ذلك، إلا أنه إنما يكون في الأسواق يشترون، ولا يدخلون عليهم بيعهم، وإنما يشهدون الأسواق، قال إذا لم يدخلوا عليهم بيعهم، وإنما يشهدون السوق فلا بأس».اهـ.

١٠٥ ـ لا بأس أن يأكل المسلم ما أهداه إليه الكفار في أعيادهم ما لم يكن محرماً:

(٢/ ٥٥٤): «وأما قبول الهدية منهم يوم عيدهم: فقد قدمنا عن علي ﷺ: أنه أتي بهدية النيروز فقبلها»[١]. وروى ابن أبي شيبة في المصنف: حدثنا جرير، عن قابوس عن أبيه: «أن امرأة سألت عائشة، قالت: إن لنا أظآراً[٢] من المجوس، وإنه يكون لهم العيد فيهدون لنا. قالت: أما ما ذبح لذلك اليوم فلا تأكلوا، ولكن كلوا من أشجارهم»[٣].

وقال: حدثنا وكيع، عن الحسن بن حكيم عن أمه، عن أبي برزة: أنه كان له سكان مجوس، فكانوا يهدون له في النيروز والمهرجان، فكان يقول لأهله: ما كان من فاكهة فكلوه، وما كان من غير ذلك فردوه»[٤]

فهذا كله يدل على أنه لا تأثير للعيد في المنع من قبول هديتهم،

---

(١) رواه البيهقي في السنن (٩/ ٢٣٥) عن محمد بن سيرين قال: أتي علي ﷺ بهدية النيروز فقال: ما هذه؟ قالوا: يا أمير المؤمنين هذا يوم النيروز، قال: فاصنعوا كل يوم نيروز.

(٢) الأظآر: جمع ظئر، وهي: المرضعة لغير ولدها، ويطلق على زوجها أيضاً، ولعل المقصود بالأظآر هنا: الأقارب من الرضاعة. انظر: القاموس المحيط، فصل الظاء، باب الراء (٢/ ٨٣)، وهي في (أ ب): أظيار. انظر: هامش اقتضاء الصراط، د. العقل.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٥٤٨).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٥٤٨) و(٧/ ٥٨٧).

بل حكمها في العيد وغيره سواء، لأنه ليس في ذلك إعانة لهم على شعائر كفرهم. لكن قبول هدية الكفار من أهل الحرب وأهل الذمة مسألة مستقلة بنفسها فيها خلاف وتفصيل ليس هذا موضعه. وإنما يجوز أن يؤكل من طعام أهل الكتاب في عيدهم، بابتياع أو هدية، أو غير ذلك مما لم يذبحوه للعيد. فأما ذبائح المجوس فالحكم فيها معلوم، فإنها حرام عند العامة». اهـ.

١٠٦ ـ الأصل في العبادات: أن لا يشرع منها إلا ما شرعه الله تعالى، والأصل في العادات: أن لا يحظر منها إلا ما حظره الله تعالى:

(٢/ ٥٨٤ ـ ٥٨٥): «وأصل الضلال في أهل الأرض إنما نشأ من هذين:

إما اتخاذ دين لم يشرعه الله.

أو تحريم ما لم يحرمه الله.

ولهذا كان الأصل الذي بنى الإمام أحمد وغيره من الأئمة عليه مذاهبهم أن أعمال الخلق تنقسم إلى:

عبادات يتخذونها ديناً، ينتفعون بها في الآخرة، أو في الدنيا والآخرة.

وإلى عادات ينتفعون بها في معايشهم.

فالأصل في العبادات: أن لا يشرع منها إلا ما شرعه الله.

والأصل في العادات: أن لا يحظر منها إلا ما حظره الله». اهـ.

١٠٧ ـ الشارع قسم الأيام باعتبار الصوم ثلاثة أقسام:

١ ـ قسم أمر بصومه وجوباً كرمضان أو استحباباً كعرفة.

٢ ـ قسم حرم صومه كالعيدين.

٣ ـ قسم نهىٰ عن تخصيصه كالجمعة وسرر شعبان (آخره).

(٢/٦٠٨): «والسبر دليل خاص على العلة، ونظيره من كلام الناس أن يقول: لا تعط هذا الفقير، فإنه مبتدع، ثم يسأله فقير آخر مبتدع، فيقول: لا تعطه، وقد يكون ذلك الفقير عدواً له. فهل يحكم بأن العلة هي البدعة، أم يتردد لجواز أن تكون العلة هي العداوة؟.

وأما إذا رأينا الشارع قد حكم بحكم، ورأينا فيه وصفاً مناسباً له، لكن الشارع لم يذكر تلك العلة، ولا علل بها نظير ذلك الحكم في موضع آخر، فهذا هو الوصف المناسب الغريب، لأنه لا نظير له في الشرع، ولا دل كلام الشارع وإيماؤه عليه. فيجوز اتباعه الفريق الأول. ونفاه الآخران، وهذا إدراك لعلة الشارع بنفس عقولنا من غير دلالة منه، كما أن الذي قبله إدراك لعلته بنفس القياس على كلامه. والأول إدراك لعلته بنفس كلامه. ومع هذا: فقد تعلم علة الحكم المعين بالسبر، وبدلالات أخرى.

فإذا ثبتت هذه الأقسام فمسألتنا من باب العلة المنصوصة في موضع، المؤثرة في موضع آخر. وذلك: «أن النبي ﷺ نهى عن تخصيص أوقات بصلاة أو بصيام، وأباح ذلك إذا لم يكن على وجه التخصيص». فروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام، إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم»**[1].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: «سمعت النبي ﷺ يقول: **لا يصومن أحدكم يوم الجمعة، إلا يوماً قبله أو بعده»**[2]، وهذا لفظ البخاري.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الصيام، باب كراهية صيام يوم الجمعة منفرداً.

(٢) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب صوم يوم الجمعة، ومسلم، كتاب الصيام، باب كراهية صيام يوم الجمعة منفرداً.

وروى البخاري عن جويرية بنت الحارث ﵂: «أن النبي ﷺ دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة فقال: **أصمت أمس؟** قالت: لا. قال: **أتريدين أن تصومي غداً؟** قالت: لا. قال: **فأفطري**»[1].

وفي الصحيحين عن محمد بن عباد بن جعفر قال: «سألت جابر بن عبد الله، وهو يطوف بالبيت: أنهى رسول الله ﷺ عن صيام يوم الجمعة؟ قال: نعم ورب هذا البيت»[2] وهذا لفظ مسلم.

وعن ابن عباس ﵄ أن النبي ﷺ قال: «**لا تصوموا يوم الجمعة وحده**»[3]رواه الإمام أحمد.

ومثل هذا ما أخرجاه في الصحيحين عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين، إلا أن يكون رجل كان يصوم صومه فليصم ذلك اليوم**»[4]. اللفظ للبخاري. أي يصوم عادته.

فوجه الدلالة:

أن الشارع قسم الأيام باعتبار الصوم ثلاثة أقسام:

قسم شرع تخصيصه بالصيام: إما إيجاباً كرمضان، وإما استحباباً، كيوم عرفة وعاشوراء.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب صوم يوم الجمعة.

(٢) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب صوم يوم الجمعة، ومسلم، كتاب الصيام، باب كراهية صيام يوم الجمعة منفرداً.

(٣) رواه أحمد (٤/ ٣٧٤)، وسنده ضعيف فيه الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، قال في التقريب (١/ ٢١٥): «ضعيف».اهـ.
وللحديث شواهد يصح بها.

(٤) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب لا يتقدم رمضان بصوم يوم ولا يومين، ومسلم في كتاب الصيام باب لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين.

وقسم نهى عن صومه مطلقاً، كيوم العيدين.

وقسم إنما نهي عن تخصيصه كيوم الجمعة، وسرر شعبان.

فهذا النوع لو صيم مع غيره لم يكره، فإذا خصص بالفعل نهي عن ذلك، سواء قصد الصائم التخصيص أو لم يقصده، وسواء اعتقد الرجحان، أو لم يعتقده». اهـ.

١٠٨ ـ العيد يطلق على الزمان والمكان والاجتماع:

فالزمان ثلاثة أقسام:

١ ـ ما أمر بتعظيمه كالعيدين.

٢ ـ ما لم يرد في فضيلة ولا أمر بتعظيمه كليلة الجمعة ونصف رجب.

٣ ـ ما ورد فيه فضيلة لكن لم يرد تعظيمه كعاشوراء وعرفة.

أما المكان فثلاثة أقسام:

١ ـ ما لا خصوص له في الشريعة مثل أماكن عبادة المشركين.

٢ ـ ما له خصوص لا يقتضي التعبد فيه مثل قبور الصالحين.

٣ ـ ما له خصوص يقتضي التعبد فيه لكن لا يتخذ عيداً.

(٢/ ٦١٧ ـ ٦١٨): «قد تقدم أن العيد يكون اسماً لنفس المكان، ولنفس الزمان، ولنفس الاجتماع. وهذه الثلاثة قد أحدث منها أشياء.

أما الزمان فثلاثة أنواع: ويدخل فيها بعض بدع أعياد المكان والأفعال.

أحدها: يوم لم تعظمه الشريعة أصلاً، ولم يكن له ذكر في السلف، ولا جرى فيه ما يوجب تعظيمه: مثل أول خميس من رجب، وليلة تلك الجمعة التي تسمى الرغائب، فإن تعظيم هذا اليوم والليلة، إنما حدث في الإسلام بعد المائة الرابعة، وروي فيه حديث موضوع

باتفاق العلماء[1]، مضمونه: فضيلة صيام ذلك اليوم وفعل هذه الصلاة، المسماة عند الجاهلين بصلاة الرغائب، وقد ذكر ذلك بعض المتأخرين من العلماء، من الأصحاب وغيرهم.

والصواب الذي عليه المحققون من أهل العلم، النهي عن إفراد هذا اليوم بالصوم، وعن هذه الصلاة المحدثة، وعن كل ما فيه تعظيم لهذا اليوم من صنعة الأطعمة، وإظهار الزينة، ونحو ذلك حتى يكون هذا اليوم بمنزلة غيره من الأيام، وحتى لا يكون له مزية أصلاً.

وكذلك يوم آخر في وسط رجب، يصلى فيه صلاة تسمى صلاة أم داود، فإن تعظيم هذا اليوم لا أصل له في الشريعة أصلاً.

النوع الثاني: ما جرى فيه حادثة كما كان يجري في غيره، من غير أن يوجب ذلك جعله موسماً، ولا كان السلف يعظمونه، كثامن عشر ذي الحجة الذي خطب النبي ﷺ فيه بغدير خم مرجعه من حجة الوداع،

---

(١) ولفظ الحديث: «ما من أحد يصوم أول خميس من رجب ثم يصلي فيما بين العشاء والعتمة اثنتي عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وإنا أنزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات وقل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة فإذا فرغ من صلاته صلى علي سبعين مرة يقول: اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آله ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة: سبوح قدوس رب الملائكة والروح ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة: رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم ثم يسجد سجدة أخرى ويقول فيها مثل ما قال في السجدة الأولى ثم يسأل حاجته في سجوده فإنها تقضى».
قال العراقي في تخريج الإحياء (١/ ١٦٣): أورده رزين في كتابه وهو حديث موضوع.
وقال الشوكاني في الفوائد المجموعة (ص٤٧): وقد اتفق الحفاظ على أنها موضوعة.
وانظر: البدر المنيف لابن القيم، وتبيين العجب بما ورد في فضل رجب، لابن حجر.

فإنه ﷺ خطب فيه خطبة وصى فيها باتباع كتاب الله، ووصى فيها بأهل بيته كما روى ذلك مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم رضي الله عنه[1]. فزاد بعض أهل الأهواء في ذلك حتى زعموا أنه عهد إلى علي رضي الله عنه بالخلافة بالنص الجلي، بعد أن فرش له، وأقعده على فراش عالية، وذكروا كلاماً وعملاً قد علم بالاضطرار أنه لم يكن من ذلك شيء، وزعموا أن الصحابة تمالؤوا على كتمان هذا النص، وغصبوا الوصي حقه، وفسقوا وكفروا، إلا نفراً قليلاً.

والعادة التي جبل الله عليها بني آدم، ثم ما كان القوم عليه من الأمانة والديانة، وما أوجبته شريعتهم من بيان الحق يوجب العلم اليقيني بأن مثل هذا ممتنع كتمانه». اهـ.

١٠٩ ـ سبب استجابة الدعاء ـ أحياناً ـ عند القبور أن الداعي قد يكون مضطراً ومحتاجاً وصادقاً فيدعو بتوجه عظيم إلى الله وتوحيد خالصٍ له لو دعا به مشرك لاستجاب الله له:

(٢/ ٦٩٨): «ثم سبب قضاء حاجة بعض هؤلاء الداعين الأدعية المحرمة، أن الرجل منهم قد يكون مضطراً ضرورة لو دعا الله بها مشرك عند وثن لاستجيب له، لصدق توجهه إلى الله، وإن كان تحرى الدعاء عند الوثن شركاً». اهـ.

١١٠ ـ كلام رائع في النذر:

(٢/ ٧١٤ ـ ٧١٦): «فأما غالب هذه الأدعية التي ليست مشروعة، فلا تكون هي السبب، في حصول المطلوب، ولا جزءاً منه، ولا يعلم ذلك، بل يتوهم وهماً كاذباً، كالنذر سواء. فإن في الصحيح عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه نهى عن النذر وقال: **إنه لا يأتي بخير وإنما**

---

(١) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

يستخرج به من البخيل»[1].

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إن النذر لا يقرب من ابن آدم شيئاً لم يكن الله قدره له، ولكن النذر يوافق القدر فيخرج بذلك من البخيل، ما لم يكن البخيل يريد أن يخرج**»[2].

فقد أخبر النبي ﷺ أن النذر لا يأتي بخير، وأنه ليس من الأسباب الجالبة للخير، أو الدافعة لشر أصلاً، وإنما يوافق القدر موافقة كما توافقه سائر الأسباب فيخرج من البخيل حينئذ ما لم يكن يخرجه من قبل ذلك. ومع هذا فأنت ترى الذي يحكون أنهم وقعوا في شدائد، فنذروا نذوراً تكشف شدائدهم، أكثر - أو قريباً - من الذين يزعمون أنهم دعوا عند القبور، أو غيرها، فقضيت حوائجهم، بل من كثرة اغترار المضلين، بذلك صارت النذور المحرمة في الشرع مآكل لكثير من السدنة والمجاورين، والعاكفين عند بعض المساجد أو غيرها، ويأخذون من الأموال شيئاً كثيراً، وأولئك الناذرون يقول أحدهم: مرضت فنذرت. ويقول آخر: خرج عليّ المحاربون فنذرت ويقول الآخر: ركبت البحر فنذرت. ويقول الآخر: حبست فنذرت. ويقول الآخر: أصابتني فاقة فنذرت.

وقد قام بنفوسهم، أن هذه النذور هي السبب في حصول مطلوبهم، ودفع مرهوبهم. وقد أخبر الصادق المصدوق أن نذر طاعة الله - فضلاً عن معصيته - ليس سبباً لحصول الخير، وإنما الخير الذي يحصل للناذر يوافقه موافقة كما يوافق سائر الأسباب، فما هذه الأدعية غير المشروعة، في حصول المطلوب بأكثر من هذه النذور في حصول المطلوب.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان والنذور، باب الوفاء بالنذر، ومسلم، كتاب النذر، باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئاً.

(٢) رواه مسلم، كتاب النذر، باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئاً.

بل تجد كثيراً من الناس يقول: إن المكان الفلاني، أو المشهد الفلاني، أو القبر الفلاني، يقبل النذر، بمعنى أنهم نذروا له نذراً إن قضيت حاجتهم، وقضيت. كما يقول القائلون: الدعاء عند المشهد الفلاني، أو القبر الفلاني، مستجاب، بمعنى أنهم دعوا هناك مرة، فرأوا أثر الإجابة.

بل إذا كان المبطلون يضيفون قضاء حوائجهم إلى خصوص نذر المعصية مع أن جنس النذر لا أثر له في ذلك، لم يبعد منهم إذا أضافوا حصول غرضهم إلى خصوص الدعاء بمكان لا خصوص له في الشرع، لأن جنس الدعاء هنا مؤثر، فالإضافة إليه ممكنة، بخلاف جنس النذر فإنه لا يؤثر» اهـ.

١١١ ـ كلام حسن عن الدعاء وأن به قد تخرق العادة:

(٢/ ٧١٩ ـ ٧٢٠): «والاحتمالات، وإن تطرقت إلى النوع، فإنها قد لا تتطرق إلى الشخص المعين. وكذلك الأدعية، فإن المؤمن يدعو بدعاء فيرى المدعو بعينه مع عدم الأسباب المقتضية له، أو يفعل فعلاً كذلك فيجده كذلك، كالعلاء بن الحضرمي رضي الله عنه لما قال: يا عليم، يا حليم، يا علي، يا عظيم، اسقنا، فمطروا في يوم شديد الحر، مطراً لم يجاوز عسكرهم. وقال: احملنا فمشوا على النهر الكبير مشياً لم يبل أسافل أقدام دوابهم»[1]..

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٥١ ـ ٥٣) عن أنس، قال: أدركت في هذه الأمة ثلاثاً لو كانوا في بني إسرائيل لما تقاسمتها الأمم، لكان عجباً، قلن: ما هن يا أبا حمزة؟ قال: كنا في الصفة عند رسول الله ﷺ فأتته امرأة مهاجرة ومعها ابن لها قد بلغ، فأضاف المرأة إلى النساء، وأضاف ابنها إلينا، فلم يلبث أن أصابه وباء المدينة، فمرض أياماً ثم قبض، فغمضه النبي ﷺ وأمر بجهازه، فلما أردنا أن نغسله، قال: «يا أنس، ائت أمه فأعلمها»، قال: فأعلمتها، =

= فجاءت حتى جلست عند قدميه فأخذت بهما، ثم قالت: اللهم إني أسلمت لك طوعاً، وخلعت الأوثان زهداً، وهاجرت إليك رغبة، اللهم لا تشمت بي عبدة الأوثان، ولا تحملني من هذه المصيبة ما لا طاقة لي بحملها، قال: فوالله ما تقضى كلامها حتى حرك قدميه، وألقى الثوب عن وجهه، وعاش حتى قبض الله رسوله ﷺ، وحتى هلكت أمه. قال: ثم جهز عمر بن الخطاب يعني جيشاً واستعمل عليه العلاء بن الحضرمي، قال: وكنت في غزاته، فأتينا مغازينا فوجدنا القوم قد نذروا بنا فعفوا آثار الماء، قال: والحر شديد، فجهدنا العطش ودوابنا، وذلك يوم الجمعة، قال: فلما مالت الشمس لغربها صلى بنا ركعتين ثم مد يده وما نرى في السماء شيئاً قال: فوالله ما حط يده حتى بعث الله ريحاً، وأنشأ سحاباً، فأفرغت حتى ملأت الغدر والشعاب، فشربنا، وسقينا، واستقينا، ثم أتينا عدونا وقد جاوزوا خليجاً في البحر إلى جزيرة، فوقف على الخليج وقال: يا علي، يا عظيم، يا حليم، يا كريم، ثم قال: أجيزوا باسم الله، قال: فأجزنا ما يبل الماء حوافر دوابنا، فأصبنا العدو غيلة، فقتلنا وأسرنا وسبينا، ثم أتينا الخليج، فقال مثل مقالته، فأجزنا ما يبل الماء حوافر دوابنا، فلم نلبث إلا يسيراً حتى رئي في دفنه، قال: فحفرنا له وغسلناه ودفناه، فأتى رجل بعد فراغنا من دفنه فقال: من هذا؟ فقلنا: هذا خير البشر، هذا ابن الحضرمي، فقال: إن هذه الأرض تلفظ الموتى، فلو نقلتموه إلى ميل أو ميلين إلى أرض تقبل الموتى، فقلنا ما جزاء صاحبنا أن تعرضه للسباع تأكله، قال: فاجتمعنا على نبشه، قال: فلما وصلنا إلى اللحد إذا صاحبنا ليس فيه، وإذا اللحد مد البصر، نور يتلألأ، قال: فأعدنا التراب إلى القبر ثم ارتحلنا. وقد روي عن أبي هريرة في قصة العلاء بن الحضرمي واستسقائهم ومشيهم على الماء دون قصة الموت بنحو من هذا، وقال في الدعاء: يا عليم، يا حليم، يا عظيم، يا علي.

وهو في الثاني من كتاب التاريخ، ورواه أيضاً محمد بن فضيل، عن الصلت بن مطر، عن عبد الملك بن سهم بن منجاب، عن سهم بن منجاب، قال: غزونا مع العلاء بن الحضرمي، فذكره ببعض معناه، وقال في الدعاء: يا عليم، يا حليم، يا علي، يا عظيم، إنا عبيدك، وفي سبيلك نقاتل عدوك، فاسقنا غيثاً نشرب منه ونتوضأ، وإذا تركناه فلا تجعل لأحد فيه نصيباً غيرنا، وقال في =

وأيوب السختياني[1] لما ركض الجبل لصاحبه ركضة، نبعت له عين ماء فشرب، ثم غارت[2].

فدعاء الله وحده لا شريك له، دل الوحي المنزل، والعقول الصحيحة على فائدته ومنفعته، ثم التجارب التي لا يحصي عددها إلا الله. فتجد أكثر المؤمنين قد دعوا الله وسألوه أشياء أسبابها منتفية في حقهم، فأحدث الله لهم تلك المطالب على الوجه الذي طلبوه، على وجه يوجب العلم تارة، والظن الغالب أخرى ـ أن الدعاء كان هو السبب في هذا، وتجد هذا ثابتاً عند ذوي العقول والبصائر، الذين يعرفون جنس الأدلة، وشروطها، واطرادها». اهـ.

١١٢ ـ عبد الملك بن مروان هو الذي بنى قبة الصخرة ليصرف الناس عن الحج إليها:

(٢/ ٨١٩): «وإذا كان المسجد الحرام، ومسجد المدينة، اللذان هما أفضل من المسجد الأقصى بالإجماع، فأحدهما قد ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «**صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام**» والآخر هو المسجد الذي أوجب الله حجه والطواف فيه، وجعله قبلة لعباده المؤمنين ومع هذا، فليس فيهما ما يقبل بالفم ولا يستلم باليد، إلا ما جعله الله في الأرض بمنزلة اليمين،

= البحر: فاجعل لنا سبيلاً إلى عدوك، وقال في الموت: اخف جثتي ولا تطلع على عورتي أحداً، فلم يقدر عليه.
وانظر: البداية والنهاية لابن كثير (٦/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠).

(١) أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني البصري، أبو بكر: سيد فقهاء عصره، تابعي، من النساك الزهاد، من حفاظ الحديث، كان ثابتاً ثقة روي عنه نحو ٨٠٠ حديث.
انظر: الأعلام للزركلي (٢/ ٣٨).

(٢) رواه عنه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٥).

وهو الحجر الأسود، فكيف يكون في المسجد الأقصى ما يستلم أو يقبل؟.

وكانت الصخرة مكشوفة، ولم يكن أحد من الصحابة، لا ولاتهم ولا علماؤهم يخصها بعبادة، وكانت مكشوفة في خلافة عمر وعثمان رضي الله عنهما، مع حكمهما على الشام. وكذلك في خلافة علي رضي الله عنه، وإن كان لم يحكم عليها، ثم كذلك في إمارة معاوية، وابنه، وابن ابنه. فلما كان في زمن عبد الملك[1] وجرى بينه وبين ابن الزبير[2] من الفتنة ما جرى، كان هو الذي بنى القبة على الصخرة، وقد قيل: إن الناس كانوا يقصدون الحج فيجتمعون بابن الزبير، أو يقصدونه بحجة الحج، فعظم عبد الملك شأن الصخرة، بما بناه عليها من القبة، وجعل عليها من الكسوة في الشتاء والصيف، ليكثر قصد الناس للبيت المقدس، فيشتغلوا بذلك عن قصد ابن الزبير، والناس على دين الملك، وظهر في ذلك الوقت من تعظيم الصخرة وبيت المقدس ما لم يكن المسلمون يعرفونه بمثل هذا، وجاء بعض الناس ينقل الإسرائيليات في تعظيمها، حتى روى بعضهم عن كعب الأحبار، عند عبد الملك بن مروان، وعروة بن الزبير حاضر: إن الله قال للصخرة: أنت عرشي الأدنى فقال

---

(١) هو: عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي أبو الوليد، من أعاظم الخلفاء ودهاتهم ولد سنة (٢٦هـ) واستعمله معاوية على المدينة وهو ابن ١٦ سنة وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه سنة (٦٥هـ) واجتمعت عليه كلمة المسلمين بعد مقتل مصعب وعبد الله ابني الزبير، توفي سنة (٨٦هـ)، انظر تاريخ الخلفاء (ص٨٨).

(٢) هو: عبد الله بن الزبير بن العوام، ولد عام الهجرة، وهو أحد العبّاد ويعد من شجعان الصحابة، بويع له بالخلافة سنة (٦٤هـ)، عقب موت يزيد بن معاوية، ومكث في الحجاز حتىٰ قتله الحجاج بمكة سنة (٧٣هـ)، انظر الإصابة (٢/ ٣٠٩).

عروة: يقول الله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].
وأنت تقول: إن الصخرة عرشه؟ وأمثال هذا»[1] اهـ.



(١) قال ابن القيم في المنار المنيف (ص٨٦): ومن ذلك الحديث الذي يروى في الصخرة أنها عرش الله الأدنى تعالى الله عن كذب المفترين.
ولما سمع عروة بن الزبير هذا قال سبحان الله يقول الله تعالى وسع كرسيه السماوات والأرض وتكون الصخرة عرشه الأدنى». اهـ.

١١٣ ـ رأي شيخ الإسلام في الواقدي:

(٢/ ١٥٥): «وما ذكره الواقدي[١] عن أشياخه يوضح ذلك ويؤيده وإن كان الواقدي لا يحتج به إذا انفرد لكن لا ريب في علمه في المغازي واستعلام كثير من تفاصيلها من جهته ولم نذكر عنه إلا ما أسندناه عن غيره». اهـ.

١١٤ ـ من سبّ رسول الله ﷺ عاجله الله تعالى بعقوبة الدنيا قبل الآخرة:

(٢/ ٢٣١ ـ ٢٣٤): «وكذلك لما افترى عليه كاتب آخر مثل هذه الفرية، قَصَمَه الله وعاقبه عقوبة خارجة عن العادة ليتبين لكل أحد افتراؤه؛ إذ كان مثل هذا يوجب في القلوب المريضة رَيْباً بأن يقول القائل: كاتبه أعلم الناس بباطنه وبحقيقة أمره، وقد أخبر عنه بما أخبر، فمِنْ نَصْر الله لرسوله أن أظهر فيه آية يبين بها أنه مفترٍ.

---

(١) الواقدي صاحب كتاب المغازي في السيرة: أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي المدني أحد الأعلام وقاضي العراق، أخذ عن ابن عجلان القرشي وابن جريح ومالك وخلائق، وأخذ عنه ابن سعد وأحمد بن منصور الرمادي وطائفة، كان عالماً بالمغازي والسير والفتوح واختلاف الناس، قال إبراهيم الحربي: هو أمين الناس على أهل الإسلام، لكن أئمة الحديث يرونه دون هذه المنزلة في السنة، توفي سنة (٢٠٧هـ).
انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٩/ ٤٥٤).

فروى البخاري في «صحيحه» عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال: كان رجلاً نصرانياً، فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتب للنبي ﷺ، فعاد نصرانياً، فكان يقول: لا يدري محمد إلا ما كتبتُ له، فأماته الله، فدفنوه، فأصبح وقد لَفَظَتْه الأرض، فقالوا: هذا فِعْلُ محمدٍ وأصحابه، نَبَشُوا عن صاحبنا فألقوه، فحفروا له وأعمقوا في الأرض ما استطاعوا، فأصبح وقد لفظته الأرض، فعلموا أنه ليس من الناس، فألقوه»[1].

ورواه مسلم من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال: كان منّا رجل من بني النجار قد قرأ البقرة وآل عمران، وكان يكتب للنبي ﷺ، فانطلق هارباً حتى لحق بأهل الكتاب، قال: فعرفوه، قالوا: هذا [قد] كان يكتب لمحمد، فأُعجِبوا به، فما لبث أن قصم الله عنقه فيهم، فحفروا له فَوَارَوْهُ، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، ثم عادوا له فحفروا له فوَاروْه، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، (ثم عادوا فحفروا له فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها)، فتركوه منبوذاً»[2].

فهذا الملعون الذي افترى على النبي ﷺ أنه ما كان يدري إلا ما كتب له، قصمه الله وفضحه بأن أخرجه من القبر بعد أن دُفن مراراً، وهذا أمر خارج عن العادة، يدل كل أحد على أن هذا عقوبة لما قاله، وأنه كان كاذباً؛ إذ كان عامة الموتى لا يصيبهم مثل هذا، وأن هذا الجرم أعظم من مجرد الارتداد؛ إذ كان عامة المرتدين يموتون ولا يصيبهم مثل هذا، وأن الله منتقم لرسوله ممن طعن عليه وسبه، ومظهر لدينه ولكذب الكاذب؛ إذا لم يمكن الناس أن يقيموا عليه الحد.

---

(١) رواه البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.

(٢) رواه مسلم، في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب (١٣).

ونظير هذا ما حدثناه أعداد من المسلمين العدول أهل الفقه والخبرة عما جربوه مرات متعددة في حصر الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية، لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا، قالوا: كنا نحن نحصر الحصن أو المدينة الشهر [أو] أكثر من الشهر وهو ممتنع علينا حتى نكاد نيأس منه حتى إذا تعرض أهله لسب رسول الله ﷺ والوقيعة في عِرْضِه، تعجلنا فتحه وتيسر ولم يكد يتأخر إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك، ثم يُفتح المكان عَنْوَة، ويكون فيهم ملحمة عظيمة، قالوا: حتى إن كنا لنتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه مع امتلاء القلوب غيظاً عليهم بما قالوه فيه.

وهكذا حدثني بعض أصحابنا الثقات أن المسلمين من أهل المغرب حالهم مع النصارى كذلك، ومن سنة الله أن يعذب أعداءه تارة بعذاب من عنده، وتارة بأيدي عباده المؤمنين.

فكذلك لما تمكن النبي ﷺ من ابن أبي سرح أهدر دمه، لما طعن في النبوة وافترى عليه الكذب، مع أنه قد آمن جميع أهل مكة الذين قاتلوه وحاربوه أشد المحاربة، ومع أن السنة في المرتد إنه لا يُقتل حتى يستتاب إما وجوباً أو استحباباً» اهـ.

١١٥ ـ إذا سلب الكافر من المسلم مالاً ثم أسلم الكافر والمال باقي عنده عيناً هل يلزم برده للمسلم أم لا؟

(٢/ ٢٩٨ ـ ٣٠٢): «وكذلك أيضاً لم يُضَمِّن النبي ﷺ أحداً منهم مالاً أتلفه للمسلمين، ولا أقام على أحد حد زنى أو سرقة أو شرب أو قذف، سواء كان قد أسلم بعد الأسر أو قبل الأسر. وهذا مما لا نعلم بين المسلمين فيه خلافاً في روايته، ولا في الفتوى به.

بل لو أسلم الحربي وبيده مال مسلم قد أخذه من المسلمين بطريق الاغتنام ونحوه ـ مما لا يملك به مسلم من مسلم لكونه محرماً في دين

الإسلام ـ كان له ملكاً، ولم يرده إلى المسلم الذي كان يملكه عند جماهير العلماء من التابعين ومن بعدهم، وهو معنى ما جاء عن الخلفاء الراشدين، وهو مذهب أبي حنيفة ومالك ومنصوص أحمد، وقول جماهير أصحابه بناءاً على أن الإسلام أو العهد قرر ما بيده من المال الذي كان يعتقده ملكاً له؛ لأنه خرج عن مالكه المسلم في سبيل الله، ووجب أجره على الله، وآخِذُهُ هذا مستحيلاً له، وقد غُفر له بإسلامه ما فعله في دماء المسلمين وأموالهم، فلم يضمنه بالرد إلى مالكه كما لم يضمن ما أتلفه من النفوس والأموال،/ولا يقضي ما تركه من العبادات؛ لأن كل ذلك كان تابعاً للاعتقاد، فلما رجع عن الاعتقاد غُفر له ما تبعه من الذنوب، فصار ما بيده من المال لا تَبِعَة عليه فيه، فلم يُؤخذ منه كجميع ما بيده من العقود الفاسدة التي كان يستحلها من رِباً وغيره.

ومن العلماء من قال: يردُّه على مالكه المسلم، وهو قولُ الشافعي وأبي الخطاب من الحنبلية، بناءً على أن اغتنامَهم فعلٌ محرم؛ فلا يملكون به مال المسلم كالغصب، ولأنه لو أخذه المسلم منهم أخذاً يملك به مسلم من مسلم بأن يغنمه أو يسرقه فإنه يرد إلى مالكه المسلم؛ لحديث ناقة النبي ﷺ[1] وهو مما اتفق الناسُ فيما نعلمه عليه، ولو كانوا قد ملكوه كملكة الغانم منهم ولم يردَّه.

---

(١) عن عمران بن حصين قال كانت ثقيف حلفاء لبني عقيل فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ وأسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلاً من بني عقيل وأصابوا معه العضباء فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو في الوثاق قال: يا محمد. فأتاه فقال: «ما شأنك». فقال: بم أخذتني وبم أخذت سابقة الحاج فقال: إعظاماً لذلك «أخذتك بجريرة حلفائك ثقيف». ثم انصرف عنه فناداه فقال: يا محمد يا محمد. وكان رسول الله ﷺ رحيماً رقيقاً فرجع إليه فقال: «ما شأنك». قال إني مسلم. قال: «لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح». ثم انصرف فناداه فقال: يا محمد يا محمد. =

والأول أصح؛ لأن المشركين كانوا يغنمون من أموال المسلمين الشيء الكثير من الكُرَاع والسلاح وغير ذلك، وقد أسلم عامة أولئك المشركين، فلم يسترجع النبي ﷺ من أحدٍ منهم مالاً، مع أن بعضَ تلك الأموال لا بد أن يكون باقياً.

ويكفي في ذلك أن الله سبحانه قال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الحشر: ٨] وقال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ [الحج: ٣٩] إلى قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ﴾ [البقرة: ٢١٧] وقال: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ﴾ [الممتحنة: ٩].

فبين سبحانه أن المسلمين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق، حتى صاروا فقراء بعد أن كانوا أغنياء.

ثم أن المشركين استولوا على تلك الديار والأموال، وكانت باقيةً إلى حين الفتح، وقد أسلم من استولى عليها في الجاهلية، ثم لم يردَّ

= فأتاه فقال: «ما شأنك». قال إني جائع فأطعمني وظمآن فأسقني. قال: «هذه حاجتك». ففدى بالرجلين ـ قال ـ وأسرت امرأة من الأنصار وأصيبت العضباء فكانت المرأة في الوثاق وكان القوم يريحون نعمهم بين يدي بيوتهم فانفلتت ذات ليلة من الوثاق فأتت الإبل فجعلت إذا دنت من البعير رغا فتتركه حتى تنتهي إلى العضباء فلم ترغ قال وناقة منوقة فقعدت في عجزها ثم زجرتها فانطلقت ونذروا بها فطلبوها فأعجزتهم ـ قال ـ ونذرت لله إن نجاها الله عليها لتنحرنها فلما قدمت المدينة رآها الناس. فقالوا العضباء ناقة رسول الله ﷺ. فقالت إنها نذرت إن نجاها الله عليها لتنحرنها. فأتوا رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له. فقال: «سبحان الله بئسما جزتها نذرت لله إن نجاها الله عليها لتنحرنها لا وفاء لنذر في معصية ولا فيما لا يملك العبد». وفي رواية ابن حجر: «لا نذر في معصية الله». رواه مسلم.

النبي ﷺ على أحدٍ منهم أخرج من داره بعد الفتح والإسلام داراً ولا مالاً، فإن قيل للنبي ﷺ يوم الفتح: ألا تنزل في دارك؟ فقال: «وهل ترك لنا عقيل[1] من دار؟».

وسأله المهاجرون أن يردَّ عليهم أموالهم التي استولى عليها أهل مكة، فأبى ذلك ﷺ، وأقرها بيد من استولى عليها بعد إسلامه.

وذلك أن عقيل بن أبي طالب بعد الهجرة استولى/على دار النبي ﷺ ودور إخوته من الرجال والنساء، مع ما ورثه من أبيه أبي طالب.

قال أبو رافع: قيل للنبي ﷺ: ألا تنزل منزلك من الشِّعْب؟ قال: **«فهل ترك لنا عقيل منزلاً؟»**[2]، وكان عقيل قد باع منزل رسول الله ﷺ ومنزل إخوته من الرجال والنساء بمكة».اهـ.

١١٦ ـ سب رسول الله ﷺ ردة يستحق بها القتل:

(٢/٣١٩) «وقد ثبت بالسنة أن النبي ﷺ كان يأمر بقتل الساب لأجل السب فقط لا لمجرد الكفر الذي لا عهد معه، فإذا وجد هذا السب وهو موجب للقتل والعهد لم يعصم من موجبه تعين القتل، ولأن أكثر ما في ذلك أنه كافر حربي ساب، والمسلم إذا سب يصير مرتداً ساباً، وقتل المرتد أوجب من قتل الكافر الأصلي، والذمي إذا سب فإنه يصير كافراً محارباً ساباً بعد عهد متقدم، وقتل مثل هذا أغلظ».اهـ.

---

(١) هو عقيل بن أبي طالب الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ، أبو يزيد، وأبو عيسى، هاجر في مدة الهدنة، وشهد غزوة مؤتة، وله أحاديث، روى عنه: ابنه محمد وعطاء والحسن، مات في أول خلافة يزيد قبل الحرة.
انظر: سير أعلام النبلاء (١/٢١٨).

(٢) رواه البخاري في كتاب الحج، باب توريث دور مكة وبيعها وشرائها، وفي كتاب الجهاد والسير، باب إذا أسلم قوم في دار الحرب ولهم مال وأرضون فهي لهم، ومسلم في كتاب الحج، باب النزول بمكة للحاج وتوريث دورهما.

١١٧ ـ إجماع الصحابة على وجوب استتابة المرتد:

(٣/ ٦٠٣ ـ ٦٠٩): «وهذا ـ إن صح ـ أمرٌ بالاستتابة، والأمر للوجوب، والعمدة فيه إجماع الصحابة.

عن محمد بن عبد الله بن عبدٍ القاريِّ، قال: قَدِم على عمر بن الخطاب رجلٌ من قِبل أبي موسى الأشعري، فسأله عن الناس، فأخبره، ثم قال هل من مُغَرِّبة خبرٍ؟ قال: نعم، رجل كَفَر بعد إسلامه، قال: فما فَعلتم به؟ قال قَرَّبناه فضربنا عنقه، قال عمر: فهلَّا حبستموه ثلاثاً، وأطعمتموه كل يوم رغيفاً، واستتبتموه لعلّه يتوب ويراجع أمر الله، اللّهم إني لم أحضر ولم آمر ولم أرض إذ بلغني»[1] رواه مالكٌ والشافعي وأحمدُ، وقال: أذهب إلى حديث عمر، وهذا يدل على أن الاستتابة واجبةٌ، وإلا لم يقل عمر: لم أرض إذ بلغني.

وعن أنس بن مالك قال: لما افتتحنا تُسْتَر بعثني الأشعريُّ إلى عمر بن الخطاب، فلما قدمت عليه قال: ما فعل البكريون؟ (جحينة وأصحابه قال: فأخذت به في حديث آخر)، قال: فقال: ما فعل/ [النفر] البكريون؟ قال: فلما رأيته لا يقطع قلت: يا أمير المؤمنين، ما فعلوا؟ إنهم قَتلوا ولحقوا بالمشركين: ارتدوا عن الإسلام، وقاتلوا مع المشركين حتى قُتلوا. قال: فقال: لأنْ أكون أخذتهم سِلْماً كان أحب إليَّ مما على وجه الأرض من صفراء أو بيضاء. قال: فقلت: وما كان سبيلهم لو أخذتهم سِلْماً؟ قال: كنت أعرض عليهم الباب الذي خرجوا منه، فإن أَبَوا استودعتهم السجن»[2].

---

(١) رواه مالك في الموطأ (٢/ ٧٣٧ ـ شاملة) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، والشافعي في المسند (٣/ ٣٦٧ ـ شاملة)، وأحمد من طريق مالك مختصراً، وضعفه الشيخ ناصر الدين الألباني في الإرواء (٨/ ١٣٠، ١٣١) رقم (٢٤٧٤).

(٢) رواه أحمد بسنده عن أنس بن مالك بتمام اللفظ، ذكره الخلال في «أحكام =

وعن عبد الله بن عتبة قال: أخذ ابن مسعود قوماً ارتدوا عن الإسلام من أهل العراق، قال: فكتب فيهم إلى عثمان بن عفان ﷺ فكتب إليه أن اِعْرِضْ عليهم دين الحق وشهادة أن لا إله إلا الله. فإن قَبِلوا فَخَلِّ عنهم وإن لم يقبلوا فاقتلهم، فقبلها بعضهم فتركه ولم يقبلها بعضهم فقتله»[1]، رواهما الإمام أحمد بسندٍ صحيحٍ.

وعن العلاء أبي محمد أن علياً ﷺ أخذ رجلاً من بني بكر بن وائل قد تنصَّر، فاستتابة شهراً، فأبى، فقدَّمه ليضرب عنقه، فنادى: يالبكرِ فقال عَليٌّ: أما إنّك واجدهُ أمامك في النار»[2]، رواه الخلال وصاحبه أبو بكرٍ.

وعن أبي موسى ﷺ أنه أُتي برجل قد ارتد عن الإسلام، فدعاه عشرين ليلةً أو قريباً منها، فجاء معاذ، فدعاه، فأبى، فضرب عنقه»[3]، رواه أبو داود.

ورُوي من وجه آخر أن أبا موسى استتابه شهراً[4]، ذكره الإمام أحمد.

وعن رجلٍ عن ابن عمر قال: «يُسْتَتَابُ المرتدُّ ثلاثاً»[5]، رواه الإمام أحمد.

= أهل الملل»، كتاب الردة، باب الاستتابة (ق/١٣٩/أ، ١٣٩/ب) وإسناده صحيح. انظر هامش «الصارم المسلول»، بتحقيق محمد الحلواني ومحمد كبير (٣/ ٦٠٥).

(١) رواه الإمام أحمد من طريق عبد الرزاق، ذكره الخلال في أحكام الملل، كتاب الردة، باب الاستتابة.

(٢) رواه الخلال، في «أحكام الملل» كتاب الردة، باب الاستتابة.

(٣) رواه أبو داود في كتاب الحدود، باب الحكم فيمن ارتد.

(٤) رواه الخلال، في «أحكام الملل «كتاب الردة، باب الاستتابة.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ١٣٨).

وعن أبي وائلٍ عن ابن معينٍ السعدي، قال: مررت في السَّحَر بمسجد بني حَنيفة وهم يقولون: إن مسيلمة رسول الله، فأتيت عبد الله فأخبرته، فبعث الشُّرَط، فجاءوا بهم، فاستتابهم، فتابوا، فَخَلَّى سبيلهم وضرب عنق عبد الله بن النواحة، فقالوا: أحدث قومٌ في أمر فقَتلتَ بعضَهم وتركتَ بعضهم فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ وقدم إليه هذا وابن أثال فقال: «أَتَشْهَدَان أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟» فقالا: أتشهد أنت أن مسيلمة رسول الله؟ فقال النبي ﷺ: «**آمَنْتُ بَاللهِ وَرَسُوْلِهِ، وَلَو كُنْتُ قَاتِلاً وَفْداً لَقَتَلْتُكُمَا**» قال: فلذلك قتلته»[1] رواه عبد الله بن أحمد بإسنادٍ صحيحٍ.

فهذه أقوال الصحابة في قضايا متعددة لم ينكرها منكرٌ/ فصارت إجماعاً». اهـ.

١١٨ ـ الفرق بين المرتد والكافر الأصلي من وجوه:

(٣/ ٦٠٩ ـ ٦١٠): «والفرق بين هذا ـ أي المرتد ـ وبين الكافر الأصلي من وجوه:

أحدها: أن توبة هذا أقرب، لأن المطلوب منه إعادة الإسلام، والمطلوب من ذاك ابتداؤه، والإعادة أسهل من الابتداء، فإذا أُسقط عنا استتابة الكافر لِصعوبتها لم يلزم سقوط استتابة المرتد.

الثاني: أن هذا يجب قتله عيناً، وإن لم يكن من أهل القتال، وذاك لا يجوز أن يقتل إلا أن يكون من أهل القتال، ويجوز استبقاؤه بالأمان والهدنة والذمة، والإرقاق، والمنِّ، والفداءِ، فإذا كان حدهُ أغلظ فلم يقدم عليه إلا بعد الإعذار إليه بالاستتابة، بخلاف من يكون جزاؤه دون هذا.

---

(١) رواه أحمد (٦/ ٣٠٦، ٣٨٨).

الثالث: أن الأصلي قد بلغته الدعوة، وهي استتابةٌ عامةٌ من كل كفر وأما هذا فإنما نستتيبه من التبديل وترك الدين الذي كان عليه، ونحن لم نصرح له بالاستتابة من هذا ولا بالدعوة إلى الرجوع.

وأما ابن أبي سرح وابن خطل ومِقْيس بن صبابة فإنه كانت لهم جرائم زائدةٌ على الردة، وكذلك العرنيون، فإن أكثر هؤلاء قَتَلوا مع الردة وأَخَذوا الأموال فصاروا قطاعَ طريق ومحاربين لله ورسوله، وفيهم من كان يؤذي بلسانه أذىً صار به من جِنس المحاربين، فلذلك لم يستتابوا على أن الممتنع لا يستتاب، وإنما يستتاب المقدور عليه، ولعل بعض هؤلاء قد استتيب قبل ذلك». اهـ.

١١٩ ـ النفاق قسمان:

١ ـ نفاق المسلم استبطان الكفر وإظهار الإيمان.

٢ ـ نفاق الذمي استبطان المحاربة وإظهار العهد والمسالمة:

(٣/ ٧٥٩): «والنفاق قسمان: نفاق المسلم استبطان الكفر، ونفاق الذمي استبطان المحاربةِ، وتكلمُ المسلم بالكفر كتكلم الذميّ بالمحاربة، فمن عاهدنا على أن لا يؤذي الله ورسوله ثم نافق بأذى الله ورسوله فهو من منافقي المعاهدين». اهـ.

١٢٠ ـ سرد جملة من حقوق المصطفى ﷺ:

(٣/ ٨٠١ ـ ٨٠٨): «الطريقة السادسة عشرة: أن الله ﷻ أوجب لنبينا ﷺ على القلب واللسان والجوارح حقوقاً زائدةً على مجردِ التصديق (بنبوته).

كما أوجب سبحانه على خلقه من العبادات على القلب واللسان والجوارح أموراً زائدةً على مجرد التصديق بِهِ سبحانهُ، وحرَّم سبحانه لحرمة رسوله ـ مما يباح أن يفعل مع غيره ـ أموراً زائدةً على مجرد التكذيب بنبوته.

فمن ذلك: أنه أمر بالصلاةِ عليه والتسليم بعد أن أخبر أن الله وملائكته يصلون عليه، والصلاةُ عليه تتضمن ثناء الله عليه، ودعاء الخير له، وقربته منه، ورحمته له، والسلام عليه يتضمن سلامته من كل آفةٍ، فقد جمعت الصلاةُ عليه والتسليم جميع الخيراتِ، ثم إنه يصلي سبحانه عشراً على من يصلّي عليه مرةً حضاً للناس على الصلاةِ عليهِ، ليسعدُوا بذلكَ، وليرحمهم الله بها.

ومن ذلك: أنه أخبر أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن حقه أنه يجب أن يؤثره العطشان بالماء، والجائع بالطعام، وأنه يجب أن يُوَقَّى بالأنفس والأموال كما قال ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [التوبة: ١٢٠].

فعلم أن رغبة الإنسان بنفسه أن يصيبه ما يصيب النبي ﷺ من المشقةِ معه حرامٌ.

وقال تعالى مخاطباً للمؤمنين فيما أصابهم من مشقاتِ الحصر والجهاد: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١]..

ومن حقهِ: أن يكون أحب إلى المؤمن من نفسه وولده وجميع الخلق كما دل على ذلك قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤]، الآية، مع الأحاديث الصحيحة المشهورة كما في الصحيح من قول عمر رضي الله عنه: «يا رسول الله لأنت أحبُّ إليَّ من كلِّ شيءٍ، إلا من نفسي، فقال: **لا يا عمر، حتى أكون أحب إليك من نفسك**، قال: فأنت والله يا رسول الله أحبُّ إليَّ من نفسي، قال: **الآن يا عمر**»[1].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كان يمين النبي ﷺ.

وقال ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[1] متفق عليه.

ومن ذلك: أن الله أمر بتعزيره وتوقيره فقال: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩] والتعزير: اسم جامعٌ لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه، والتوقير: اسمٌ جامعٌ لكلٍّ ما فيه سكينةٌ وطمأنينةٌ من الإجلال والإكرام وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كلٍّ ما يخرجه عن حد الوقار.

ومن ذلك: أنه خصه في المخاطبة بما يليق به فقال: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]، فنهى أن يقولوا: يا محمدُ، أو يا أحمد، أو يا أبا القاسم، ولكن يقولون يا رسول الله، يا نبي الله، وكيف لا يخاطبونه بذلك والله ﷻ أكرمه في مخاطبته إياه بما لم يكرم به أحداً من الأنبياء، فلم يدعه باسمه في القرآن قط، بل يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [الأحزاب: ٢٨]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ﴾ [المزمل: ١، ٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾ [المدثر: ١، ٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٦٤]، مع أنه سبحانه قد قال: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ﴾ [البقرة: ٣٥] الآية، ﴿يَٰٓـَٔادَمُ

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب محبة النبي ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

﴿أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ﴾ [البقرة: ٣٣]، ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ [هود: ٤٦]، ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ﴾ [هود ٧٦]، ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف: ١٤٤]، ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [ص: ٢٦] ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ﴾ [مريم: ١٢]، ﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦]، ﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ [المائدة: ١١٠].

ومن ذلك: أنه حرَّم التقدم بين يديه بالكلام حتى يأذن، وحرَّم رفع الصوت فوق صوته، وأن يجهر له بالكلام كما يجهر الرجل للرجل، وأخبر أن ذلك سبب حبوط العمل[1]، فهذا يدلُّ على أنه قد يقتضي الكفر، لأن العمل لا يحبط إلا به، وأخبر أن الذين يغضون أصواتهم عنده هم الذين خلصت قلوبهم للتقوى، وأن الله يغفر لهم ويرحمهم، وأخبر أن الذين ينادونه وهو في منزله لا يعقلون، لكونهم رفعوا أصواتهم عليه، ولكونهم لم يصبروا حتى يخرج، ولكن أزعجوه إلى الخروج.

ومن ذلك: أنه حرم على الأمة أن يؤذوه بما هو مباحٌ أن يعامل به بعضهم [بَعْضاً] تمييزاً له، مثل نكاح أزواجه من بعده، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وأوجب على الأمة لأجله احترام أزواجه، وجعلهن أمهاتٍ في التحريم والاحترام، فقال ﷺ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ [الأحزاب: ٦].

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢﴾ [الحجرات: ١، ٢].

وأما ما أوجبه من طاعته والانقياد لأمره والتأسي بفعله فهذا بابٌ واسعٌ، لكن ذاك قد يقال: هو من لوازم الرسالة، وإنما الغرض هنا أن ننبه على بعض ما أوجبه الله من الحقوق الواجبة والمحرمة على الأمة مما يزيد على لوازم الرسالة، بحيث يجوز أن يبعث الله رسولاً ولا يوجب له هذه الحقوق.

ومن كرامته المتعلقة بالقول: أنه فرق بين أذاه وأذى المؤمنين فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٧، ٥٨].

وقد تقدم في هذه الآية ما يدل على أن حدّ من سبه القتل، كما أن حدّ من سب غيره الجلدُ.

ومن ذلك: أن الله رفع له ذكره فلا يذكر الله ـ سبحانه ـ إلا ذكر معه، ولا تصحُّ للأمة خطبةٌ ولا تشهدُ حتى يشهدوا أنه عبده ورسوله، وأوجب ذكره في كل خطبةٍ، وفي الشهادتين اللتين هما أساسُ الإسلام، وفي الأذان الذي هو شعار الإسلام، وفي الصلاة التي هي عماد الدين، إلى غير ذلك من المواضع.

هذا، إلى خصائص له أُخر يطول تعدادها». اهـ.

١٢١ ـ الفرق بين سبّ الله تعالى وسب الرسول ﷺ، وحد كل من ذلك:

(٨/ ٩٢٦ ـ ٩٣٠): «الطريقة الثانية: طريقة من فَرّق بين سب الله وسب رسوله، وذلك من وجوهٍ:

أحدها: أن سب الله حقٌّ محضٌ لله، وذلك يسقط بالتوبة كالزنى والسرقة وشرب الخمر، وسبُّ النبي ﷺ فيه حقان: لله وللعبد، فلا يسقط حقُّ الآدميّ بالتوبة كالقتل في المحاربة، هذا فرق القاضي أبي يعلى في خلافهِ.

الثاني: أن النبي ﷺ تلحقهُ المعرَّةُ بالسبِّ، لأنهُ مخلوقٌ، وهو من جنسِ الآدميين الذين تلحقهم المعرَّةُ والغضاضةُ بالسبِّ والشتم، وكذلك يثابون على سبهم، ويعطيهم الله من حسناتِ الشاتم أو من عنده عِوضاً على ما أصابهم من المصيبة بالشتم، فمَن سبه فقد انتقص حرمته، والخالق سبحانه لا تلحقه معرةٌ ولا غضاضةٌ بذلك، فإنهُ منزهٌ عن لحوقِ المنافع والمضارّ، كما قال سبحانه فيما يرويه عنه رسولهُ ﷺ: «**يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَن تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي**»[1].

وإذا كان سبُّ النبي ﷺ قد يُؤَثِّرُ انتقاصُه في النفوس، وتلحقه بذلك معرَّةٌ وضَيمٌ، وربما كان سبباً للتنفير عنه، وقلة هيبته، وسقوط حرمته، شُرعت العقوبة على خصوص الفساد الحاصل بسببه، فلا تسقط بالتوبة كالعقوبة على جميع الجرائم، وأما سابُّ الله سبحانه فإنه يضُّر نفسَهُ بمنزلةِ الكافر والمرتد، فمتى تاب زال ضررُ نفسه فلا يقتل.

وهذا الفرق ذكره طوائف من المالكية والشافعية والحنابلة، منهم القاضي عبد الوهاب بن نصر، والقاضي أبو يعلى في «المُجَرّدِ» وأبو علي بن البناء، وابن عقيلٍ، وغيرهم، وهو يتوجهُ مع قولنا: إن سبَّ النبي ﷺ حدٌّ للهِ كالزنى والسرقةِ.

يؤيدُ ذلك أن القذف بالكفر أعظم من القذف بالزنى، ثم لم يُشْرع عليه حدٌّ مقدَّرٌ كما شُرع على الرمي بالزنى، وذلك لأن المقذوف بالكفر لا يلحقه العار الذي يلحقه بالرمي بالزنى، لأنه بما يُظهر من الإيمان يُعلم كذبُ القاذف، وبما يُظهره من التوبة تزول عنه تلك المعرَّةُ، بخلاف الزنى فإنه يُسْتَسَرُّ به، ولا يمكنه إظهار البراءة منهُ، ولا تزول معرَّتهُ في عُرف الناس عند إظهار التوبةِ، فكذلك سابُّ الرسول يُلْحِق بالدينِ وأهلهِ

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

من المعرةِ ما لا يلحقهم إذا سبَّ اللهَ، لكون المنافي لسبِّ اللهِ ظاهراً معلوماً لكل أحدٍ علماً يشتركُ فيه كلُّ الناسِ.

الوجه الثالث: أن النبي ﷺ إنما يُسَبُّ على وجه الاستخفاف به والاستهانة، وللنفوس الكافرة والمنافقة إلى ذلك داعٍ: من جهة الحسد على ما آتاه الله من فضلهِ، ومن جهةِ المخالفةِ في دينهِ، ومن جهةِ الانقهار تحت حكم دينه وشرعهِ، ومن جهةِ المراغمة لأُمتهِ، وكل مفسدةٍ يكونُ إليها داعٍ فلا بدَّ من شرع العقوبة عليها حداً، وكل ما شُرعت العقوبة عليه لم يَسقط بالتوبة كسائر الجرائم، وأما سب الله سبحانه فإنه لا يقع في الغالب استخفافاً واستهانةً، وإنما يقع تديناً واعتقاداً، وليس للنفوس في الغالب داعٍ إلى إيقاع السبِّ إلا عن اعتقادٍ، يرونه تعظيماً وتمجيداً، وإذا كان كذلك لم يحتج خصوص السب إلى شرعٍ زاجرٍ، بل هو نوعٌ من الكفرِ، فيقتل الإنسان عليه لردته وكفره، إلا أن يتوبَ.

وهذا الوجه من نمط الذي قبله، والفرق بينهما أن ذلك بيانٌ لأن مفسدة السب لا تزول بإظهار التوبة، بخلاف مفسدة سب الله تعالى، والثاني بيانٌ لأن سبَّ الرسولِ إليه داعٍ طَبَعيّ فيُشرع الزَّجْر عليه لخصوصه كشربِ الخمر، وسبُّ الله تعالى ليس إليه داعٍ طَبَعيّ فلا يحتاج خُصوصه إلى حدّ زاجرٍ كشرب البول وأكل الميتة والدم.

والوجه الرابع: أن سب النبي ﷺ حدٌّ وجب لسبِّ آدميٍّ ميتٍ لم يُعلم أنه عفا عنه، وذلك لا يَسقط بالتوبة، بخلاف سبّ الله تعالى، فإنه قد عُلم أنه قد عفا عمن سبه إذا تاب، وذلك أن سبَّ الرسولِ مُتردَّدٌ في سقوط حدِّهِ بالتوبةِ بين سب اللهِ وسبّ سائرِ الآدميين، فيجب إلحاقه بأشبه الأصلين به، ومعلومٌ أن سبَّ الآدمي إنما لم تسقط عقوبته بالتوبة لأن حقوق الآدميين لا تسقط بالتوبة، لأنهم ينتفعون باستيفاء حقوقهم، ولا ينتفعون بتوبة التائب، فإذا تاب مَنْ للآدمي عليه حقٌّ قصاصٍ أو قذفٍ

فإنَّ له أن يأخذه منه لينتفع به اشتفاءً ودَرْكَ ثأْرٍ وصيانة عِرْضٍ، وحقُّ الله قد علم سقوطه بالتوبة، لأنه سبحانه إنما أوجب الحقوق لينتفع بها العبادُ، فإذا رجعوا إلى ما ينفعهم حصل مقصود الإيجاب، وحينئذٍ فلا ريب أن حرمة الرسول أُلحقت بحرمة الله من جهةِ التغليظ، لأن الطعنَ فيه طعنٌ في دين الله وكتابه، وهو من الخلق الذين لا تسقط حقوقهم بالتوبة، لأنهم يَنتفعون باستيفاء الحقوق ممن هي عليه، وقد ذكرنا ما دلَّ على ذلك من أن رسول الله ﷺ كان له أن يُعاقب من آذاه وإن جاءه تائباً، وهو ﷺ كما أنه بَلَّغ الرسالة لينتفع بها العبادُ فإذا تابوا ورجعوا إلى ما أمرهم به فقد حصل مقصوده، فهو أيضاً يتألَّم بأذاهم له، فله أن يعاقب من آذاه تحصيلاً لمصلحة نفسه، كما له أن يأكل ويشرب، فإن تمكين البشر من استيفاءِ حقهِ ممن بغى عليه من جملة مصالح الإنسان، ولولا ذلك لماتت النفوسُ غمّاً، ثم إليه الخِيَرةُ في العفوِ والانتقامِ، فقد تترجح عندهُ مصلحة الانتقامِ، فيكون فاعلاً لأمر مباحٍ وحظٍّ جائزٍ، كما له أن يتزوج النساء، وقد يترجح العفو، والأنبياءُ عليهم السلام منهم من كان قد يترجّحُ عنده أحياناً الانتقام، ويُشدِّدُ الله قلوبهم فيه حتى تكونَ أشد من الصخر كنوحٍ وموسى، ومنهم من كان يترجح عنده العفوُ فيلين الله قلوبهم فيه حتى تكونَ أليَن من اللبن كإبراهيم وعيسى، فإذا تعذر عفوه عن حقّهِ تعين استيفاؤُهُ، وإلا لَزِم إهدارُ حقهِ بالكليّةِ». اهـ.



فوائد كتاب منهاج السنة النبوية
لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية

١٢٢ ـ أول ظهور لفظ الرافضة:

قال رحمه الله بعد أن ذكر وجه الشبه بين اليهود والرافضة:

(١/ ٣٤ ـ ٣٥): «لكن لفظ الرافضة إنما ظهر لما رفضوا زيد بن علي بن الحسين في خلافة هشام وقصة زيد بن علي بن الحسين كانت **بعد العشرين ومائة سنة إحدى وعشرين أو اثنتين وعشرين ومائة في** أواخر خلافة هشام قال أبو حاتم البستي قتل زيد بن علي بن الحسين بالكوفة سنة اثنتين وعشرين ومائة وصلب على خشبة وكان من أفاضل أهل البيت وعلمائهم وكانت الشيعة تنتحله[1]». اهـ.

١٢٣ ـ قنت رسول الله ﷺ في صلاة العشاء (قنوت نازلة) وفيه دليل على جواز القنوت في كل الصلوات، وقد بوب عليه مسلم بذلك بقوله «باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة»:

(١/ ٤١): «وكذلك هجرهم لاسم أبي بكر وعمر وعثمان ولمن

---

(١) قال أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين (١/ ١٢٩): وكان زيد بن علي بويع له بالكوفة في أيام هشام بن عبد الملك وكان أمير الكوفة يوسف بن عمر الثقفي وكان زيد بن علي يفضل علي بن أبي طالب على سائر أصحاب رسول الله ﷺ ويتولى أبا بكر وعمر ويرى الخروج على أئمة الجور، فلما ظهر بالكوفة في أصحابه الذين بايعوه سمع من بعضهم الطعن على أبي بكر وعمر فأنكر ذلك على من سمعه منه فتفرق عنه الذين بايعوه فقال لهم: رفضتموني، وبقي في شرذمة فقاتل يوسف بن عمر فقتل ودفن ليلاً وكان معه نصر بن خزيمة العبسي ثم إنه ظهر على قبره فنبش وصلب عرياناً». اهـ.

يتسمى بذلك حتى إنهم يكرهون معاملته ومعلوم أن هؤلاء لو كانوا من أكفر الناس لم يشرع أن لا يتسمى الرجل بمثل أسمائهم فقد كان في الصحابة من اسمه الوليد وكان النبي ﷺ يقنت[1] له في الصلاة ويقول اللّهم أنج الوليد بن الوليد وأبوه الوليد بن المغيرة كان من أعظم الناس كفراً وهو الوحيد المذكور في قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ [المدثر: ١١]». اهـ.

١٢٤ ـ نهى النبي ﷺ عن لطم الخدود وشق الجيوب والنياحة على الميت، وفاعله بعد ميّته قد يكون مغلوباً عليه لفرط حزنه ووجده، فما بالك بالرافضة التي تفعل ذلك على من مضى عليه أكثر من ألف عام!

(١/ ٥٢ ـ ٥٥): «ومن حماقتهم إقامة المأتم والنياحة على من قد قتل من سنين عديدة ومن المعلوم أن المقتول وغيره من الموتى إذا فعل مثل ذلك بهم عقب موتهم كان ذلك مما حرمه الله ورسوله فقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية**»[2] وثبت في الصحيح عنه أنه «**بريء من الحالقة والصالقة والشاقة**»[3]، فالحالقة التي تحلق شعرها عند المصيبة والصالقة هي التي ترفع صوتها عند المصيبة بالمصيبة والشاقة التي تشق ثيابها وفي

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، سورة النساء، باب فعسى الله أن يعفو عنهم..، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة، إذا نزلت بالمسلمين نازلة، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز باب ليس منا من شق الجيوب، ومسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما ينهى من الحلق عند المصيبة، ومسلم كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

الصحيح عنه أنه قال «**إن النائحة إذا لم تتب قبل موتها فإنها تلبس يوم القيامة درعاً من جرب وسربالاً من قطران**»[1] وفي الصحيح عنه أنه قال: «**من ينح عليه فإنه يعذب بما ينح عليه**»[2] والأحاديث في هذا المعنى كثيرة وهؤلاء يأتون من لطم الخدود وشق الجيوب ودعوى الجاهلية وغير ذلك من المنكرات بعد موت الميت بسنين كثيرة ما لو فعلوه عقب موته لكان ذلك من أعظم المنكرات التي حرمها الله ورسوله فكيف بعد هذه المدة الطويلة ومن المعلوم أنه قد قتل من الأنبياء وغير الأنبياء ظلماً وعدواناً من هو أفضل من الحسين قتل أبوه ظلماً وهو أفضل منه وقتل عثمان بن عفان وكان قتله أول الفتن العظيمة التي وقعت بعد موت النبي ﷺ وترتب عليه من الشر والفساد أضعاف ما ترتب على قتل الحسين وقتل غير هؤلاء ومات وما فعل أحد لا من المسلمين ولا غيرهم مأتماً ولا نياحة على ميت ولا قتيل بعد مدة طويلة من قتله إلا هؤلاء الحمقى الذين لو كانوا من الطير لكانوا رخماً ولو كانوا من البهائم لكانوا حمراً». اهـ.

١٢٥ ـ عرض تاريخي هام لنشأة البدع وتطورها:

١ ـ قتل عثمان وافتراقهم في صفين وظهور الخوارج.

٢ ـ بدعة التشيع لعليّ ثلاثة أنواع أولها الغلاة المؤلهون لعليّ ثانيها السبّابة للشيخين أبو بكر وعمر ثالثها المفضلة عليّ على الشيخين.

٣ ـ أواخر عصر الصحابة ظهرت القدرية والمرجئة.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، ومسلم، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، من حديث عبد الله بن عمر، والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما.

٤ ـ أواخر التابعين أوائل المائة الثانية ظهرت الجهمية، الجعد بن درهم.

٥ ـ ثم انبثقت المعتزلة من الجهمية.

٦ ـ ثم ظهرت فرق متعددة كالكلابية والأشاعرة.

٧ ـ ثم حدثت الفلاسفة.

(١/٣٠٦ ـ ٣١٨): «وكان المسلمون على ما بعث الله به رسوله من الهدى ودين الحق الموافق لصحيح المنقول وصريح المعقول فلما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه ووقعت الفتنة فاقتتل المسلمون بصفين مرقت المارقة التي قال فيها النبي ﷺ: **«تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين يقتلهم أولي الطائفتين بالحق»**[1] وكان مروقها لما حكم الحكمان وافترق الناس على غير اتفاق وحدثت أيضاً بدعة التشيع كالغلاة المدعين لإلهية علي والمدعين النص على علي رضي الله عنه السابين لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فعاقب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الطائفتين قاتل المارقين وأمر بإحراق أولئك الذين ادعوا فيه الإلهية فإنه خرج ذات يوم فسجدوا له فقال لهم: ما هذا؟ فقالوا: أنت هو؛ قال: من أنا قالوا: أنت الله الذي لا إله إلا هو، فقال: ويحكم هذا كفر ارجعوا عنه وإلا ضربت أعناقكم فصنعوا به في اليوم الثاني والثالث كذلك فأخرهم ثلاثة أيام لأن المرتد يستتاب ثلاثة أيام فلما لم يرجعوا أمر بأخاديد من نار فخدت عند باب كندة وقذفهم في تلك النار».

وروي عنه أنه قال:

---

(١) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت ناري ودعوت قنبرا[1]

وقتل هؤلاء واجب باتفاق المسلمين لكن في جواز تحريقهم نزاع.

فعلي رضي الله عنه رأى تحريقهم وخالفه ابن عباس وغيره من الفقهاء قال ابن عباس أما أنا فلو كنت لم أحرقهم لنهي النبي ﷺ أن يعذب بعذاب الله ولضربت أعناقهم لقول النبي ﷺ **«من بدل دينه فاقتلوه»**[2] وهذا الحديث في صحيح البخاري وأما السبابة الذين يسبون أبا بكر وعمر فإن علياً لما بلغه ذلك طلب ابن السوداء[3] الذي بلغه ذلك وقيل إنه أراد قتله فهرب منه إلى أرض قرقيسيا.

وأما المفضلة الذين يفضلونه على أبي بكر وعمر فروى عنه أنه قال: «لا أوتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا ضربته حد المفتري»[4] وقد تواتر عنه أنه كان يقول على منبر الكوفة: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر»[5] روى ذلك عنه من أكثر من ثمانين وجهاً ورواه البخاري وغيره.

---

(١) قصة تحريق علي رضي الله عنه السبئيّةَ هي في الفتح (١٢/ ٢٧٠)، ذكرها وقال: «هذا سند حسن»، وفي شرح حديث (٦٩٢٢) من صحيح البخاري، والبيتان ذكرهما في الفتح (٦/ ١٥١) في شرح حديث (٣٠١٧).
وانظر: الفصل لابن حزم (٥/ ٣٦)، والتبصير في الدين الإسفراييني (ص١٢٣)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٧٧)، والأنساب للسمعاني (٧/ ٤٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب استتابة المرتدين، باب حكم المرتد والمرتدة.

(٣) هو عبد الله بن سبأ اليهودي.

(٤) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (١٣١٢) وابن أبي عاصم في السنة رقم (١٢١٩).

(٥) رواه البخاري، كتاب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، باب حدثنا الحميدي ومحمد بن عبد الله، عن محمد ابن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر. وخشيت أن يقول: عثمان. قلت: ثم أنت، قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين».

ولهذا كانت الشيعة المتقدمون كلهم متفقين على تفضيل أبي بكر وعمر كما ذكر ذلك غير واحد فهاتان البدعتان بدعة الخوارج والشيعة حدثتا في ذلك الوقت لما وقعت الفتنة.

ثم إنه في أواخر عصر الصحابة حدثت بدعة القدرية والمرجئة فأنكر ذلك الصحابة والتابعون كعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله وواثلة بن الأسقع. ثم إنه في أواخر عصر التابعين من أوائل المائة الثانية حدثت بدعة الجهمية منكرة الصفات وكان أول من أظهر ذلك الجعد بن درهم فطلبه خالد بن عبد الله القسري فضحى به بواسط فخطب الناس يوم النحر وقال أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله تعالى لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً ثم نزل فذبحه».

ثم ظهر بهذا المذهب الجهم بن صفوان ودخلت فيه بعد ذلك المعتزلة وهؤلاء أول من عرف عنهم في الإسلام أنهم أثبتوا حدوث العالم بحدوث الأجسام وأثبتوا حدوث الأجسام بحدوث ما يستلزمها من الأعراض وقالوا الأجسام لا تنفك عن أعراض محدثة وما لا ينفك عن الحوادث أو ما لا يسبق الحوادث فهو حادث لامتناع حوادث لا أول لها ثم إنهم تفرقوا عن هذا الأصل فلما قالوا بامتناع دوام الحوادث في الماضي عورضوا بالمستقبل فطرد إماما هذه الطريقة هذا الأصل وهما إمام الجهمية الجهم بن صفوان[1] ....

---

(١) الجهم بن صفوان: أبو محرز الراسبي، رأس الضلالة، كان ينكر الصفات، ويقول بخلق القرآن، ويعتقد الجبر، وأن الله في كل مكان، قتله سلم بن أحوز سنة (١٢٨هـ).

انظر في ترجمته: الكامل لابن الأثير (٤/٢٩٣)، ميزان الاعتدال للذهبي (١/٤٢٦).

وأبو الهذيل العلاف[1] إمام المعتزلة وقالا بامتناع دوام الحوادث في المستقبل والماضي.

ثم إن جهماً قال إذا كان الأمر كذلك لزم فناء الجنة والنار وأنه يعدم كل ما سوى الله كما كان ما سواه معدوماً وكان هذا مما أنكره السلف والأئمة على الجهمية وعدوه من كفرهم وقالوا إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص: ٥٤] وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥] إلى غير ذلك من النصوص الدالة على بقاء نعيم الجنة.

وأما أبو الهذيل فقال إن الدليل إنما دل على انقطاع الحوادث فقط فيمكن بقاء الجنة والنار لكن تنقطع الحركات فيبقى أهل الجنة والنار ساكنين ليس فيهما حركة أصلاً ولا شيء يحدث ولزمه على ذلك أن يثبت أجساماً باقية دائمة خالية عن الحوادث فيلزم وجود أجسام بلا حوادث فينتقض الأصل الذي أصلوه وهو أن الأجسام لا تخلو عن الحوادث.

وهذا هو الأصل الذي أصله هشام بن الحكم[2] وهشام بن سالم

---

(١) أبو الهذيل العلاف: محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي، المعروف بالعلاف، المتكلم، شيخ أهل البصرة في الاعتزال، وهو صاحب المقالات في مذهبهم، ذو فطنة ودهاء، ت سنة (٢٣٥هـ).
انظر في ترجمته: شذرات الذهب لابن العماد (٢/ ٨٥)، المنية والأمل للقاضي عبد الجبار (ص١٥٤).

(٢) هشام بن الحكم البغدادي الكندي، مولى بني شيبان، أبو محمد، من متكلمي الشيعة الإمامية، وممن بدأ الكلام في الإمامة، اقترب من البرامكة، ت سنة (١٩٠هـ).
انظر في ترجمته: الفهرست لابن النديم (ص٢٤٩)، الفرق بين الفرق للبغدادي (ص٦٥).

الجواليقي[1] وغيرهما من المجسمة الرافضة وغير الرافضة كالكرامية فقالوا بل يجوز ثبوت جسم قديم أزلي لا أول لوجوده وهو خال عن جميع الحوادث وهؤلاء عندهم الجسم القديم الأزلي يخلو عن الحوادث وأما الأجسام المخلوقة فلا تخلو عن الحوادث ويقولون ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث لكن لا يقولون إن كل جسم فإنه لا يخلو عن الحوادث.

ثم إن هؤلاء الجهمية أصحاب هذا الأصل المبتدع احتاجوا أن يلتزموا طرد هذا الأصل فقالوا إن الرب لا تقوم به الصفات ولا الأفعال فأنها أعراض وحوادث وهذه لا تقوم إلا بجسم والأجسام محدثة فيلزم أن لا يقوم بالرب علم ولا قدرة ولا كلام ولا مشيئة ولا رحمة ولا رضا ولا غضب ولا غير ذلك من الصفات بل جميع ما يوصف به من ذلك فإنما هو مخلوق منفصل عنه.

والجهمية كانوا يقولون قولنا إنه يتكلم هو مجاز والمعتزلة قالوا إنه متكلم حقيقة لكن المعنى واحد فكان أصل هؤلاء هو المادة التي تشعبت عنها هذه البدع فجاء ابن كلاب بعد هؤلاء لما ظهرت المحنة المشهورة وامتحن الإمام أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة وثبت الله الإمام أحمد بن حنبل وجرت أمور كثيرة معروفة وانتشر بين الأمة النزاع في هذه المسائل قام أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب البصري[2] وصنف في

---

(١) هشام بن سالم الجواليقي الجعفي، أبو محمد، مولى بشر بن مروان، من شيوخ الرافضة، ومن غلاة المشبهة.
انظر في ترجمته: الفهرست لابن النديم (ص٢٥٢)، الفرق بين الفرق للبغدادي (ص٦٨).

(٢) عبد الله بن سعيد بن كلاب، أبو محمد القطان: متكلم من العلماء يقال له «ابن كلاب». قال السبكي: وكلاب بضم الكاف وتشديد اللام، قيل: لقب بها لأنه كان يجتذب الناس إلى معتقده إذا ناظر عليه كما مجتذب الكلاب الشيء، =

الرد على الجهمية والمعتزلة مصنفات وبين تناقضهم فيها وكشف كثيراً من عوراتهم لكن سلم لهم ذلك الأصل الذي هو ينبوع البدع فاحتاج لذلك أن يقول إن الرب لا تقوم به الأمور الاختيارية ولا يتكلم بمشيئته وقدرته ولا نادى موسى حين جاء الطور بل ولا يقوم به نداء حقيقي ولا يكون إيمان العباد وعملهم الصالح هو السبب في رضاه ومحبته ولا كفرهم هو السبب في سخطه وغضبه فلا يكون بعد أعمالهم لا حب ولا رضا ولا سخط ولا فرج ولا غير ذلك مما أخبرت به نصوص الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [الأعراف: ١١].

وأمثال ذلك من نصوص الكتاب والسنة التي لا تحصى إلا بكلفة وهي تبلغ مئين من نصوص القرآن والحديث كما ذكرنا طرفاً منها في غير هذا الموضع وذكرنا كلام السلف والخلف في هذا الأصل وذكرنا مذاهب القدماء من الفلاسفة أيضاً وموافقة أساطينهم على هذا الأصل.

ثم إنه بسبب ذلك تفرق الناس في مسألة القرآن فاحتاج ابن كلاب ومتبعوه إلى أن يقولوا هو قديم وإنه لازم لذات الله وإن الله لم يتكلم بمشيئته وقدرته وجعلوا جميع ما يتكلم به قديم العين لم يقولوا إنه يتكلم

= له كتب، منها «الصفات» و«خلق الأفعال» و«الرد على المعتزلة». انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ٩٠).

بمشيئته وقدرته أزلاً وأبداً وإن كلامه قديم بمعنى أنه قديم النوع لم يزل الله متكلماً بمشيئته كما قاله السلف والأئمة.

ثم قالوا: إنه قديم العين وافترقوا على حزبين حزب قالوا: يمتنع أن يكون القديم هو الحروف والأصوات لامتناع البقاء عليها وكونها توجد شيئاً بعد شيء لأن المسبوق بغيره لا يكون قديماً فالقديم هو المعنى ويمتنع وجود معان لا نهاية لها في آن واحد والتخصيص بعدد دون عدد لا موجب له فالقديم معنى واحد هو الأمر بكل مأمور والخبر عن كل مخبر وهو معنى التوراة والإنجيل والقرآن وهو معنى آية الكرسي وآية الدين وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وأنكروا أن يكون الكلام العربي كلام الله. والحزب الثاني قالوا: بل الحروف أو الحروف والأصوات قديمة أزلية الأعيان وقالوا الترتيب في ذاتها لا في وجودها وفرقوا بين الحقيقة وبين وجود الحقيقة كما يفرق كثير من أهل الكلام بين وجود الرب وبين حقيقته وكثير منهم ومن الفلاسفة يفرق بين وجود الممكنات وبين حقيقتها وقالوا الترتيب هو في حقيقتها لا في وجودها بل هي موجودة أزلاً وأبداً لم يسبق منها شيء شيئاً وإن كانت حقيقتها مرتبة ترتيباً عقلياً كترتيب الذات على الصفات وكترتيب المعلول على العلة كما يقوله المتفلسفة القائلون بقدم العالم حيث قالوا إن الرب متقدم على العالم بذاته وحقيقته ولم يتقدم عليه تقدماً زمانياً وقالوا في تقدم بعض كلامه على بعض كما قال هؤلاء في تقدمه على معلوله وهؤلاء يجعلون التقدم والتأخر والترتيب نوعين عقلياً ووجودياً ويدعون أن ما أثبتوه من الترتيب والتقدم والتأخر هو عقلي لا وجودي.

وأما جمهور العقلاء فينكرون هذا ويقولون إن قول هؤلاء معلوم الفساد بالضرورة وإن الترتيب والتقدم والتأخر لا يعقل إلا وجود الشيء بعد غيره لا يمكن مع كونه معه إلا أن يكون بعده كما يقولون إن

المعلول لا يكون إلا بعد العلة ولا يكون إلا معها وهذه الأمور قد بسطت في غير هذا الموضع بسطاً كبيراً ولكن ذكر هنا ما تيسر.

والمقصود أن هذه الطريق الكلامية التي ابتدعتها الجهمية والمعتزلة وأنكرها سلف الأمة وأئمتها صارت عند كثير من النظار المتأخرين هي دين الإسلام بل يعتقدون أن من خالفها فقد خالف دين الإسلام مع أنه لم ينطق بما فيها من الحكم والدليل لا آية من كتاب الله ولا خبر عن رسول الله ﷺ ولا أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان فكيف يكون دين الإسلام بل أصل أصول دين الإسلام مما لم يدل عليه لا كتاب ولا سنة ولا قول أحد من السلف ثم حدث بعد هذا في الإسلام الملاحدة من المتفلسفة وغيرهم حدثوا وانتشروا بعد انقراض العصور المفضلة وصار كل زمان ومكان يضعف فيه نور الإسلام يظهرون فيه وكان من أسباب ظهورهم أنهم ظنوا أن دين الإسلام ليس إلا ما يقوله أولئك المبتدعون ورأوا ذلك فساداً في العقل فرأوا دين الإسلام المعروف فاسداً في العقل فكان غلاتهم طاعنين في دين الإسلام بالكلية باليد واللسان كالخرمية أتباع بابك الخرمي[1] وقرامطة البحرين أتباع أبي سعيد الجنابي[2] وغيرهم.

---

(١) بابك الخرمي من زعماء الباطنية من أتباع الخرمية (أو الخرمدينية) ومن أتباع أبي مسلم الخرساني، وقد ظهر في جبل البدين بناحية أذربيجان، وكثر أتباعه واستحلوا المحرمات وأباحوا وقتلوا الكثير من المسلمين، وحاربته جيوش المعتصم مدة طويلة إلى أن أسرته فصلبته وقتلته سنة (٢٢٣هـ).
انظر: الفرق بين الفرق (ص١٦١، ١٧١)، الملل والنحل (١/٢١٦)، والفهرست لابن النديم (ص٣٤٢ ـ ٣٤٤).

(٢) أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنّابي رأس القرامطة وداعيتهم، كان دقاقاً من أهل جنابة بفارس، ونفي منها، فأقام في البحرين تاجراً، وأقامه حمدان قرمط داعية في فارس الجنوبية، وقد حارب الجنابي الدولة العباسية واستولى على هجر =

وأما مقتصدوهم وعقلاؤهم فرأوا أن ما جاء به محمد ﷺ فيه من الخير والصلاح ما لا يمكن القدح فيه بل اعترف حذاقهم بما قاله ابن سينا وغيره من أنه لم يقرع العالم ناموس أفضل من ناموس محمد ﷺ وكان هذا موجب عقلهم وفلسفتهم فإنهم نظروا في أرباب النواميس من اليونان فرأوا أن الناموس الذي جاء به موسى وعيسى أعظم من نواميس أولئك بأمر عظيم، ولهذا لما ورد ناموس عيسى ابن مريم عليه السلام على الروم انتقلوا عن الفلسفة اليونانية إلى دين المسيح.

وكان أرسطو[1] قبل المسيح ابن مريم عليه السلام بنحو ثلاثمائة سنة كان وزيراً للإسكندر بن فيلبس المقدوني الذي غلب على الفرس وهو الذي يؤرخ له اليوم بالتاريخ الرومي تؤرخ له اليهود والنصارى وليس هذا الإسكندر هو ذا القرنين المذكور في القرآن كما يظن ذلك طائفة من الناس فإن ذلك كان متقدماً على هذا وذلك المتقدم هو الذي بنى سد يأجوج ومأجوج وهذا المقدوني لم يصل إلى السد وذاك كان مسلماً موحداً وهذا المقدوني كان مشركاً هو وأهل بلده اليونان كانوا مشركين يعبدون الكواكب والأوثان.

وقد قيل إن آخر ملوكهم كان هو بطليموس صاحب المجسطي

= والإحساء والقطيف وسائر بلاد البحرين، وأحرق المصاحف والمساجد، وفي عام (٣٠١هـ) اغتاله أحد الخدم.

انظر: الفرق بين الفرق (ص١٦٩، ١٧٤)، البداية والنهاية (١١/ ١٢١)، والأعلام للزركلي (٢/ ٩٩).

(١) أرسطو بن نيفوماخس الفيثاغوري، أكبر فلاسفة اليونان، تتلمذ على أفلاطون، ودعي بأمير الفلسفة، والمعلم الأول، وصاحب المنطق، وهو مؤسس مذهب المشائين، ت (٣٢٢ق.م).

انظر في ترجمته: إخبار الحكماء للقفطي (١٢٠)، عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة (ص٨٦)، الفهرست لابن النديم (ص٣٤٥).

وأنهم بعده انتقلوا إلى دين المسيح فإن الناموس الذي بعث به المسيح كان أعظم وأجل بل النصارى بعد أن غيروا دين المسيح وبدلوا هم أقرب إلى الهدى ودين الحق من أولئك الفلاسفة الذين كانوا مشركين وشرك أولئك الغليظ هو مما أوجب إفساد دين المسيح كما ذكره طائفة من أهل العلم قالوا كان أولئك يعبدون الأصنام ويعبدون الشمس والقمر والكواكب ويسجدون لها». اهـ.

١٢٦ ـ تكون الولاية والأمارة صحيحة بمبايعة أهل الحل والعقد، ورضا جمهور الناس، وإن تخلف عن ذلك الواحد والاثنين والعشرة، فلم يضر في ولاية أبي بكر تخلف سعد بن عبادة ﷺ:

(١/٥٢٦ ـ ٥٢٧): «وأما قول الرافضي إنهم يقولون إن الإمام بعد رسول الله ﷺ أبو بكر بمبايعة عمر برضا أربعة فيقال له ليس هذا قول أئمة أهل السنة وإن كان بعض أهل الكلام يقولون إن الإمامة تنعقد ببيعة أربعة كما قال بعضهم تنعقد ببيعة اثنين وقال بعضهم تنعقد ببيعة واحد فليست هذه أقوال أئمة السنة بل الإمامة عندهم تثبت بموافقة أهل الشوكة عليها ولا يصير الرجل إماماً حتى يوافقه أهل الشوكة عليها الذين يحصل بطاعتهم له مقصود الإمامة فإن المقصود من الإمامة إنما يحصل بالقدرة والسلطان فإذا بويع بيعة حصلت بها القدرة والسلطان صار إماماً ولهذا قال أئمة السلف من صار له قدرة وسلطان يفعل بهما مقصود الولاية فهو من أولى الأمر الذين أمر الله بطاعتهم ما لم يأمروا بمعصية الله فالإمامة ملك وسلطان والملك لا يصير ملكاً بموافقة واحد ولا اثنين ولا أربعة إلا أن تكون موافقة هؤلاء تقتضي موافقة غيرهم بحيث يصير ملكاً بذلك وهكذا كل أمر يفتقر إلى المعاونة عليه لا يحصل إلا بحصول من يمكنهم التعاون عليه ولهذا لما بويع علي ﷺ وصار معه شوكة صار إماما». اهـ.

١٢٧ ـ من علامات النبوة طاعة ولاة الأمور وإن جاروا وظلموا:

(١/ ٥٦١) «وهو ﷺ قد أخبر أنه بعد ذلك يقوم أئمة لا يهتدون بهديه ولا يستنون بسنته وبقيام رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان الإنس[(١)] وأمر مع هذا بالسمع والطاعة للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فتبين أن الإمام الذي يطاع هو من كان له سلطان سواء كان عادلاً أو ظالماً». اهـ.

١٢٨ ـ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة: ٥٥] قالوا: هي في علي ﷺ، وهذا باطل من وجوه:

(٢/ ٣٠ ـ ٣٢): «وقد وضع بعض الكذابين حديثاً مفترى أن هذه الآية نزلت في علي[(٢)] لما تصدق بخاتمه في الصلاة وهذا كذب بإجماع

---

(١) عن حذيفة بن اليمان يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر؟ قال: «نعم» فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه: دخن». قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر». فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها».
فقلت: يا رسول الله صفهم لنا. قال: «نعم قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا».
قلت: يا رسول الله فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم». فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك».
رواه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، وكتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، ومسلم، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، واللفظ لمسلم.

(٢) قال ابن المطهر الرافضي: «قال الثعلبي في إسناده إلى أبي ذر قال: سمعت رسول الله ﷺ بهاتين وإلا صمتا ورأيته بهاتين وإلا عميتا يقول علي قائد البررة وقاتل الكفرة فمنصور من نصره ومخذول من خذله أما أني صليت مع =

أهل العلم بالنقل وكذبه بين من وجوه كثيرة منها أن قوله الذين صيغة جمع وعلى واحد.

ومنها أن الواو ليست واو الحال إذ لو كان كذلك لكان لا يسوغ أن يتولى إلا من أعطى الزكاة في حال الركوع فلا يتولى سائر الصحابة والقرابة.

ومنها أن المدح إنما يكون بعمل واجب أو مستحب وإيتاء الزكاة في نفس الصلاة ليس واجباً ولا مستحباً باتفاق علماء الملة فإن في الصلاة شغلاً.

ومنها أنه لو كان إيتاؤها في الصلاة حسناً لم يكن فرق بين حال الركوع وغير حال الركوع بل إيتاؤها في القيام والقعود أمكن.

ومنها أن علياً لم يكن عليه زكاة على عهد النبي ﷺ.

= رسول الله ﷺ يوماً صلاة الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم إنك تشهد أني سألت في مسجد رسول الله ﷺ فلم يعطني أحد شيئاً وكان علي راكعاً فأومأ بخنصره اليمنى وكان متختماً فيها فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم وذلك بعين النبي ﷺ فلما فرغ من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إن موسى سألك وقال: رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً: سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك اللهم فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به ظهري، قال أبو ذر: فما استتم كلام رسول الله ﷺ حتى نزل عليه جبريل من عند الله فقال: يا محمد اقرأ قال: وما أقرأ قال: اقرأ أنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون».

وقد رد عليه شيخ الإسلام رداً مفصلاً في منهاج السنة النبوية (٧/ ٥ ـ ٣١)، وبين بطلان هذه الرواية من حيث النقل والمعنى من عدة وجوه.

ومنها أنه لم يكن له أيضاً خاتم ولا كانوا يلبسون الخواتم حتى كتب النبي ﷺ كتاباً إلى كسرى فقيل له إنهم لا يقبلون كتاباً إلا مختوماً فاتخذ خاتماً من ورق ونقش فيها محمد رسول الله.

ومنها أن إيتاء غير الخاتم في الزكاة خير من إيتاء الخاتم فإن أكثر الفقهاء يقولون لا يجزئ إخراج الخاتم في الزكاة.

ومنها أن هذا الحديث فيه أنه أعطاه السائل والمدح في الزكاة أن يخرجها ابتداء ويخرجها على الفور لا ينتظر أن يسأله سائل.

ومنها أن الكلام في سياق النهى عن موالاة الكفار والأمر بموالاة المؤمنين كما يدل عليه سياق الكلام.

وسيجيء إن شاء الله تمام الكلام على هذه الآية فإن الرافضة لا يكادون يحتجون بحجة إلا كانت حجة عليهم لا لهم كاحتجاجهم بهذه الآية على الولاية التي هي الإمارة وإنما هي في الولاية التي هي ضد العداوة والرافضة مخالفون لها». اهـ.

١٢٩ ـ ضبط حديث ذي الخويصرة:

(٢/ ٤٢٠): «وفي الصحيحين عن النبي ﷺ لما قال له ذو الخويصرة اعدل يا محمد فإنك لم تعدل فقال النبي ﷺ: «**لقد خبت وخسرت إن لم أعدل ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء**»[1]، **والرواية الصحيحة بالفتح** أي أنت خاسر خائب إن لم أعدل إن ظننت أني ظالم مع اعتقادك أني نبي فإنك تجوز أن يكون الرسول الذي آمنت به ظالما وهذا خيبة وخسران فإن ذلك ينافى النبوة ويقدح فيها». اهـ.

---

(١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، ومسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

١٣٠ ـ تكليف ما لا يطاق يفسر بشيئين:

(١) إما العجز عنه، كتكليف الرجل عبده الأعمى بنقط المصحف.

(٢) أو بالاشتغال بضده كتكليف القاعد بالقيام:

(٣/ ٥٢): «**وما لا يطاق يفسر بشيئين** يفسر بما لا يطاق للعجز عنه فهذا لم يكلفه الله أحداً ويفسر بما لا يطاق للاشتغال بضده فهذا هو الذي وقع فيه التكليف كما في أمر العباد بعضهم بعضاً فإنهم يفرقون بين هذا وهذا فلا يأمر السيد عبده الأعمى بنقط المصاحف ويأمره إذا كان قاعداً أن يقوم ويعلم الفرق بين هذا وهذا بالضرورة». اهـ.

١٣١ ـ كذب قصة توبة بشر الحافي على يد موسى بن جعفر:

(٤/ ١٥ ـ ١٦): «قال الرافضي ابن المطهر: وعلى يده تاب بشر الحافي لأنه ﷺ اجتاز على داره ببغداد فسمع الملاهي وأصوات الغناء والقصب يخرج من تلك الدار فخرجت جارية وبيدها قمامة البقل وفرمت بها في الدرب فقال لها: يا جارية صاحب هذا الدار حر أم عبد فقالت: بل حر فقال: صدقت لو كان عبداً لخاف من مولاه فلما دخلت الجارية قال مولاها وهو على مائدة السكر ما أبطأك علينا قالت: حدثني رجل بكذا وكذا فخرج حافياً حتى لقي مولانا موسى بن جعفر فتاب على يده.

فرد عليه شيخ الإسلام بقوله (٤/ ٥٧): «أما قوله تاب على يده بشر الحافي[1] فمن أكاذيب من لا يعرف حاله ولا حال بشر فإن موسى بن

(١) هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء المروزي، المشهور بالحافي، ولد سنة (١٥٢هـ)، كان أول عمره يمشي حافياً ويطلب العلم فاشتهر بذلك، إمام زاهد محدث، قيل للإمام أحمد، مات بشر، فقال: «مات والله وما له نظير إلا عامر بن عبد قيس». اهـ، توفي سنة (٢٢٧هـ).
انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٣٤٢)، والحلية (٨/ ٣٣٦)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٦٩).

جعفر لما قدم به الرشيد إلى العراق حبسه فلم يكن ممن يجتاز على دار بشر وأمثاله من العامة». اهـ.

١٣٢ ـ حقيقة الشاعر أبو نواس:

قال رَحِمَهُ اللهُ في رده على الرافضة (٤/ ٦٥): «ولهذا يستشهدون ـ بأبيات أبي نواس وهي لو كانت صدقاً لم تصلح أن تثبت فضائل شخص بشهادة شاعر معروف بالكذب والفجور الزائد الذي لا يخفى على من له أدنى خبرة بأيام الناس فكيف والكلام الذي ذكره فاسد فإنه قال:

قلت لا أستطيع مدح إمام ۝ كان جبريل خادماً لأبيه». اهـ

١٣٣ ـ حال كتاب تاريخ المسعودي:

(٤/ ٨٤): «والحكاية التي ذكرها عن المسعودي منقطعة الإسناد وفي تاريخ المسعودي[(١)] من الأكاذيب ما لا يحصيه إلا الله تعالى فكيف يوثق بحكاية منقطعة الإسناد في كتاب قد عرف بكثرة الكذب مع أنه ليس فيها الفضيلة إلا ما يوجد في كثير من عامة المسلمين ويوجد فيهم ما هو أعظم منها». اهـ.

١٣٤ ـ والفتنة إذا وقعت عجز العقلاء فيها عن دفع السفهاء:

(٤/ ٣٤٣): «**والفتنة إذا وقعت عجز العقلاء فيها عن دفع السفهاء** فصار الأكابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُم عاجزين عن إطفاء الفتنة وكف أهلها وهذا شأن الفتن

---

(١) هو أبو الحسن علي ابن الحسين بن علي بن ذرية ابن مسعود، عداده في البغاددة، ونزل مصر مدة، وكان أخبارياً، صاحب ملح وغرائب وعجائب وفنون، وكان معتزلياً، له كتاب مروج الذهب، قال الحافظ: «كُتبُه طافحة بأنه كان شيعياً معتزلياً». اهـ، توفي سنة (٣٤٦هـ).

انظر: لسان الميزان (٤/ ٢٥٦ ـ ٢٥٨) ترجمة رقم (٥٧٩٧)، سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٦٩).

كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، وإذا وقعت الفتنة لم يسلم من التلوث بها إلا من عصمه الله». اهـ.

١٣٥ ـ الكلام على قتل الحسين رضي الله عنه وما كذبت فيه الرافضة وزادته:

(٤/ ٥٥٠ ـ ٥٥٢): «وأما مقتل الحسين رضي الله عنه فلا ريب أنه قتل مظلوماً شهيداً كما قتل أشباهه من المظلومين الشهداء. وقتل الحسين معصية لله ورسوله ممن قتله أو أعان على قتله أو رضي بذلك وهو مصيبة أصيب بها المسلمون من أهله وغير أهله وهو في حقه شهادة له ورفع حجة وعلو منزلة فإنه وأخاه سبقت لهما من الله السعادة التي لا تنال إلا بنوع من البلاء ولم يكن لهما من السوابق ما لأهل بيتهما فإنهما تربيا في حجر الإسلام في عز وأمان فمات هذا مسموماً وهذا مقتولا لينالا بذلك منازل السعداء وعيش الشهداء وليس ما وقع من ذلك بأعظم من قتل الأنبياء فإن الله تعالى قد أخبر أن بني إسرائيل كانوا يقتلون النبيين بغير حق وقتل النبي أعظم ذنباً ومصيبة.

وكذلك قتل علي رضي الله عنه أعظم ذنباً ومصيبة وكذلك قتل عثمان رضي الله عنه أعظم ذنباً ومصيبة إذا كان كذلك فالواجب عند المصائب الصبر والاسترجاع كما يحبه الله ورسوله قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٦].

وفي مسند الإمام أحمد وسنن ابن ماجه عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها الحسين عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من مسلم يصاب بمصيبة فيذكر مصيبته وإن قدمت فيحدث لها استرجاعاً، إلا أعطاه الله من الأجر مثل أجره يوم أصيب بها**»(١)، ورواية الحسين وابنته التي شهدت مصرعه

(١) رواه أحمد (٣/ ٢٥٦)، وابن ماجة، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصبر على =

لهذا الحديث آية فإن مصيبة الحسين هي ما يذكر وإن قدمت فيشرع للمسلم أن يحدث لها استرجاعاً.

وأما ما يكرهه الله ورسوله من لطم الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية فهذا محرم تبرأ النبي ﷺ من فاعله كما في الحديث الصحيح عنه ﷺ أنه قال: **«ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية»**[١]، و**«تبرأ من الصالقة والحالقة والشاقة»**[٢] فالصالقة التي ترفع صوتها عند المصيبة والحالقة التي تحلق شعرها والشاقة التي تشق ثيابها.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن النائحة إذا لم تتب قبل موتها فإنها تلبس يوم القيامة درعاً من جرب وسربالاً من قطران»**[٣].

ورفع إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه نائحة فأمر بضربها فقيل يا أمير المؤمنين إنه قد بدا شعرها فقال: «إنه لا حرمة لها أنها تنهى عن الصبر وقد أمر الله به وتأمر بالجزع وقد نهى الله عنه وتفتن الحي وتؤذي الميت وتبيع عبرتها وتبكي بشجو غيرها إنها لا تبكي على ميتكم إنما تبكي على أخذ دراهمكم»[٤]. اهـ.

١٣٦ ـ أصناف الناس في مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما:

(٤/ ٥٥٣ ـ ٥٥٤): «وصار الناس في قتل الحسين رضي الله عنه ثلاثة

= المصيبة، من حديث فاطمة بنت الحسين بن علي عن أبيها رضي الله عنهما.
قال الحافظ في الإصابة (٢/ ٢٤٨): إسناده ضعيف. وانظر السلسلة الضعيفة للألباني (١٠/ ٥٤).

(١) تقدم فائدة رقم (١٢٤).
(٢) تقدم فائدة رقم (١٢٤).
(٣) تقدم فائدة رقم (١٢٤).
(٤) لم أقف عليه.

أصناف طرفين ووسطا أحد الطرفين يقول إنه قتل بحق فإنه أراد أن يشق عصا المسلمين ويفرق الجماعة وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من جاءكم وأمركم على رجل واحد يريد أن يفرق جماعتكم فاقتلوه**»[1]، قالوا والحسين جاء وأمر المسلمين على رجل واحد فأراد أن يفرق جماعتهم وقال بعض هؤلاء هو أول خارج خرج في الإسلام على ولاة الأمر.

والطرف الآخر قالوا بل كان هو الإمام الواجب طاعته الذي لا ينفذ أمر من أمور الإيمان إلا به ولا تصلي جماعة ولا جمعة إلا خلف من يوليه ولا يجاهد عدو بإذنه ونحو ذلك.

وأما الوسط فهم أهل السنة الذين لا يقولون لا هذا ولا هذا بل يقولون قتل مظلوماً شهيداً ولم يكن متولياً لأمر الأمة والحديث المذكور لا يتناوله فإنه لما بلغه ما فعل بابن عمه مسلم بن عقيل ترك طلب الأمر وطلب أن يذهب إلى يزيد ابن عمه أو إلى الثغر أو إلى بلده فلم يمكنوه وطلبوا منه أن يستأسر لهم وهذا لم يكن واجباً عليه». اهـ.

١٣٧ ـ معنى قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]

(٤/ ٥٦٢ ـ ٥٦٤): «وأما قوله وأنزل الله فيهم: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]، فهذا كذب ظاهر فإن هذه الآية في سورة الشورى وسورة الشورى مكية بلا ريب نزلت قبل أن يتزوج عليّ بفاطمة رضي الله عنها وقبل أن يولد له الحسن والحسين فإن عليّ إنما تزوج فاطمة بالمدينة بعد الهجرة في العام الثاني ولم يدخل بها إلا بعد غزوة بدر وكانت بدر في شهر رمضان سنة اثنتين وقد تقدم الكلام على الآية

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع.

الكريمة وأن المراد بها ما بينه ابن عباس ﵄ من أنه لم تكن قبيلة من قريش إلا وبينها وبين رسول الله ﷺ قرابة فقال: «**لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى إلا أن تودوني في القرابة التي بين وبينكم**»[1] رواه البخاري وغيره.

وقد ذكر طائفة من المصنفين من أهل السنة والجماعة والشيعة من أصحاب أحمد وغيرهم حديثاً عن النبي ﷺ أن هذه الآية لما نزلت قالوا: يا رسول الله من هؤلاء؟ قال: علي وفاطمة وابناهما، وهذا كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث ومما يبين ذلك أن هذه الآية نزلت بمكة باتفاق أهل العلم فإن سورة الشورى جميعها مكية بل جميع (ال حم)[2] كلهن مكيات وعليّ لم يتزوج فاطمة إلا بالمدينة كما تقدم ولم يولد له الحسن والحسين إلا في السنة الثالثة والرابعة من الهجرة فكيف يمكن أنها لما نزلت بمكة قالوا: يا رسول الله من هؤلاء قال: عليّ وفاطمة وابناهما.

قال الحافظ عبد الغني المقدسي: ولد الحسن سنة ثلاث من الهجرة في النصف من شهر رمضان هذا أصح ما قيل فيه وولد الحسين لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة، قال: وقيل: سنة ثلاث، قلت: ومن قال هذا يقول إن الحسن ولد سنة اثنتين وهذا ضعيف فقد ثبت في الصحيح أن علياً لم يدخل بفاطمة ﵄ إلا بعد غزوة بدر». .اهـ.

١٣٨ ـ حكم لعن الأموات:

(٤/ ٥٧٢ ـ ٥٧٤): «ثم الكلام في لعنة الأموات أعظم من لعنة

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾، والترمذي، كتاب التفسير، سورة الشورى.

(٢) أي السور التي تستفتح بـ (حم) وهي غافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف.

الحي فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا**»[1] حتى أنه قال: «**لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا أحياءنا**»[2] لما كان قوم يسبون أبا جهل ونحوه من الكفار الذين أسلم أقاربهم فإذا سبوا ذلك آذوا قرابته.

وأما ما نقله عن أحمد فالمنصوص الثابت عنه من رواية صالح أنه قال: ومتى رأيت أباك يلعن أحداً لما قيل له ألا تلعن يزيد فقال: ومتى رأيت أباك يلعن أحداً، وثبت عنه أن الرجل إذا ذكر الحجاج ونحو من الظلمة وأراد أن يلعن يقول: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وكره أن يلعن المعين باسمه ونقلت عنه رواية في لعنة يزيد وأنه قال: «ألا ألعن من لعنه الله» واستدل بالآية لكنها رواية منقطعة ليست ثابتة عنه والآية لا تدل على لعن المعين ولو كان كل ذنب لعن فاعله يلعن المعين الذي فعله للعن جمهور الناس وهذا بمنزلة الوعيد المطلق لا يستلزم ثبوته في حق المعين إلا إذا وجدت شروطه وانتفت موانعه وهكذا اللعن، وهذا بتقدير أن يكون يزيد فعل ما يقطع به الرحم». اهـ.

١٣٩ ـ عدد قتلى المسلمين في بغداد بسبب الطوسي وابن العلقمي:

(٤/ ٥٩٢): «ومن العجب من هؤلاء الرافضة أنهم يدعون تعظيم آل

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما ينهى عن سب الأموات، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه أحمد (٣٠/ ١٥٠)، والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشتم من حديث المغيرة بن شعبة.
قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (٦/ ٤٥٦ ـ شاملة): أخرجه الترمذي من حديث المغيرة بن شعبة ورجاله ثقات إلا أن بعضهم أدخل بين المغيرة وبين زياد بن علاقة رجل لم يسم». اهـ.
وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (٥/ ٥٢٠) رقم (٢٣٩٧).

محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وهم سعوا في مجيء التتار الكفار إلى بغداد دار الخلافة حتى قتلت الكفار من المسلمين ما لا يحصيه إلا الله تعالى من بني هاشم وغيرهم وقتلوا بجهات بغداد ألف ألف وثمانمئة ألف ونيفاً وسبعين ألفاً وقتلوا الخليفة العباسي وسبوا النساء الهاشميات وصبيان الهاشميين». .اهـ.

١٤٠ ـ كلام رائع عن حال النجاشي مع قومه، وأنه عمل من أحكام الإسلام بما استطاع وقد روي أنه ما كان يصلي ولا يزكي ولا يصوم ولا حج، ولا جاهد، ومع ذلك فهو سعيد في الجنة، لأنه اتقى الله ما استطاع:

(٥/ ١١٢ ـ ١١٤): «وكذلك النجاشي هو وإن كان ملك النصارى فلم يطعه قومه في الدخول في الإسلام بل إنما دخل معه نفر منهم ولهذا لما مات لم يكن هناك من يصلي عليه فصلى عليه النبي ﷺ بالمدينة خرج بالمسلمين إلى المصلى فصفهم صفوفاً وصلى عليه وأخبرهم بموته يوم مات وقال إن أخاً لكم صالحاً من أهل الحبشة مات»[(١)].

وكثير من شرائع الإسلام أو أكثرها لم يكن دخل فيها لعجزه عن ذلك فلم يهاجر ولم يجاهد ولا حج البيت بل قد روى أنه لم يكن يصلي الصلوات الخمس ولا يصوم شهر رمضان ولا يؤدي الزكاة الشرعية لأن ذلك كان يظهر عند قومه فينكرونه عليه وهو لا يمكنه مخالفتهم ونحن نعلم قطعاً أنه لم يكن يمكنه أن يحكم بينهم بحكم القرآن والله قد فرض على نبيه بالمدينة أنه إذا جاءه أهل الكتاب لم يحكم بينهم إلا بما أنزل الله

---

(١) جاء عن عدة من الصحابة فرواه أبو هريرة وجابر بن عبد الله وعمران بن حصين ﷺ.

انظر: صحيح البخاري، كتاب الجنائز في عدة مواضع، وكتاب مناقب الأنصار، باب موت النجاشي، ومسلم، كتاب الجنائز، باب في التكبير على الجنازة.

إليه وحذره أن يفتنوه عن بعض ما أنزل الله إليه وهذا مثل الحكم في الزنا للمحصن بحد الرجم وفي الديات بالعدل والتسوية في الدماء بين الشريف والوضيع النفس بالنفس والعين بالعين وغير ذلك والنجاشي ما كان يمكنه أن يحكم بحكم القرآن فإن قومه لا يقرونه على ذلك.

وكثيراً ما يتولى الرجل بين المسلمين والتتار قاضياً بل وإماماً وفي نفسه أمور من العدل يريد أن يعمل بها فلا يمكنه ذلك بل هناك من يمنعه ذلك ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها وعمر بن عبد العزيز عـودي وأوذي على بعض ما أقامه من العدل وقيـل إنه سُم على ذلك.

فالنجاشي وأمثاله سعداء في الجنة وإن كانوا لم يلتزموا من شرائع الإسلام ما لا يقدرون على التزامه بل كانوا يحكمون بالأحكام التي يمكنهم الحكم بها ولهذا جعل الله هؤلاء من أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾ [آل عمران: ١٩٩].

وهذه الآية قالت طائفة من السلف إنها نزلت في النجاشي ويروى هذا عن جابر وابن عباس وأنس ومنهم من قال فيه وفي أصحابه كما قال الحسن وقتادة وهذا مراد الصحابة لكن هو المطاع فإن لفظ الآية لفظ الجمع لم يرد بها واحد وعن عطاء قال نزلت في أربعين من أهل نجران وثلاثين من أهل الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى فآمنوا بمحمد ﷺ». اهـ.

١٤١ ـ اعتدال أهل السنة مع مَن خالفهم مِن الفرق:

والرافضة فيهم من هو زاهد متعبد لكنه قليل جداً، وليس في أهل الأهواء أزهد ولا أعبد من الخوارج.

(١٥٧/٥): «والرافضة فيهم من هو متعبد متورع زاهد لكن ليسوا

في ذلك مثل غيرهم من أهل الأهواء فالمعتزلة أعقل منهم وأعلم وأدين والكذب والفجور فيهم أقل منه في الرافضة والزيدية[1] من الشيعة خير منهم أقرب إلى الصدق والعدل والعلم وليس في أهل الأهواء أصدق ولا أعبد من الخوارج ومع هذا.

فأهل السنة يستعملون معهم العدل والإنصاف ولا يظلمونهم فإن الظلم حرام مطلقاً كما تقدم بل أهل السنة لكل طائفة من هؤلاء خير من بعضهم لبعض بل هم للرافضة خير وأعدل من بعض الرافضة لبعض». . اهـ.

١٤٢ ـ استطراد طويل في مسألة واجبات الصلاة وعقوبة تاركها، وحكم الجاهل بها:

(٥/١٩٨ ـ ٢٠٤): «والحسنات المقبوله تكفر السيئات ولهذا قال ﷺ في الحديث الصحيح «**الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**»[2] ولو كفر الجميع بالخمس لم يحتج إلى الجمعة لكن التكفير بالحسنات المقبولة وغالب الناس لا يكتب له من الصلاة إلا بعضها فيكفر ذلك بقدره والباقي يحتاج إلى تكفير ولهذا جاء من غير وجه عن النبي ﷺ أنه قال: «**أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من أعماله الصلاة فإن أكملت وإلا**

---

(١) الزيدية: أتباع زيد بن علي بن الحسين، إحدى فرق الشيعة، يقولون بتفضيل علي على سائر الصحابة، وبخلود أصحاب الكبائر في النار، وبالخروج على أئمة الجور، وهم فرق متعددة.
انظر: التنبيه والرد للملطي (ص٤٦ ـ ٤٨)، مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ١٣٦ ـ ١٦٦)، التبصير في الدين للإسفراييني (ص٢٧ ـ ٣٤)، الزيدية لأحمد صبحي.

(٢) رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس. . ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قيل انظروا هل له من تطوع فإن كان له تطوع أكملت به الفريضة ثم يصنع في سائر الأعمال كذلك»[1].

وتكميل الفرائض بالتطوع مطلق فإنه يكون يوم القيامة يوم الجزاء فإنه إذا ترك بعض الواجبات استحق العقوبة فإذا كان له من جنسه تطوع سد مسده فلا يعاقب وإن كان ثوابه ناقصاً وله تطوع سد مسده فكمل ثوابه وهو في الدنيا يؤمر بأن يعيد حيث تمكن إعادة ما فعله ناقصاً من الواجبات أو يجبره بما ينجبر به كسجدتي السهو في الصلاة وكالدم الجابر لما تركه من الواجبات الحج ومثل صدقة الفطر التي فرضت طهرة للصائم من اللغو والرفث وذلك لأنه إذا أمكنه أن يأتي بالواجب كان ذلك عليه ولم يكن قد برئ من عهدته بل هو مطلوب به كما لو لم يفعله بخلاف ما إذا تعذر فعله يوم الجزاء فإنه لم يبق هناك إلا الحسنات.

ولهذا كان جمهور العلماء على أن من ترك واجباً من واجبات الصلاة عمداً فعليه إعادة الصلاة ما دام يمكن فعلها وهو إعادتها في الوقت هذا مذهب مالك والشافعي وأحمد لكن مالك وأحمد يقولان قد يجب فيها ما يسقط بالسهو ويكون سجود السهو عوضاً عنه وسجود السهو واجب عندهما. وأما الشافعي فيقول كل ما وجب بطلت الصلاة بتركه عمداً أو سهواً وسجود السهو عنده ليس بواجب فإن ما صحت الصلاة مع السهو عنه لم يكن واجباً ولا مبطلاً. والأكثرون يوجبون

---

(١) رواه أحمد (١٣/ ٢٧٣)، ورواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ: كل صلاة لا يتمها صاحبها، والنسائي، كتاب الصلاة، باب المحاسبة على الصلاة، والترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، وحسنه، من حديث أبي هريرة ﷺ. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
ورواه أحمد (٣٤/ ٢٩٣)، أيضاً من حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ..

سجود السهو كمالك وأبي حنيفة وأحمد ويقولون قد أمر به النبي ﷺ والأمر يقتضي الإيجاب ويقولون الزيادة في الصلاة لو فعلها عمداً بطلت الصلاة بالإتفاق مثل أن يزيد ركعة خامسة عمداً أو يسلم عمداً قبل إكمال الصلاة ثم إذا فعله سهواً سجد للسهو بالسنة والإجماع.

فهذا سجود لما تصح الصلاة مع سهوة دون عمده وكذلك ما نقصه منها فإن السجود يكون للزيادة تارة وللنقص أخرى كسجود النبي ﷺ لما ترك التشهد الأول ولو فعل ذلك أحد عمداً بطلت صلاته عند مالك وأحمد وأما أبو حنيفة فيوجب في الصلاة ما لا تبطل بتركه لا عمداً ولا سهواً ويقول هو مسيء بتركه كالطمأنينة وقراءة الفاتحة.

وهذا مما نازعه فيه الأكثرون وقالوا من ترك الواجب عمداً فعليه الإعادة الممكنة لأنه لم يفعل ما أمر به وهو قادر على فعله فلا يسقط عنه.

وقد أخرجا في الصحيحين حديث المسيء في صلاته لما قال له النبي ﷺ: «**ارجع فصل فإنك لم تصل**» وأمره بالصلاة التي فيها طمأنينة(١)، فدل هذا الحديث الصحيح على أن من ترك الواجب لم يكن ما فعله صلاة بل يؤمر بالصلاة والشارع ﷺ لا ينفي الاسم إلا لانتفاء بعض واجباته فقوله فإنك لم تصل لأنه ترك بعض واجباتها ولم تكن صلاته تامة مقامة الإقامة المأمور بها في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ١٠٣]، فقد أمر بإتمامها ولهذا لما أمر بإتمام الحج والعمرة بقوله ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، ألزم الشارع فيهما فعل جميع الواجبات فإذا ترك بعضها فلا بد من الجبران فعلم أنه

(١) رواه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب إذا حنث ناسياً في الأيمان، ومسلم، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة... من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إن لم يأت بالمأمور به تاماً التمام الواجب وإلا فعليه ما يمكن من إعادة أو جبران وكذلك أمر الذي رآه يصلي خلف الصف وحده أن يعيد[1]، وقال: **«لا صلاة لفذ خلف الصف»**[2] وقد صححه أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وابن حزم وغيرهم من علماء الحديث.

فإن قيل ففي حديث المسيء الذي رواه أهل السنن من حديث رفاعة بن رافع أنه جعل ما تركه من ذلك يؤاخذ بتركه فقط ويحسب له ما فعل ولا يكون كمن لم يصل قيل وكذلك نقول من فعلها وترك بعض واجباتها لم يكن بمنزلة من لم يأت بسيء منها بل يثاب على ما فعل ويعاقب على ما ترك وإنما يؤمر بالإعادة لدفع عقوبة ما ترك وترك الواجب سبب للعقاب فإذا كان يعاقب على ترك البعض لزمه أن يفعلها فإن كان له جبران أو أمكن فعله وحده وإلا فعله مع غيره فإنه لا يمكن فعله مفرداً.

فإن قيل فإذا لم يكن فعله مفرداً طاعة لم يثب عليه أولاً.

قيل هو أولى فعله ولم يكن يعلم أنه لا يجوز أو كان ساهياً كالذي يصلي بلا وضوء أو يسهو عن القراءة والسجود المفروض فيثاب على ما فعل ولا يعاقب بنسيانه وخطئه لكن يؤمر بالإعادة لأنه لم يفعل

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب الرجل يصلى وحده خلف الصف، والترمذي، كتب الصلاة، باب ما جاء في الصلاة خلف الصف وحده وحسنه، وابن ماجة، كتاب إقامة الصلاة والسنة، باب صلاة الرجل خلف الصف وحده، من حديث وابصة بن معبد رضي الله عنه، وصححه ابن حبان.

(٢) رواه ابن ماجة، كتاب إقامة الصلاة والسنة، باب صلاة الرجل خلف الصف وحده، من حديث علي بن شيبان رضي الله عنه.
قال الأثرم عن أحمد: هو حديث حسن.
وقال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح ورجال ثقات.
وانظر للزيادة: تلخيص الحبير للحافظ ابن حجر (٢/ ١٥٤ ـ شاملة).

ما أمر به أولاً كالنائم إذا استيقظ في الوقت فإنه يؤمر بالصلاة لأنها واجبة عليه في وقتها إذا أمكن وإلا صلاها أي وقت استيقظ، فإنه حينئذ يؤمر بها وأما إذا أمر بالإعادة فقد علم أنه لا يجوز فعل ذلك مفرداً فلا يؤمر به مفرداً.

فإن قيل فلو تعمد أن يفعلها مع ترك الواجبات التي يعلم وجوبها قيل هذا مستحق للعقاب فإنه عاص بهذا الفعل وهذا قد يكون إثمه كإثم التارك وإن قدر أن هذا قد يثاب فإنه لا يثاب عليه ثواب من فعله مع غيره كما أمر به بل أكثر ما يقال إن له عليه ثواباً بحسبه لكن الذي يعرف أنه إذا لم يكن يعرف أن هذا واجب أو منهي عنه فإنه يثاب على ما فعله قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، والقرآن وذكر الله ودعاؤه خير وإلا فالمسلم لا يصلي إلى غير قبلة أو بغير وضوء أو ركوع أو سجود ومن فعل ذلك كان مستحقاً للذم والعقاب ومع هذا فقد يمكن إذا فعل ذلك مع اعترافه بأنه مذنب لا على طريق الاستهانة والاستهزاء والاستخفاف بل على طريق الكسل أن يثاب على ما فعله كمن ترك واجبات الحج المجبورة بدم لكن لا يكون ثوابه كما إذا فعل ذلك مع غيره على الوجه المأمور به». اهـ.

١٤٣ ـ هل يُحْتَاج لكتب أهل الكلام؟

(٥/ ٢٨٣): «والمقصود أن كتب أهل الكلام يستفاد منها رد بعضهم على بعض وهذا لا يحتاج إليه من لا يحتاج إلى رد المقالة الباطلة لكونها لم تخطر بقلبه ولا هناك من يخاطبه بها ولا يطالع كتاباً هي فيه ولا ينتفع به من لم يفهم الرد بل قد يستضر به من عرف الشبهة ولم يعرف فسادها». . اهـ.

١٤٤ ـ من تلفظ بنية الصلاة والصيام، فحاله كحال من أراد أن يأكل فقال: نويت أن أمدّ يدي لآخذ لقمة آكلها، ثم أراد أن يشرب فقال: نويت أن أمدّ يدي إلى القدح لأشرب ماء:

(٥/٣٩٨ ـ ٣٩٩): «والإنسان قد يكون في قلبه معارف وإرادات ولا يدري أنها في قلبه فوجود الشيء في القلب شيء والدراية به شيء آخر.

ولهذا يوجد الواحد من هؤلاء يطلب تحصيل ذلك في قلبه وهو حاصل في قلبه فتراه يتعب تعباً كثيراً لجهله وهذا كالموسوس في الصلاة فإن كل من فعل فعلاً باختياره وهو يعلم ما يفعله فلا بد أن ينويه ووجود ذلك بدون النية التي هي الإرادة ممتنع.

فمن كان يعلم أنه يقوم إلى الصلاة فهو يريد الصلاة ولا يتصور أن يصلي إلا وهو يريد الصلاة فطلب مثل هذا لتحصيل النية من جهله بحقيقة النية ووجودها في نفسه.

وكذلك من كان يعلم أن غداً من رمضان وهو مسلم يعتقد وجوب الصوم وهو مريد للصوم فهذا نية الصوم وهو حين يتعشى يتعشى عشاء من يريد الصوم.

ولهذا يفرق بين عشاء ليلة العيد وعشاء ليالي شهر رمضان فليلة العيد يعلم أنه لا يصوم فلا يريد الصوم ولا ينويه ولا يتعشى عشاء من يريد الصوم وهذا مثل الذي يأكل ويشرب ويمشي ويركب ويلبس إذا كان يعلم أنه يفعل هذه الأفعال فلا بد أن يريدها وهذه نيتها فلو قال بلسانه أريد أن أضع يدي في هذا الإناء لآخذ لقمة آكلها كان أحمق عند الناس فهكذا من يتكلم بمثل هذه الألفاظ في نية الصلاة والطهارة والصيام». اهـ.

١٤٥ - إذا أفتى الصحابي بأمر والسنة بخلافه ولم تبلغهم السنة كانوا مثابين على اجتهادهم ولهم أجر على ذلك ومن أصاب فله أجران:

بعض المسائل التي اجتهد فيها علي ﷺ وخالف فيها السنة وهو مثاب على اجتهاده:

(٦/ ٢٧ - ٢٩): «وهكذا سائر أهل الاجتهاد من الصحابة ﷺ إذا اجتهدوا فأفتوا وقضوا وحكموا بأمر والسنة بخلافه ولم تبلغهم السنة كانوا مثابين على اجتهادهم مطيعين لله ورسوله فيما فعلوه من الاجتهاد بحسب استطاعتهم ولهم أجر على ذلك ومن اجتهد منهم وأصاب فله أجران.

والناس متنازعون هل يقال كل مجتهد مصيب؟ أم المصيب واحد؟.

وفصل الخطاب أنه إن أريد بالمصيب المطيع لله ورسوله فكل مجتهد أتقى الله ما استطاع فهو مطيع لله ورسوله فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها وهذا عاجز عن معرفة الحق في نفس الأمر فسقط عنه.

وإن عنى بالمصيب العالم بحكم الله في نفس الأمر فالمصيب ليس إلا واحداً فإن الحق في نفس الأمر واحد وهذا كالمجتهدين في القبلة إذا أفضى اجتهاد كل واحد منهم إلى جهة فكل منهم مطيع لله ورسوله والفرض ساقط عنه بصلاته إلى الجهة التي اعتقد أنها الكعبة ولكن العالم بالكعبة المصلي إليها في نفس الأمر واحد وهذا قد فضله الله بالعلم والقدرة على معرفة الصواب والعمل به فأجره أعظم كما أن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف[1] وفي كل خير» رواه مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ.

---

(١) رواه مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز. .، من حديث أبي هريرة ﷺ.

وكذلك قضى علي رضي الله عنه في المفوضة بأن مهرها يسقط بالموت مع قضاء النبي ﷺ في بروع بنت واشق بأن لها مهر نسائها»[1].

وكذلك طلبه نكاح بنت أبي جهل حتى غضب النبي ﷺ فرجع عن ذلك»[2]، وقوله لما ندبه وفاطمة النبي ﷺ إلى الصلاة بالليل فاحتج بالقدر لما قال: **ألا تصليان** فقال عليّ: إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا فولى النبي ﷺ وهو يضرب فخذه ويقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾[3]. . اهـ.

١٤٦ ـ الجنون نوعان:

(١) جنون مطلق.

(٢) وجنون خانق (وهو الأغلب):

(٦/ ٥٠): «وأيضا فكثير من المجانين أو أكثرهم يكون له حال إفاقة وعقل فلعل عمر ظن أنها زنت في حال عقلها وإفاقتها ولفظ المجنون يقال على من به الجنون المطبق والجنون الخانق ولهذا يقسم الفقهاء المجنون إلى هذين النوعين والجنون المطبق قليل والغالب هو الخانق». . اهـ.

---

(١) ذكر القصة الحافظ ابن حجر في الإصابة (٤/ ٢٤٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في المهر عند عقدة النكاح، وكتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب ذكر أصهار النبي ﷺ منهم أبو العاص بن الربيع، وكتاب النكاح، باب ذب الرجل عن ابنته في الغيرة والإنصاف.
ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة، من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، سورة الكهف وكتاب التهجد، باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

١٤٧ ـ لما تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز أراد أن يسير على سيرته ولكن!

(٦/ ٢٠٠): «ولما تولى عمر بن عبد العزيز أظهر من السنة والعدل ما كان قد خفي ثم مات فطلب يزيد بن عبد الملك أن يسير سيرته فجاء إليه عشرون شيخاً من شيوخ الشيعة العثمانية فحلفوا له بالله الذي لا إله إلا هو أن الله إذا استخلف خليفة تقبل منه الحسنات وتجاوز له عن السيئات حتى أمسك عن مثل طريقة عمر بن عبد العزيز». . اهـ.

١٤٨ ـ عشرة أشياء مكفرات للذنوب:

(٦/ ٢٠٥ ـ ٢٣٩): «فإن الذنوب مطلقاً من جميع المؤمنين هي سبب العذاب لكن العقوبة بها في الآخرة في جهنم تندفع بنحو عشرة أسباب:

السبب الأول: التوبة فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوبة مقبولة من جميع الذنوب الكفر والفسوق والعصيان قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة: ٧٣ ـ ٧٤] وقال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ [البروج: ١٠]، قال الحسن البصري انظروا إلى هذا الكرم والجود فتنوا أولياءه وعذبوهم بالنار ثم هو يدعوهم إلى التوبة والتوبة عامة لكل عبد مؤمن كما قال تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢ ـ ٧٣].

وقد أخبر الله في كتابه عن توبة أنبيائه ودعائهم بالتوبة كقوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ [البقرة: ٣٧]، وقول إبراهيم وإسماعيل ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨﴾ [البقرة: ١٢٨] وقال موسى: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ١٥٥ ۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٥٥، ١٥٦]، وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦] وقوله ﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وكذلك ما ذكره في قصة داود وسليمان وغيرهما.

وأما المأثور عن النبي ﷺ من ذلك فكثير مشهور وأصحابه كانوا أفضل قرون الأمة فهم أعرف القرون بالله وأشدهم له خشية وكانوا أقوم الناس بالتوبة في حياته وبعد مماته فمن ذكر ما عيب عليهم ولم يذكر توبتهم التي بها رفع الله درجتهم كان ظالماً لهم كما جرى من بعضهم يوم الحديبية وقد تابوا منه مع أنه كان قصدهم الخير وكذلك قصة حاطب بن أبي بلتعة تاب منها بل زانيهم كان يتوب توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له كما تاب ماعز بن مالك وأتى إلى النبي ﷺ حتى طهره بإقامة الحد عليه(١). وكذلك الغامدية بعده، وكذلك كانوا زمن عمر وغيره إذا شرب

(١) عن بريدة رضي الله عنه قال: جاء ماعز بن مالك إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله طهرني. فقال: «ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه». قال: فرجع غير بعيد ثم جاء فقال: يا رسول الله طهرني. فقال رسول الله ﷺ: «ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه». قال فرجع غير بعيد ثم جاء فقال: يا رسول الله طهرني. فقال النبي ﷺ مثل ذلك حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله ﷺ: «فيم أطهرك؟» فقال: من الزنى. فسأل رسول الله ﷺ: «أبه جنون؟». فأخبر أنه ليس بمجنون. فقال: «أشرب خمراً؟». فقام رجل فاستنكهه فلم يجد منه ريح خمر. قال فقال رسول الله ﷺ: «أزنيت؟». فقال: نعم. فأمر به فرجم فكان الناس فيه =

أحدهم الخمر أتى إلى أميره فقال طهرني وأقم على الحد فهذا فعل من يأتي الكبيرة منهم حين يعلمها حراماً فكيف إذا أتى أحدهم الصغيرة أو ذنباً تأول فيه ثم تبين له خطؤه وعثمان بن عفان رضي الله عنه تاب توبة ظاهرة من الأمور التي صاروا ينكرونها ويظهر له أنها منكر وهذا مأثور مشهور عنه رضي الله عنه وأرضاه وكذلك عائشة رضي الله عنها ندمت على مسيرها إلى البصرة وكانت إذا ذكرته تبكي حتى تبل خمارها وكذلك طلحة ندم على ما ظن من تفريطه في نصر عثمان وعلي غير ذلك والزبير ندم على مسيره يوم الجمل.

وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ندم على أمور فعلها من القتال وغيره وكان يقول لقد عجزت عجزة لا أعتذر سوف أكيس بعدها وأستمر وأجمع الرأي الشتيت المنتشر وكان يقول ليالي صفين لله در مقام قامه عبد الله بن عمر وسعد بن مالك إن كان براً إن أجره لعظيم وإن كان إثماً إن خطره ليسير.

= فرقتين قائل يقول لقد هلك لقد أحاطت به خطيئته وقائل يقول ما توبة أفضل من توبة ماعز أنه جاء إلى النبي ﷺ فوضع يده في يده ثم قال: اقتلني بالحجارة قال: فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة ثم جاء رسول الله ﷺ وهم جلوس فسلم ثم جلس فقال: «استغفروا لماعز بن مالك». قال: فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك، قال: فقال رسول الله ﷺ: «لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم». قال ثم جاءته امرأة من غامد من الأزد فقالت: يا رسول الله طهرني، فقال: «ويحك ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه». فقالت: أراك تريد أن ترددني كما رددت ماعز بن مالك، قال: «وما ذاك؟» قالت إنها حبلى من الزنا، فقال: «آنت». قالت: نعم. فقال لها: «حتى تضعي ما في بطنك». قال: فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت قال فأتى النبي ﷺ فقال: قد وضعت الغامدية. فقال: «إذاً لا نرجمها وندع ولدها صغيراً ليس له من يرضعه»، فقام رجل من الأنصار فقال إلي رضاعه يا نبي الله! قال: فرجمها.

رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا.

وكان يقول يا حسن يا حسن ما ظن أبوك أن الأمر يبلغ إلى هذا ود أبوك لو مات قبل هذا بعشرين سنة ولما رجع من صفين تغير كلامه.

وكان يقول: «لا تكرهوا إمارة معاوية فلو قد فقدتموه لرأيتم الرؤوس تتطاير عن كواهلها».

وقد روى هذا عن علي ﷺ من وجهين أو ثلاثة وتواترت الآثار بكراهته الأحوال في آخر الأمر ورؤيته اختلاف الناس وتفرقهم وكثرة الشر الذي أوجب أنه لو استقبل من أمره ما استدبر ما فعل ما فعل وبالجملة ليس علينا أن نعرف كل واحد تاب ولكن نحن نعلم أن التوبة مشروعة لكل عبد للأنبياء ولمن دونهم وأن الله سبحانه يرفع عبده بالتوبة وإذا ابتلاه بما يتوب منه.

فالمقصود كمال النهاية لا نقص البداية فإنه تعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين وهو يبدل بالتوبة السيئات حسنات.

والذنب مع التوبة يوجب لصاحبه من العبودية والخشوع والتواضع والدعاء وغير ذلك ما لم يكن يحصل قبل ذلك.

ولهذا قال طائفة من السلف «إن العبد ليفعل الذنب فيدخل به الجنة ويفعل الحسنة فيدخل بها النار يفعل الذنب فلا يزال نصب عينيه إذا ذكره تاب إلى الله ودعاه وخشع له فيدخل به الجنة ويفعل الحسنة فيعجب بها فيدخل النار».

وفي الأثر «لو لم تذنبوا لخفت عليكم ما هو أعظم من الذنب وهو العجب»[(١)] وفي أثر آخر «لو لم تكن التوبة أحب الأشياء إليه لما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه».

---

(١) قال العراقي في تخريج الإحياء: أخرجه البزار وابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث أنس وفيه سلام بن أبي الصهباء قال البخاري منكر الحديث.

وفي أثر آخر «يقول الله تعالى أهل ذكري أهل مجالستي وأهل شكري أهل زيادتي وأهل طاعتي أهل كرامتي وأهل معصيتي لا أُقنطهم من رحمتي إن تابوا فأنا حبيبهم فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب والتائب»[1] حبيب الله سواء كان شاباً أو شيخاً.

السبب الثاني الاستغفار فإن الاستغفار هو طلب المغفرة وهو من جنس الدعاء والسؤال وهو مقرون بالتوبة في الغالب ومأمور به لكن قد يتوب الإنسان ولا يدعو وقد يدعو ولا يتوب وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: «**أذنب عبد ذنباً فقال اللّهم اغفر لي ذنبي فقال الله تبارك وتعالى أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال أي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى عبدي أذنب ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال أي رب اغفر لي ذنبي فقال تعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب قد غفرت لعبدي** وفي رواية لمسلم **فليفعل ما شاء**»[2].

والتوبة تمحو جميع السيئات وليس شيء يغفر جميع الذنوب إلا التوبة فإن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وأما التوبة فإنه قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣] وهذه لمن تاب ولهذا قال ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ بل توبوا إليه وقال

---

(١) قال الشيخ الألباني في السلسة الضعيفة (٩/ ٣٨٢): عليه لوائح الإسرائيليات.

(٢) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، ومسلم، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بعدها ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزمر: ٥٤].

وأما الاستغفار بدون التوبة فهذا لا يستلزم المغفرة ولكن هو سبب من الأسباب.

السبب الثالث: الأعمال الصالحة فإن الله تعالى يقول ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤].

وقال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل يوصيه: **«يا معاذ اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن»**[(١)].

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: **«الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»**[(٢)] أخرجاه في الصحيحين.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ: **«من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»**[(٣)]، وقال: **«من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»**[(٤)].

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣٦/ ٣١٢) بهذا اللفظ من حديث معاذ رضي الله عنه، ورواه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) لم أجده في البخاري، وهو في صحيح مسلم، كتاب الطهارة، الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر.. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب صوم رمضان إيماناً واحتساباً من الإيمان، وكتب الصوم، باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً، وكتاب فضل ليلة القدر، باب فضل ليلة القدر، ومسلم، كتاب المسافرين، باب الترغيب في قيام رمضان..، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، ومسلم، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة يوم عرفة، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال: «**أرأيتم لو أن بباب أحدكم نهراً غمراً يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل كان يبقى من درنه شيء قالوا: لا، قال: كذلك الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا كما يمحو الماء الدرن**»[١] وهذا كله في الصحيح.

وقال: «**الصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار**»[٢] رواه الترمذي وصححه وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٢﴾ [الصف: ١٠ ـ ١٢].

وفي الصحيح «**يغفر للشهيد كل شيء إلا الدَّين**»[٣] وما روى «**أن شهيد البحر يغفر له الدين**»[٤] فإسناده ضعيف والدين حق لآدمي فلابد من استيفائه.

---

(١) رواه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة ومسلم، كتاب كتاب المساجد، باب المشي إلى الصلاة...

(٢) رواه الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٣) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله...، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٤) عن سليم بن عامر قال سمعت أبا أمامة يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: «شهيد البحر مثل شهيد البر والمائد في البحر كالمتشحط في دمه في البر وما بين الموجتين كقاطع الدنيا في طاعة الله وإن الله ﷻ وكَّل ملك الموت بقبض الأرواح إلا شهيد البحر فإنه يتولى قبض أرواحهم ويغفر لشهيد البر الذنوب كلها إلا الدين ولشهيد البحر الذنوب والدين».
رواه ابن ماجة، كتاب الجهاد، باب فضل غزو البحر، وصرح الشيخ الألباني «بوضعه» كما في السلسلة الضعيفة (٢/ ٢٢٢).

وفي الصحيح «**صوم يوم عرفة كفارة سنتين وصوم يوم عاشوراء كفارة سنة**»[1] ومثل هذه النصوص كثير وشرح هذه الأحاديث يحتاج إلى بسط كثير.

فإن الإنسان قد يقول إذا كفر عني بالصلوات الخمس فأي شيء تكفر عني الجمعة أو رمضان وكذلك صوم يوم عرفة وعاشوراء وبعض الناس يجيب عن هذا بأنه يكتب لهم درجات إذا لم تجد ما تكفره من السيئات.

فيقال أولاً العمل الذي يمحو الله به الخطايا ويكفر به السيئات هو العمل المقبول.

والله تعالى إنما يتقبل من المتقين.

والناس لهم في هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] ثلاثة أقوال طرفان ووسط فالخوارج والمعتزلة يقولون لا يتقبل الله إلا ممن اتقى الكبائر وعندهم صاحب الكبيرة لا يقبل منه حسنة بحال.

والمرجئة يقولون من اتقى الشرك.

والسلف والأئمة يقولون لا يتقبل إلا ممن اتقاه في ذلك العمل ففعله كما أمر به خالصاً لوجه الله تعالى.

قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧، تبارك: ٢]، قال أخلصه وأصوبه قيل يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه قال إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة».

---

(١) رواه مسلم، كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر..، من حديث أبي قتادة الأنصاري ﷺ.

فصاحب الكبائر إذا اتقى الله في عمل من الأعمال تقبل الله منه ومن هو أفضل منه إذا لم يتق الله في عمل لم يتقبله منه وإن تقبل منه عملاً آخر وإذا كان الله يتقبل ممن يعمل العمل على الوجه المأمور به.

ففي السنن عن عمار عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن العبد لينصرف عن صلاته ولم يكتب له منها إلا نصفها إلا ثلثها إلا ربعها حتى قال إلا عشرها»**[1].

وقال ابن عباس: «ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها».

وفي الحديث **«رب صائم حظه من صيامه العطش ورب قائم حظه من قيامه السهر»**[2] وكذلك الحج والجهاد وغيرهما.

وفي حديث معاذ موقوفاً ومرفوعاً وهو في السنن **«الغزو غزوان فغزو يبتغى به وجه الله ويطاع فيه الأمير وتنفق فيه كرائم الأموال وبياسر فيه الشريك ويجتنب فيه الفساد ويتقى فيه الغلول فذلك الذي لا يعدله شيء وغزو لا يبتغى به وجه الله ولا يطاع فيه الأمير ولا تنفق فيه كرائم الأموال ولا يياسر فيه الشريك ولا يجتنب فيه الفساد ولا يتقى فيه الغلول فذاك حسب صاحبه أن يرجع كفافاً»**[3].

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما جاء في نقصان الصلاة من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما. والحديث حسنه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢/ ٦٥).

(٢) رواه أحمد في المسند (١٤/ ٤٤٥)، وابن ماجة في السنن، كتاب الصيام، باب ما جاء في الغيبة والرفث للصائم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
والحديث صححه الشيخ أحمد شاكر والشيخ الألباني رحمهما الله.

(٣) رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب فيمن يغزو ويلتمس الدنيا، والنسائي، كتاب الجهاد، باب فضل الصدقة في سبيل الله ﷻ. من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.
وحسنه الشيخ الألباني كما في الصحيحة رقم (١٩٩).

وقيل لبعض السلف «الحاج كثير فقال الداج كثير والحاج قليل» ومثل هذا كثير فالمحو والتكفير يقع بما يتقبل من الأعمال وأكثر الناس يقصرون في الحسنات حتى في نفس صلاتهم فالسعيد منهم من يكتب له نصفها وهم يفعلون السيئات كثيراً فلهذا يكفر بما يقبل من الصلوات الخمس شيء وبما يقبل من الجمعة شيء وبما يقبل من صيام رمضان شيء آخر وكذلك سائر الأعمال وليس كل حسنة تمحو كل سيئة بل المحو يكون للصغائر تارة ويكون للكبائر تارة باعتبار الموازنة.

والنوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمل فيه إخلاصه وعبوديته لله فيغفر الله له به كبائر كما في الترمذي وابن ماجه وغيرهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال **«يصاح برجلٍ من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق فينشر عليه تسعة وتسعون سجلاً كل سجل منها مد البصر فيقال هل تنكر من هذا شيئاً فيقول: لا يا رب فيقول: لا ظلم عليك فتخرج له بطاقة قدر الكف فيها شهادة أن لا إله إلا الله فيقول: أين تقع هذه البطاقة مع هذه السجلات فتوضع هذه البطاقة في كفة والسجلات في كفة فثقلت البطاقة وطاشت السجلات»**[١].

فهذه حال من قالها بإخلاص وصدق كما قالها هذا الشخص وإلا فأهل الكبائر الذين دخلواالنار كلهم كانوا يقولون لا إله إلا الله ولم يترجح قولهم على سيئاتهم كما ترجم قول صاحب البطاقة.

وكذلك في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: **«بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه فيها العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه حتى**

---

(١) تقدم تخريجه وسياقه بلفظه، فائدة رقم (٧٤).

رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له»[1].

وفي لفظ في الصحيحين: **«إن امرأة بغياً رأت كلباً في يوم حار يطيف ببئر قد أدلع لسانه من العطش فنزعت له موقها فسقته به فغفر لها»**.

وفي لفظ في الصحيحين أنها كانت بغياً من بغايا بني إسرائيل.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«بينما رجل يمشي في طريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له فغفر له»**[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«دخلت امرأة النار في هرة ربطتها لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت»**[3].

فهذه سقط الكلب بإيمان خالص كان في قلبها فغفر لها وإلا فليس كل ما بغى سقت كلباً يغفر لها وكذلك هذا الذي نحى غصن الشوك عن الطريق فعله إذ ذاك بإيمان خالص وإخلاص قائم بقلبه فغفر له بذلك.

فإن الأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان

---

(١) رواه البخاري، كتاب الشرب والمساقاة، باب فضل سقي الماء، وكتاب المظالم، باب الآبار على الطرق إذا لم يتأذ بها، ومسلم، كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب فضل التهجير إلى الظهر، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم تعذيب الهرة ونحوها. .، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

والإخلاص وإن الرجلين ليكون مقامهما في الصف واحداً وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض وليس كل من نحى غصن شوك عن الطريق يغفر له.

قال الله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧] فالناس يشتركون في الهدايا والضحايا والله لا يناله الدم المهراق ولا اللحم المأكول والتصدق به لكن يناله تقوى القلوب.

وفي الأثر أن الرجلين ليكون مقامهما في الصف واحداً وبين صلاتيهما كما بين المشرق والمغرب(١).

فإذا عرف أن الأعمال الظاهرة يعظم قدرها ويصغر قدرها بما في القلوب وما في القلوب يتفاضل لا يعرف مقادير ما في القلوب من الإيمان إلا الله عرف الإنسان أن ما قاله الرسول كله حق ولم يضرب بعضه ببعض وقد قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون: ٦٠].

وفي الترمذي وغيره عن عائشة ﵂ قالت: «يا رسول الله أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر ويخاف أن يعاقب قال: **لا يا ابنة الصديق بل هو الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يتقبل منه**»(٢).

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تسبوا أصحابي**

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد رقم (٩٦) عن حسان بن عطية بلفظ: «إن الرجلين ليكونان في صلاة واحدة وإن بينهما من الفضل لكما بين السماء والأرض ثم فسر ذلك أن أحدهما يكون مقبلاً على الله بقلبه والآخر ساهٍ غافل».

(٢) رواه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المؤمنون، وابن ماجة، كتاب الزهد، باب التوقي على العمل، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢٧) وصححه ووافقه الذهبي. انظر: السلسلة الصحيحة (١/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦).

فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[1] وذلك أن الإيمان الذي كان في قلوبهم حين الإنفاق في أول الإسلام وقله أهله وكثرة الصوارف عنه وضعف الدواعي إليه لا يمكن أحداً أن يحصل له مثله ممن بعدهم وهذا يعرف بعضه من ذاق الأمور وعرف المحن والابتلاء الذي يحصل للناس وما يحصل للقلوب من الأحوال المختلفة وهذا مما يعرف به أنا أبا بكر ﷺ لن يكون أحد مثله فإن اليقين والإيمان الذي كان في قلبه لا يساويه فيه أحد.

قال أبو بكر بن عياش: ما سبقهم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بشيء وقر في قلبه.

وهكذا سائر الصحابة حصل لهم بصحبتهم للرسول مؤمنين به مجاهدين معه إيمان ويقين لم يشركهم فيه من بعدهم.

وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي موسى عن النبي ﷺ «أنه رفع رأسه إلى السماء وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء فقال: **النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهبت أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»**[2].

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: **«ليأتين على الناس زمان يغزو فيه فئام من الناس فيقال: هل فيكم من صحب رسول الله ﷺ فيقال: نعم فيفتح لهم وفي لفظ هل فيكم من رأى رسول الله ﷺ فيقولون: نعم فيفتح لهم ثم يأتي على الناس زمان يغزو فيه فئام من الناس فيقال: هل**

---

(١) رواه البخاري، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً»، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة..، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٢) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب بيان بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه.

فيكم من صحب أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون نعم فيفتح لهم»[1] هذا لفظ بعض الطرق والثلاث الطبقات متفق عليها في جميع الطرق وأما الطبقة الرابعة فهي مذكورة في بعضها.

وقد ثبت ثناء النبي ﷺ على القرون الثلاثة في عدة أحاديث صحيحة من حديث ابن مسعود وعمران بن حصين يقول فيها خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ويشك بعض الرواة هل ذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة.

والمقصود أن فضل الأعمال وثوابها ليس لمجرد صورها الظاهرة بل لحقائقها التي في القلوب والناس يتفاضلون ذلك تفاضلاً عظيماً وهذا مما يحتج به من رجح كل واحد من الصحابة على كل واحد ممن بعدهم فإن العلماء متفقون على أن جملة الصحابة أفضل من جملة التابعين لكن هل يفضل كل واحد من الصحابة على كل واحد ممن بعدهم ويفضل معاوية على عمر بن عبد العزيز؟

ذكر القاضي عياض وغيره في ذلك قولين وأن الأكثرين يفضلون كل واحد من الصحابة وهذا مأثور عن ابن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهما ومن حجة هؤلاء أن أعمال التابعين وإن كانت أكثر وعدل عمر بن عبد العزيز أظهر من عدل معاوية وهو أزهد من معاوية لكن الفضائل عند الله بحقائق الإيمان الذي في القلوب.

وقد قال النبي ﷺ: **«لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»**.

قالوا: فنحن قد نعلم أن أعمال بعض من بعدهم أكثر من أعمال

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب من استعان بالضعفاء والصالحين، وكتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم..، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

بعضهم لكن من أين نعلم أن ما في قلبه من الإيمان أعظم مما في قلب ذلك والنبي ﷺ يخبر أن جبل ذهب من الذين أسلموا بعد الحديبية لا يساوي نصف مد من السابقين.

ومعلوم فضل النفع المتعدى بعمر بن عبد العزيز أعطى الناس حقوقهم وعدل فيهم فلو قدر أن الذي أعطاهم ملكه وقد تصدق به عليهم لم يعدل ذلك مما أنفقه السابقون إلا شيئاً يسيراً وأين مثل جبل أحد ذهبا حتى ينفقه الإنسان وهو لا يصير مثل نصف مد. ولهذا يقول من يقول من السلف «غبار دخل في أنف معاوية مع رسول الله ﷺ أفضل من عمل عمر بن عبد العزيز».

وهذه المسألة تحتاج إلى بسط وتحقيق ليس هذا موضعه.

إذ المقصود هنا أن الله سبحانه مما يمحو به السيئات الحسنات وأن الحسنات تتفاضل بحسب ما في قلب صاحبها من الإيمان والتقوى وحينئذ فيعرف أن من هو دون الصحابة قد تكون له حسنات تمحو مثل ما يذم من أحدهم فكيف الصحابة.

السبب الرابع: **الدعاء للمؤمنين**: فإن صلاة المسلمين على الميت ودعاءهم له من أسباب المغفرة وكذلك دعاؤهم واستغفارهم في غير صلاة الجنازة والصحابة ما زال المسلمون يدعون لهم.

السبب الخامس: دعاء النبي ﷺ واستغفاره في حياته وبعد مماته كشفاعته يوم القيامة فإنهم أخص الناس بدعائه وشفاعته في محياه ومماته.

السبب السادس: ما يفعل بعد الموت من عمل صالح يهدي له مثل من يتصدق عنه ويحج عنه ويصوم عنه فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن ذلك يصل إلى الميت وينفعه وهذا غير دعاء ولده فإن ذلك من عمله قال النبي ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية**

أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»[1] رواه مسلم فولده من كسبه ودعاؤه محسوب من عمله بخلاف دعاء غير الولد فإنه ليس محسوباً من عمله والله ينفعه به.

السبب السابع: المصائب الدنيوية التي يكفر الله بها الخطايا كما في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال **«ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا غم ولا هم ولا حزن ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه»**[2].

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: **«مثل المؤمن مثل الخامة من الزرع تفيئها الرياح تقومها تارة وتميلها أخرى، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرزة لا تزال ثابتة على أصلها حتى يكون انجعافها مرة واحدة»**[3]، وهذا المعنى متواتر عن النبي ﷺ في أحاديث كثيرة.

والصحابة رضوان الله عليهم كانوا يبتلون بالمصائب الخاصة وابتلوا بمصائب مشتركة كالمصائب التي حصلت في الفتن ولو لم يكن إلا أن كثيراً منهم قتلوا والأحياء أصيبوا بأهليهم وأقاربهم وهذا أصيب في ماله وهذا أصيب بجراحته وهذا أصيب بذهاب ولايته وعزه إلى غير ذلك، فهذه كلها مما يكفر الله بها ذنوب المؤمنين من غير الصحابة فكيف الصحابة وهذا مما لا بد منه وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه

---

(١) رواه مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم بلفظ قريبٍ منه، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة، ومسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب مثل المؤمن كالزرع ومثل الكافر كشجر الأرز، من حديث أبي هريرة وكعب بن مالك رضي الله عنهما.

قال: **«سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا يهلك أمتي بسنة عامة فأعطانيها وسألته أن لايسلط عليهم عدواً من غيرهم فيجتاحهم فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها»**(١).

وفي الصحيح عن النبي ﷺ إنه لما نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال النبي ﷺ: **«أعوذ بوجهك** ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال النبي ﷺ: **أعوذ بوجهك** ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال: **هذا أهون وأيسر»**(٢).

فهذا أمر لا بد منه للأمة عموماً والصحابة ﷺ كانوا أقل فتناً من سائر من بعدهم فإنه كلما تأخر العصر عن النبوة كثر التفرق والخلاف.

ولهذا لم تحدث في خلافة عثمان بدعة ظاهرة فلما قتل وتفرق الناس حدثت بدعتان متقابلتان بدعة الخوارج المكفرين لعلي وبدعة الرافضة المدعين لإمامته وعصمته أو نبوته أو لإلهيته.

ثم لما كان في آخر عصر الصحابة في إمارة ابن الزبير وعبد الملك حدثت بدعة المرجئة والقدر به ثم لما كان في أول عصر التابعين في أواخر الخلافة الأموية حدثت بدعة الجهمية المعطلة والمشبهة الممثلة ولم يكن على عهد الصحابة شيء من ذلك وكذلك فتن السيف فإن الناس كانوا في ولاية معاوية ﷺ متفقين يغزون العدو فلما مات معاوية قتل الحسين وحوصر ابن الزبير بمكة ثم جرت فتنة الحرة بالمدينة.

ثم لما مات يزيد جرت فتنة بالشام بين مروان والضحاك بمرج راهط ثم وثب المختار على ابن زياد فقتله وجرت فتنة ثم جاء مصعب بن

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، من حديث ثوبان وسعد بن أبي وقاص ﷺ.

(٢) رواه البخاري، كتاب التفسير، سورة الأنعام، قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ﴾ من حديث جابر بن عبد الله ﷺ.

الزبير فقتل المختار وجرت فتنة ثم ذهب عبد الملك إلى مصعب فقتله وجرت فتنة وأرسل الحجاج إلى ابن الزبير فحاصره مدة ثم قتله وجرت فتنة ثم لما تولى الحجاج العراق خرج عليه ابن الأشعث مع خلق عظيم من العراق وكانت فتنة كبيرة فهذا كله بعد موت معاوية ثم جرت فتنة ابن المهلب بخراسان وقتل زيد بن علي بالكوفة وقتل خلق كثير آخرون ثم قام أبو مسلم وغيره بخراسان وجرت حروب وفتن يطول وصفها ثم هلم جرا فلم يكن من ملوك المسلمين ملك خير من معاوية ولا كان الناس في زمان ملك من الملوك خيراً منهم في زمن معاوية إذا نسبت أيامه إلى أيام من بعده وأما إذا نسبت إلى أيام أبي بكر وعمر ظهر التفاضل.

وقد روى أبو بكر الأثرم ورواه ابن بطة من طريقه حدثنا محمد بن عمرو بن جبلة حدثنا محمد بن مروان عن يونس عن قتادة قال: لو أصبحتم في مثل عمل معاوية لقال أكثركم هذا المهدي.

وكذلك رواه ابن بطة بإسناده الثابت من وجهين عن الأعمش عن مجاهد قال: «لو أدركتم معاوية لقلتم هذا المهدي».

ورواه الأثرم حدثنا محمد بن حواش حدثنا أبو هريرة المكتب قال كنا عند الأعمش فذكروا عمر بن عبد العزيز وعدله فقال الأعمش: فكيف لو أدركتم معاوية قالوا: في حلمه قال: لا والله بل في عدله.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي إسحاق قال: لما قدم معاوية فرض للناس على أعطية آبائهم حتى انتهى إلي فأعطاني ثلثمائة درهم.

وقال عبد الله أخبرنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة ثنا الثقفي عن أبي إسحاق يعني السبيعي أنه ذكر معاوية فقال: لو أدركتموه أو أدركتم أيامه لقلتم: كان المهدي، وروى الأثرم حدثنا محمد بن العلاء عن أبي بكر بن عياش عن أبي إسحاق قال: ما رأيت بعده مثله يعني معاوية.

وقال البغوي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا ضمام بن إسماعيل عن أبي قيس قال كان معاوية قد جعل في كل قبيل رجلاً وكان رجل منا يكنى أبا يحيى يصبح كل يوم فيدور على المجالس هل ولد فيكم الليلة ولد هل حدث الليلة حدث هل نزل اليوم بكم نازل قال فيقولون نعم نزل رجل من أهل اليمن بعياله يسمونه وعياله فإذا فرغ من القبيل كله أتى الديوان فأوقع أسماءهم في الديوان.

وروى محمد بن عوف الطائي حدثنا أبو المغيرة حدثنا ابن أبي مريم عن عطية بن قيس قال سمعت معاوية بن أبي سفيان يخطبنا يقول إن في بيت مالكم فضلاً بعد أعطياتكم وإني قاسمه بينكم فإن كان يأتينا فضل عاماً قابلاً قسمناه عليكم وإلا فلا عتبة علي فإنه ليس بمالي وإنما هو مال الله الذي أفاء عليكم.

وفضائل معاوية في حسن السيرة والعدل والإحسان كثيرة.

وفي الصحيح أن رجلا قال لابن عباس: هل لك في أمير المؤمنين معاوية إنه أوتر بركعة! قال: أصاب إنه فقيه(١).

وروى البغوي في معجمه بإسناده ورواه ابن بطة من وجه آخر كلاهما عن سعيد بن عبد العزيز عن إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر عن قيس بن الحارث عن الصنابحي عن أبي الدرداء قال: «ما رأيت أحداً أشبه صلاة بصلاة رسول الله ﷺ من إمامكم هذا يعني معاوية»(٢).

فهذه شهادة الصحابة بفقهه ودينه والشاهد بالفقه ابن عباس وبحسن الصلاة أبو الدرداء وهما هما والآثار الموافقة لهذا كثيرة.

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب ذكر معاوية رضي الله عنه.

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٣٥٧): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير قيس بن الحارث المذحجي، وهو ثقة.

هذا ومعاوية ليس من السابقين الأولين بل قد قيل إنه من مسلمة الفتح وقيل أسلم قبل ذلك وكان يعترف بأنه ليس من فضلاء الصحابة وهذه سيرته مع عموم ولايته فإنه كان في ولايته من خراسان إلى بلاد إفريقية بالمغرب ومن قبرص إلى اليمن.

ومعلوم بإجماع المسلمين أنه ليس قريباً من عثمان وعلي فضلاً عن أبي بكر وعمر فكيف يشبه غير الصحابة بهم وهل توجد سيرة أحد من الملوك مثل سيرة معاوية ﷺ والمقصود أن الفتن التي بين الأمة والذنوب التي لها بعد الصحابة أكثر وأعظم ومع هذا فمكفرات الذنوب موجودة لهم وأما الصحابة فجمهورهم وجمهور أفاضلهم ما دخلوا في فتنة.

قال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا أبي حدثنا إسماعيل يعني ابن علية حدثنا أيوب يعني السختياني عن محمد بن سيرين قال هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرة آلاف فما حضرها منهم مائة بل لم يبلغوا ثلاثين، وهذا الإسناد من أصح إسناد على وجه الأرض ومحمد بن سيرين من أورع الناس في منطقة ومراسيله من أصح المراسيل.

وقال عبد الله حدثنا أبي حدثنا اسماعيل حدثنا منصور بن عبد الرحمن قال قال الشعبي: «لم يشهد الجمل من أصحاب رسول الله ﷺ غير علي وعمار وطلحة والزبير فإن جاءوا بخامس فأنا كذاب».

وقال عبد الله بن أحمد حدثنا أبي حدثنا أمية بن خالد قال قيل لشعبة إن أبا شيبة روى عن الحكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال «شهد صفين من أهل بدر سبعون رجلاً فقال كذب والله لقد ذاكرت الحكم بذلك وذاكرناه في بيته فما وجدناه شهد صفين من أهل بدر غير خزيمة بن ثابت».

قلت هذا النفي يدل على قلة من حضرها وقد قيل إنه حضرها سهل بن حنيف وأبو أيوب وكلام ابن سيرين مقارب فما يكاد يذكر مائة واحد.

وقد روى ابن بطة عن بكير بن الأشج قال: إما إن رجالاً من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد قتل عثمان فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم.

السبب الثامن: ما يبتلى به المؤمن في قبره من الضغطة وفتنة الملكين.

السبب التاسع: ما يحصل له في الآخرة من كرب أهوال يوم القيامة.

السبب العاشر: ما ثبت في الصحيحين أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة[1].

فهذه الأسباب لا تفوت كلها من المؤمنين إلا القليل فكيف بالصحابة رضوان الله عليهم الذين هم خير قرون الأمة وهذا في الذنوب المحققة فكيف بما يكذب عليهم فكيف بما يجعل من سيئاتهم وهو من حسناتهم.

وهذا كما ثبت في الصحيح: «أن رجلاً أراد أن يطعن في عثمان عند ابن عمر فقال إنه قد فر يوم أحد ولم يشهد بدراً ولم يشهد بيعة الرضوان فقال ابن عمر أما يوم أحد فقد عفا الله عنه وفي لفظ فر يوم أحد فعفا الله عنه وأذنب عندكم ذنباً فلم تعفوا عنه وأما يوم بدر فإن النبي ﷺ استخلفه على ابنته وضرب له بسهمه وأما بيعة الرضوان فإنما

---

(١) رواه البخاري، كتاب المظالم، باب قصاص المظالم، وكتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

كانت بسبب عثمان فإن النبي ﷺ بعثه إلى مكة وبايع عنه بيده ويد النبي ﷺ خير من يد عثمان»[1].

فقد أجاب ابن عمر بأن ما يجعلونه عيباً ما كان منه عيباً فقد عفا الله عنه والباقي ليس بعيب بل هو من الحسنات وهكذا عامة ما يعاب به على سائر الصحابة هو إما حسنة وإما معفو عنه». .اهـ.

١٤٩ ـ مقالة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لولديه الحسن والحسين يوم صفين:

(٦/ ٢٠٩): «وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ندم على أمور فعلها من القتال وغيره وكان يقول لقد عجزت عجزة لا أعتذر سوف أكيس بعدها وأستمر وأجمع الرأي الشتيت المنتشر وكان يقول ليالي صفين لله در مقام قامه عبد الله بن عمر وسعد بن مالك إن كان براً إن أجره لعظيم وإن كان إثماً إن خطره ليسير وكان يقول يا حسن يا حسن ما ظن أبوك أن الأمر يبلغ إلى هذا ود أبوك لو مات قبل هذا بعشرين سنة». .اهـ.

١٥٠ ـ رأي شيخ الإسلام في كتاب الشهرستاني:

(٦/ ٣٠٥ ـ ٣٠٨): «وأما قوله ـ أي الرافضي ابن المطهر ـ إن الشهرستاني[2] من أشد المتعصبين على الإمامية فليس كذلك بل يميل كثير إلى أشياء من أمورهم بل يذكر أحياناً أشياء من كلام الإسماعيلية الباطنية وإن لم يكن الأمر كذلك وقد ذكر من اتهمه بعض الناس بأنه من

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عثمان رضي الله عنه، وكتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ . . .﴾.

(٢) الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني الشافعي، أبو الفتح، ولد بشهرستان، رحل إلى بغداد وأقام بها، درس المناظرة والأصول وغيرها، ومن مصنفاته: نهاية الإقدام، والملل والنحل، ت سنة (٥٤٨هـ).
انظر ترجمته في: شذرات الذهب لابن العماد (٤/ ١٤٩).

الإسماعيلية وإن لم يكن الأمر كذلك وقد ذكر من اتهمه شواهد من كلامه وسيرته وقد يقال هو مع الشيعة بوجه ومع أصحاب الأشعري بوجه.

وقد وقع في هذا كثير من أهل الكلام والوعاظ وكانوا يدعون بالأدعية المأثورة في صحيفة علي بن الحسين وإن كان أكثرها كذباً على علي بن الحسين.

وبالجملة فالشهرستاني يظهر الميل إلى الشيعة إما بباطنه وإما مداهنة لهم فإن هذا الكتاب كتاب الملل والنحل صنفه لرئيس من رؤسائهم وكانت له ولاية ديوانية وكان للشهرستاني مقصود في استعطافه له وكذلك صنف له كتاب المصارعة بينه وبين ابن سينا لميله إلى التشيع والفلسفة وأحسن أحواله أن يكون من الشيعة إن لم يكن من الإسماعيلية أعني المصنف له ولهذا تحامل فيه للشيعة تحاملاً بيناً.

وإذا كان في غير ذلك من كتبه يبطل مذهب الإمامية فهذا يدل على المداهنة لهم في هذا الكتاب لأجل من صنفه له وأيضاً فهذه الشبهة التي حكاها الشهرستاني في أول كتاب الملل والنحل عن إبليس في مناظرته للملائكة لا تعلم إلا بالنقل وهو لم يذكر لها إسناداً بل لا إسناد لها أصلاً فإن هذه لم تنقل عن النبي ﷺ ولا عن أحد من الصحابة ولا عن أئمة المسلمين المشهورين ولا هي أيضاً مما هو معلوم عند أهل الكتاب وهذه لا تعلم إلا بالنقل عن الأنبياء وإنما توجد في شيء من كتب المقالات وبعض كتب النصارى والشهرستاني أكثر ما ينقله من المقالات من كتب المعتزلة وهم يكذبون بالقدر فيشبه والله أعلم أن يكون بعض المكذبين بالقدر وضع هذه الحكاية ليجعلها حجة على المثبتين للقدر كما يضعون شعراً على لسان يهودي وغير ذلك فإنا رأينا كثيراً من القدرية يضعون على لسان الكفار ما فيه حجة على الله ومقصودهم بذلك التكذيب بالقدر.

وأن من صدق به فقد جعل للخلق حجة على الخالق كما وجدنا كثيراً من الشيعة يضع حججاً لهم على لسان بعض اليهود ليقال لأهل السنة أجيبوا هذا اليهودي ويخاطب بذلك من لا يحسن أن يبين فساد تلك الحجة من جهال العامة». اهـ.

١٥١ - شر الرافضة متتابع على المسلمين عبر الأزمان:

(٦/ ٣٧٢ - ٣٧٥): «ودع ما يسمع وينقل عمن خلا فلينظر كل عاقل فيما يحدث في زمانه وما يقرب من زمانه من الفتن والشرور والفساد في الإسلام فإنه يجد معظم ذلك من قبل الرافضة وتجدهم من أعظم الناس فتناً وشراً وأنهم لا يقعدون عما يمكنهم من الفتن والشر وإيقاع الفساد بين الأمة.

ونحن نعرف بالعيان والتواتر العام وما كان في زماننا من حين خرج جنكزخان ملك الترك الكفار وما جرى في الإسلام من الشر.

فلا يشك عاقل أن استيلاء الكفار المشركين الذين لا يقرون بالشهادتين ولا بغيرها من المباني الخمس ولا يصومون شهر رمضان ولا يحجون البيت العتيق ولا يؤمنون بالله ولا بملائكته ولا بكتبه ورسله واليوم الآخر.

وأعلم من فيهم وأدين مشرك يعبد الكواكب والأوثان وغايته أن يكون ساحراً أو كاهناً له رئي من الجن وفيهم من الشرك والفواحش ما هم به شر من الكهان الذين يكونون في العرب.

فلا يشك عاقل أن استيلاء مثل هؤلاء على بلاد الإسلام وعلى أقارب رسول الله ﷺ من بني هاشم كذرية العباس وغيرهم بالقتل وسفك الدماء وسبي النساء واستحلال فروجهن وسبي الصبيان واستعبادهم وإخراجهم عن دين الله إلى الكفر وقتل أهل العلم والدين من أهل القرآن والصلاة وتعظيم بيوت الأصنام التي يسمونها البذخانات والبيع والكنائس

على المساجد ورفع المشركين وأهل الكتاب من النصارى وغيرهم على المسلمين بحيث يكون المشركون وأهل الكتاب أعظم عزاً وأنفذ كلمة وأكثر حرمة من المسلمين إلى أمثال ذلك مما لا يشك عاقل أن هذا أضر على المسلمين من قتال بعضهم بعضاً وأن رسول الله ﷺ إذا رأى ما جرى على أمته من هذا كان كراهته له وغضبه منه أعظم من كراهته لإثنين مسلمين تقاتلا على الملك ولم يسبأحدهما حريم الآخر ولا نفع كافراً ولا أبطل شيئاً من شرائع الإسلام المتواترة وشعائره الظاهرة.

ثم مع هذا الرافضة يعاونون أولئك الكفار وينصرونهم على المسلمين كما قد شاهده الناس لما دخل هولاكو ملك الكفار الترك الشام سنة ثمان وخمسين وستمائة فإن الرافضة الذين كانوا بالشام بالمدائن والعواصم من أهل حلب وما حولها ومن أهل دمشق وما حولها وغيرهم كانوا من أعظم الناس أنصاراً وأعواناً على إقامة ملكه وتنفيذ أمره في زوال ملك المسلمين.

وهكذا يعرف الناس عامة وخاصة ما كان بالعراق لما قدم هولاكو إلى العراق وقتل الخليفة وسفك فيها من الدماء ما لا يحصيه إلا الله فكان وزير الخليفة ابن العلقمي والرافضة هم بطانته الذين أعانوه على ذلك بأنواع كثيرة باطنة وظاهرة يطول وصفها.

وهكذا ذكر أنهم كانوا مع جنكزخان وقد رآهم المسلمون بسواحل الشام وغيرها إذا اقتتل المسلمون والنصارى هواهم مع النصارى ينصرونهم بحسب الإمكان ويكرهون فتح مدائنهم كما كرهوا فتح عكا وغيرها ويختارون إدالتهم على المسلمين حتى أنهم لما انكسر عسكر المسلمين سنة غازان سنة تسع وتسعين وخمسمائة وخلت الشام من جيش المسلمين عاثوا في البلاد وسعوا في أنواع من الفساد من القتل وأخذ الأموال وحمل راية الصليب وتفضيل النصارى على المسلمين وحمل

السبي والأموال والسلاح من المسلمين إلى النصارى أهل الحرب بقبرس وغيرها.

فهذا وأمثاله قد عاينه الناس وتواتر عند من لم يعاينه ولو ذكرت أنا ما سمعته ورأيته من آثار ذلك لطال الكتاب وعند غيري من أخبار ذلك وتفاصيله ما لا أعلمه.

فهذا أمر مشهود من معاونتهم للكفار على المسلمين ومن اختيارهم لظهور الكفر وأهله على الإسلام وأهله ولو قدر أن المسلمين ظلمة فسقه ومظهرون لأنواع من البدع التي هي أعظم من سب علي وعثمان لكان العاقل ينظر في خير الخيرين وشر الشرين.

ألا ترى أن أهل السنة وإن كانوا يقولون في الخوارج والروافض وغيرهما من أهل البدع ما يقولون لكن لا يعاونون الكفار على دينهم ولا يختارون ظهور الكفر وأهله على ظهور بدعة دون ذلك.

والرافضة إذا تمكنوا لا يتقون وانظر ما حصل لهم في دولة السلطان خدابندا الذي صنف له هذا الكتاب كيف ظهر فيهم من الشر الذي لو دام وقوي أبطلوا به عامة شرائع الإسلام لكن يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون». اهـ.

١٥٢ ـ قاعدة حسنة جامعة: جميع أقارب الرجل من النساء حرام عليه إلا بنات عمه وبنات عماته، وبنات خاله وبنات خالاته:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض كلامه على العصمة:

(٦/ ٤١٤): «فإن اشترط عصمة كل واحد اشترط عصمة النواب في تلك الأعيان وهذا منتف بالضرورة واتفاق العقلاء وإن اكتفى بالكليات فالنبي يمكنه أن ينص على الكليات كما جاء به نبينا ﷺ إذ ذكر ما يحرم من النساء وما يحل فجميع أقارب الرجل من النساء حرام عليه إلا بنات

عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته كما ذكر هؤلاء الأربع في سورة الأحزاب[(1)]»..اهـ.

١٥٣ ـ ابن إسحاق صاحب السيرة من المتؤلين لعلي المائلين إليه:

(٧/ ١١٣): «قال ابن إسحاق[(2)] في السيرة مع أنه من المتؤلين لعلي المائلين إليه وذكر خروج النبي ﷺ من منزله واستخلاف علي على فراشه ليلة مكر الكفار به قال ......».اهـ.

١٥٤ ـ ليس للرافضة نقل صحيح ولا عقل صريح، ولو قال رجل: أنا أبغض أجهل الناس لا نصرف قوله إلا إلى الرافضة:

(٧/ ١٧٢): «ولا ريب أن هذا الرافضي الجاهل الظالم يبني أمره

---

(١) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٥٠﴾ [الأحزاب: ٥٠].

(٢) هو: محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار المطلبي، مولاهم، المدني، نزيل العراق، من الحفاظ المكثرين للحديث، وصاحب «السيرة» المشهور، ومن الأئمة المشهود لهم بالفضل والعلم والحفظ، وقد تكلم فيه بعضهم، لكن تصدى لذلك كثير من أئمة الحديث ووثقوه حتى قالوا: إنه لم يتكلم فيه سوى مالك وهشام بن عروة، ووجهوا كلامهما فيه بتوجيه يبرئه من الطعن في روايته للحديث، وسائر الأئمة يوثقه، قال أبو زرعة: «السيرة وابن إسحاق رجل قد أجمع الكبراء من أهل العلم على الأخذ عنه» وقد اختبره أهل الحديث فرأوا صدقاً وخيراً، وقد وثقه ابن معين، والعجلي وابن سعد، وابن حبان، وابن المبارك، وغيرهم، وأخذ عليه بعضهم روايته عن بني إسرائيل، وتساهله في رواية المغازي والسير، وتدليسه أحياناً، وقد روى له مسلم في المتابعات، وعلق له البخاري، ومن أهم أعماله الجليلة: جمع السيرة وكتابتها، توفي سنة (١٥٢هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٩/ ٣٨ ـ ٤٦)، ترجمة رقم (٥١).

على مقدمات باطلة فإنه لا يعلم في طوائف أهل البدع أوهى من حجج الرافضة بخلاف المعتزلة ونحوهم فإن لهم حججاً وأدلة قد تشبه على كثير من أهل العلم والعقل أما الرافضة فليس لهم حجة قط تنفق إلا على جاهل أو ظالم صاحب هوى يقبل ما يوافق هواه سواء كان حقاً أو باطلاً ولهذا يقال فيهم ليس لهم عقل ولا نقل ولا دين صحيح ولا دنيا منصورة.

وقالت طائفة من العلماء لو علق حكماً بأجهل الناس لتناول الرافضة مثل أن يحلف إني أُبغض أجهل الناس ونحو ذلك وأما لو وصى لأجهل الناس فلا تصح الوصية لأنها لا تكون إلا قربة فإذا وصى لقوم يدخل فيهم الكافر جاز بخلاف ما لو جعل الكفر والجهل جهة وشرطاً في الاستحقاق». اهـ.

١٥٥ ـ الأحاديث التي صحت في فضائل علي ﷺ:

(٧/ ٣٢٠ ـ ٣٢١): «وقال ابن حزم الذي صح من فضائل علي فهو قول النبي ﷺ: **«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»**[١]، وقوله: **«لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»**[٢] وهذه صفة واجبة لكل مسلم مؤمن وفاضل وعهده ﷺ: **«أن علياً لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق»**[٣]وقد صح مثل هذا في

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب علي بن أبي طالب، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب، من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ.

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي ﷺ من الإيمان...

الأنصار «**أنهم لا يبغضهم من يؤمن بالله واليوم الآخر**»[1] قال وأما «**من كنت مولاه فعلي مولاه**»[2] فلا يصح من طريق الثقات أصلاً وأما سائر الأحاديث التي يتعلق بها الروافض فموضوعة يعرف ذلك من له أدنى علم بالأخبار ونقلها».

فإن قيل لم يذكر ابن حزم ما في الصحيحين من قوله: «**أنت مني وأنا منك**»[3] وحديث المباهلة[4] والكساء[5].

---

(١) رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب حب الأنصار، ومسلم، كتاب الإيمان؟، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي ﷺ من الإيمان...

(٢) رواه الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب.
والحديث حسنه الإمام أحمد والترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٥٣).
وضعفه البخاري وإبراهيم الحربي وغيرهما. انظر منهاج السنة (٧/ ٣١٩).

(٣) رواه البخاري، كتاب الصلح، باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان.. وغير هذا الموضع.

(٤) عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال ما منعك أن تسب أبا التراب فقال أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبه لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم سمعت رسول الله ﷺ يقول له خلفه في بعض مغازيه فقال له علي يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان فقال له رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي». وسمعته يقول يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله». قال فتطاولنا لها فقال: «ادعوا لي علياً». فأتي به أرمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «اللهم هؤلاء أهلي».
رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ.

(٥) عن عائشة خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم =

قيل مقصود ابن حزم الذي في الصحيح من الحديث الذي لا يذكر فيه إلا علي وأما تلك ففيها ذكر غيره فإنه قال لجعفر أشبهت خلقي وخلقي وقال لزيد أنت أخونا ومولانا وحديث المباهلة والكساء فيهما ذكر علي وفاطمة وحسن وحسين ﷺ فلا يرد هذا على ابن حزم». . اهـ.

١٥٦ ـ في القرآن اثنان وأربعون مثلاً:

(٧/ ٣٣٤): «وبالجملة الأمثال والتشبيهات كثيرة جداً وهي لا توجب التماثل من كل وجه بل فيما سيق الكلام له ولا يقتضي اختصاص المشبه بالتشبيه بل يمكن أن يشاركه غيره له في ذلك قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١]، وقال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [يس: ١٣] وقال ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ [آل عمران: ١١٧] وقد قيل أن في القرآن اثنين وأربعين مثلاً». . اهـ.

١٥٧ ـ أصناف الرافضة في الحديث:

(٧/ ٤٤٢): «قال أبو الفرج بن الجوزي فضائل علي الصحيحة كثيرة غير أن الرافضة لم تقنع فوضعت له ما يضع لا ما يرفع وحوشيت حاشيته من الاحتياج إلى الباطل.

قال: فاعلم أن الرافضة ثلاث أصناف صنف منهم سمعوا أشياء من

= جاء علي فأدخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

الحديث فوضعوا أحاديث وزادوا ونقصوا وصنف لم يسمعوا فتراهم يكذبون على جعفر الصادق ويقولون قال جعفر وقال فلان وصنف ثالث عوام جهله يقولون ما يريدون مما يسوغ في العقل ومما لا يسوغ». .اهـ.

١٥٨ ـ حقيقة كتاب نهج البلاغة:

(٨/ ٥٥): «وأيضا فأكثر الخطب التي ينقلها صاحب نهج البلاغة[١] كذب على علي، وعلي رضي الله عنه أجل وأعلى قدراً من أن يتكلم بذلك الكلام ولكن هؤلاء وضعوا أكاذيب وظنوا أنها مدح فلا هي صدق ولا هي مدح ومن قال إن كلام علي وغيره من البشر فوق كلام المخلوق فقد أخطأ وكلام النبي ﷺ فوق كلامه وكلاهما مخلوق.

ولكن هذا من جنس كلام ابن سبعين[٢] الذي يقول هذا كلام بشير يشبه بوجه ما كلام البشر وهذا ينزع إلى أن يجعل كلام الله ما في نفوس البشر وليس هذا من كلام المسلمين.

وأيضا فالمعاني الصحيحة التي توجد في كلام علي موجودة في

---

(١) قال ابن خَلِّكان في «وفيات الأعيان» في ترجمة المرتضى علي بن الحسين العلوى الحسيني الشريف «وقد اختلف الناس في كتاب «نهج البلاغة» المجموع من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: هل هو جمعه (أي: المرتضى) أم جمع أخيه الرضيّ؟ وقد قيل: إنه ليس من كلام علي رضي الله عنه، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه. والله أعلم».
وقال الذهبي في الميزان (٣/ ١٢٤) في ترجمة المرتضى: «وهو المتهم بوضع كتاب نهج البلاغة» وله مشاركة قوية في العلوم، ومن طالع كتابه نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ففيه السب الصراح والحط على السيدين: أبي بكر، وعمر رضي الله عنهما، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن الكتاب أكثره باطل».اهـ.

(٢) تقدمت ترجمته، فائدة رقم (٢٢).

كلام غيره لكن صاحب نهج البلاغة وأمثاله أخذوا كثيراً من كلام الناس فجعلوه من كلام علي ومنه ما يحكى عن علي أنه تكلم به ومنه ما هو كلام حق يليق به أن يتكلم به ولكن هو في نفس الأمر من كلام غيره.

ولهذا يوجد في كلام البيان والتبيين للجاحظ[1] وغيره من الكتب كلام منقول عن غير علي وصاحب نهج البلاغة يجعله عن علي.

وهذه الخطب المنقولة في كتاب نهج البلاغة لو كانت كلها عن علي من كلامه لكانت موجودة قبل هذا المصنف منقوله عن علي بالأسانيد وبغيرها فإذا عرف من له خبرة بالمنقولات أن كثيراً منها بل أكثرها لا يعرف قبل هذا علم أن هذا كذب وإلا فليبين الناقل لها في أي كتاب ذكر ذلك ومن الذي نقله عن علي وما إسناده وإلا فالدعوى المجردة لا يعجز عنها أحد.

ومن كان له خبرة بمعرفة طريقة أهل الحديث ومعرفة الآثار والمنقول بالأسانيد وتبين صدقها من كذبها علم أن هؤلاء الذين ينقلون مثل هذا عن علي من أبعد الناس عن المنقولات والتمييز بين صدقها وكذبها». اهـ.

١٥٩ ـ السبب الحقيقي وراء ضرب والي المدينة لمالك رحمه الله تعالى:

(٨/ ٢٢٥): «قال مالك لا أجعل من خاض في الدماء كمن لم

---

(١) هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ: كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة.
مولده ووفاته في البصرة، فلج في آخر عمره، وكان مشوه الخلقة، ومات والكتاب على صدره، قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه، له تصانيف كثيرة، منها: «الحيوان» أربعة مجلدات، و«البيان والتبيين» وغيرها. توفي سنة (٢٥٥هـ).
قال الذهبي: كان ماجناً قليل الدين، له نوادر.
انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٢٦)، والأعلام للزركلي (٥/ ٧٤).

يخض فيها وقال الشافعي وغيره إنه بهذا قصد والى المدينة الهاشمي، ضرب مالك وجعل طلاق المكره سبباً ظاهراً». . اهـ.

١٦٠ ـ إذا أسلمت المرأة ففارقت زوجها الكافر ثم أسلم فإنها تعاد إليه بنكاحها الأول:

(٨/ ٢٤٦): «ومصاهرة أبي بكر للنبي ﷺ كانت على وجه لا يشاركه فيه أحد وأما مصاهرة علي فقد شركه فيها عثمان وزوجه النبي ﷺ بنتاً بعد بنت وقال: **«لو كان عندنا ثالثة لزوجناها عثمان»**(١) ولهذا سمي ذو النورين لأنه تزوج بنتي نبي وقد شركه في ذلك أبو العاص بن الربيع زوجه النبي ﷺ أكبر بناته زينب وحمد مصاهرته وأراد أن يتشبه به علي في حكم المصاهرة لما أراد علي أن يتزوج بنت أبي جهل فذكر صهره هذا قال: **«حدثني فصدقني ووعدني فوفى لي»**(٢) وأسلمت زينب قبل إسلامه بمدة وتأيمت عليه حتى أعادها إليه النبي ﷺ قيل أعادها بالنكاح الأول وقيل بل جدد لها نكاحاً والصحيح أنه أعادها بالنكاح الأول هذا الذي ثبته أئمة الحديث كأحمد وغيره وقد تنازع الناس في مثل هذه المسألة إذا أسلمت الزوجة قبل زوجها على أقوال مذكورة في غير هذا الموضع». . اهـ.

١٦١ ـ معنى قوله ﷺ: «إن الله أعانني عليه فأسلم»:

(٨/ ٢٧١): «وفي الصحيح عن عائشة قالت: يا رسول الله أوَ معي

---

(١) انظر: فضائل الصحابة للإمام أحمد (١/ ٤٨١) حديث (٥٠٨) والطبقات الكبرى لابن سعيد (٣/ ٥٦)، والرياض النضرة (٣/ ١٠ ـ ١١)، والبداية والنهاية (٧/ ٢٠٠)، ومجمع الزوائد للهيثمي (٩/ ٨٣) وأورد عدة روايات في تزويج عثمان رضي الله عنه ثم قال وإسناده حسن لما تقدمه من شواهد.

(٢) رواه البخاري، كتاب الخمس، باب ما ذكر من درع النبي ﷺ وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه. . ، وكتاب فضائل الصحابة، باب ذكر أصهار النبي ﷺ منهم أبو العاص ابن الربيع رضي الله عنه، ومسلم، كتاب مسلم في فضائل الصحابة باب فضائل فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

شيطان؟ قال: **نعم** قالت: ومع كل إنسان؟ قال: **نعم**، ومعك يا رسول الله؟ قال: **نعم ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم»**[١] والمراد في أصح القولين: استسلم وانقاد لي ومن قال: حتى أسلم أنا فقد حرف معناه، ومن قال: الشيطان صار مؤمناً فقد حرف لفظه». .اهـ.

١٦٢ ـ الاعتبار في الفضائل بكمال النهاية لا بنقص البداية:

(٨/ ٤١٢): «ولاعتبار في الفضائل بكمال النهاية لا بنقص البداية وقد قص الله علينا من توبة أنبيائه وحسن عاقبتهم وما آل إليه أمرهم من علي الدرجات وكرامة الله لهم بعد أن جرت لهم أمور ولا يجوز أن يظن بغضهم لأجلها إذا كان الاعتبار بكمال النهاية لا بنقص البداية وهكذا السابقون الأولون من ظن بغضهم لأجلها إذا كان الاعتبار بكمال النهاية كما ذكر فهو جاهل لكن المطلوب أن الصديق أكمل القوم وأفضلهم وأسبقهم إلى الخيرات وأنه لم يكن فيهم من يساويه». .اهـ.

١٦٣ ـ الصحبة فيها عموم وخصوص كالمحبة والولاية ونحوها:

(٨/ ٤٣١): «ومما يبين أن الصحبة فيها خصوص وعموم كالولاية والمحبة والإيمان وغير ذلك من الصفات التي يتفاضل فيها الناس في قدرها ونوعها وصفتها ما أخرجاه في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري قال كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء فسبه خالد فقال رسول الله ﷺ: **لا تسبوا أحداً من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»**[٢] انفرد مسلم بذكر خالد وعبد الرحمن دون البخاري فالنبي ﷺ يقول لخالد ونحوه **(لا تسبوا أصحابي)** يعني عبد الرحمن بن عوف وأمثاله لأن عبد الرحمن ونحوه هم

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين، باب تحريش الشيطان. . . .

(٢) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة ﷺ.

السابقون الأولون وهم الذين أسلموا قبل الفتح وقاتلوا وهم أهل بيعة الرضوان فهؤلاء أفضل وأخص بصحبته ممن أسلم بعد بيعة الرضوان وهم الذين أسلموا بعد الحديبية وبعد مصالحة النبي ﷺ أهل مكة ومنهم خالد وعمرو بن العاص وعثمان بن أبي طلحة وأمثالهم وهؤلاء أسبق من الذين تأخر إسلامهم إلى أن فتحت مكة وسموا الطلقاء مثل سهيل بن عمرو والحارث بن هشام وأبي سفيان بن حرب وابنيه يزيد ومعاوية وأبي سفيان بن الحارث وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وغيرهم مع أنه قد يكون في هؤلاء من برز بعلمه على بعض من تقدمه كثيراً كالحارث بن هشام وأبي سفيان بن الحارث وسهيل بن عمرو وعلى بعض من أسلم قبلهم ممن أسلم قبل الفتح وقاتل وكما برز عمر بن الخطاب على أكثر الذين أسلموا قبله.

والمقصود هنا أنه نهى لمن صحبه آخراً يسب من صحبه أولاً لامتيازهم عنهم في الصحبة بما لا يمكن أن يشركهم فيه حتى قال لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه، فإذا كان هذا حال الذين أسلموا من بعد الفتح وقاتلوا وهم من أصحابه التابعين للسابقين مع من أسلم من قبل الفتح وقاتل وهم أصحابه السابقون فكيف يكون حال من ليس من أصحابه بحال مع أصحابه وقوله: **«لا تسبوا أصحابي»** قد ثبت في الصحيحين من غير وجه منها ما تقدم ومنها ما أخرجوه في الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»**..اهـ.



كتاب الاستقامة

١٦٤ ـ كلام بديع فيه جمع بين النصوص، حول حق ولي الأمر وعدم جواز الخروج عليه:

(١/ ٣٢ ـ ٣٧): «ومن أصول هذا الموضع أن مجرد وجود البغي من إمام أو طائفة لا يوجب قتالهم بل لا يبيحه بل من الأصول التي دلت عليها النصوص أن الإمام الجائر الظالم يؤمر الناس بالصبر على جوره وظلمه وبغيه ولا يقاتلونه كما أمر النبي ﷺ بذلك في غير حديث فلم يأذن في دفع البغي مطلقاً بالقتال بل إذا كانت فيه فتنة نهى عن دفع البغي به وأمر بالصبر.

وأما قوله سبحانه: ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى﴾ [الحجرات: ٩]، فهو سبحانه قد بين مراده ولكن من الناس من يضع الآية على غير موضعها فإنه سبحانه قال: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [الحجرات: ٩]، فهو لم يأذن ابتداء في قتال بين المؤمنين بل إذا اقتتلوا فأصلحوا بينهما والاقتتال هو فتنة وقد تكون إحداهما أقرب إلى الحق فأمر سبحانه في ذلك بالإصلاح.

وكذلك فعل النبي ﷺ لما اقتتل بنو عمرو بن عوف فخرج ليصلح بينهم وقال لبلال: «**إن حضرت الصلاة فقدم أبا بكر**»[١].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب الإمام يأتي قوماً فيصلح بينهم.

ثم قال سبحانه ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحجرات: ٩]، فهو بعد اقتتالهم إذا أصلح بينهم بالقسط فلم تقبل إحداهما القسط بل بغت فإنها تقاتل لأن قتالها هنا يدفع به القتال الذي هو أعظم منه فإنها إذا لم تقاتل حتى تفئ إلى أمر الله بل تركت حتى تقتتل هي والأخرى كان الفساد في ذلك أعظم.

والشريعة مبناها على دفع الفسادين بالتزام أدناهما وفي مثل هذا يقاتلون حتى لا يكون فتنة ويكون الدين كله لله لأنه إذا أمروا بالصلاح والكف عن الفتنة فبغت إحداهما قوتلت حتى لا تكون فتنة والمأمور بالقتال هو غير المبغى عليه أمر بأن يقاتل الباغية حتى ترجع إلى الدين فقاتلها من باب الجهاد وإعانة المظلوم المبغى عليه.

أما إذا وقع بغى ابتداء بغير قتال مثل أخذ مال أو مثل رئاسة بظلم فلم يأذن الله في اقتتال طائفتين من المؤمنين على مجرد ذلك لأن الفساد في الاقتتال في مجرد رئاسة أو أخذ مال فيه نوع ظلم.

فلهذا نهى النبي ﷺ عن قتال الأئمة إذا كان فيهم ظلم لأن قتالهم فيه فساد أعظم من فساد ظلمهم.

وعلى هذا فما ورد في صحيح البخاري من حديث أم سلمة أن النبي ﷺ قال ذلك ليس هو مخالفاً لما تواتر عنه من أنه أمر بالإمساك عن القتال في الفتنة وأنه جعل القاعد فيها خيرا من القائم والقائم خيراً من الماشي والماشي خيراً من الساعي(١).

---

(١) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي ومن يشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به».

رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، وكتاب الفتن، باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم. ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة باب نزول الفتن كمواقع القطر.

وقال: «**يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن**»[1] وأمر فيها بأن يلحق الإنسان بإبله وبقره وغنمه لأن وصفه تلك الطائفة بالبغي هو كما وصف به من وصف من الولاة بالأثرة والظلم.

كقوله «**ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض**»[2].

وقوله ﷺ: «**ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم**»[3]، وأمثال ذلك من الأحاديث الصحاح فأمر مع ذكره لظلمهم بالصبر وإعطاء حقوقهم وطلب المظلوم حقه من الله ولم يأذن للمظلوم المبغي عليه بقتال الباغي في مثل هذه الصور التي يكون القتال فيها فتنة كما أذن في دفع الصائل بالقتال حيث قال: «**من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد**»[4]

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب من الدين الفرار من الفتن، وكتاب بدء الخلق، باب مال المسلم غنم يتبع بها شغف الجبال.

(٢) جاء عن عدة من أصحاب النبي ﷺ منهم أنس بن مالك، وأسيد بن خضير، وعبد الله بن زيد رضي الله عنه، انظر صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي ﷺ، اصبروا حتى تلقوني على الحوض، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم....

(٣) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أموراً تنكرونها»، ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه.

(٤) رواه بهذا اللفظ، أبو داود، كتاب السنة، باب في قتال اللصوص، والترمذي، كتاب الديات، باب ما جاء من قتل دون ماله فهو شهيد، والنسائي، كتاب تحريم الدم، باب من قاتل دون أهله، وباب من قاتل دون دينه، وابن ماجة، كتاب الحدود، باب من قتل دون ماله فهو شهيد.

ورواه البخاري، كتاب المظالم، باب من قاتل دون ماله، ومسلم، كتاب الإيمان، باب عن أن من قصد أخذ مال غيره...... مختصراً بلفظ: «من قتل دون ماله فهو شهيد».

فإن قتال اللصوص ليس قتال فتنة إذ الناس كلهم أعوان على ذلك فليس فيه ضرر عام على غير الظالم بخلاف قتال ولاة الأمور فإن فيه فتنة وشرا عاما أعظم من ظلمهم فالمشروع فيه الصبر.

وإذا وصف النبي ﷺ طائفة بأنها باغية سواء كان ذلك بتأويل أو بغير تأويل لم يكن مجرد ذلك موجباً لقتالها ولا مبيحا لذلك إذ كان قتال فتنة.

فتدبر هذا فإنه موضع عظيم يظهر فيه الجمع بين النصوص ولأنه الموضع الذي اختلف فيه اجتهاد علماء المؤمنين قديماً وحديثاً حيث رأى قوم قتال هؤلاء مع من هو أولى بالحق منهم ورأى آخرون ترك القتال إذا كان القتال فيه من الشر أعظم من ترك القتال كما كان الواقع فإن أولئك كانوا لا يبدؤون البغاة بقتال حتى يجعلوهم صائلين عليهم وإنما يكون ذنبهم ترك واجب مثل الامتناع من طاعة معين والدخول في الجماعة فهذه الفرقة إذا كانت باغية وفي قتالهم من الشر كما وقع أعظم من مجرد الاقتصار على ذلك كان القتال فتنة وكان تركه هو المشروع وإن كان المقاتل أولى بالحق وهو مجتهد». اهـ.

١٦٥ ـ العقيدة التي كتبها الإمام حرب بن إسماعيل ونقلها عن الإمام أحمد، غير ثابتة عن أحمد:

(١/ ٧٢ ـ ٧٣): «والمنصوص عن الإمام أحمد إنكار نفي ذلك ولم يثبت عنه إثبات لفظ الحركة وإن أثبت أنواعاً قد يدرجها المثبت في جنس الحركة فإنه لما سمع شخصاً يروى حديث النزول ويقول ينزل بغير حركة ولا انتقال ولا بغير حال أنكر أحمد ذلك وقال قل كما قال رسول الله ﷺ فهو كان أغير على ربه منك.

وقد نقل في رسالة عنه إثبات لفظ الحركة مثل ما في العقيدة التي

كتبها حرب بن إسماعيل[1].

وليست هذه العقيدة ثابتة عن الإمام أحمد بألفاظها فإني تأملت لها ثلاثة أسانيد مظلمة برجال مجاهيل والألفاظ هي ألفاظ حرب بن إسماعيل لا ألفاظ الإمام أحمد ولم يذكرها المعنيون بجمع كلام الإمام أحمد كأبي بكر الخلال[2] في كتاب السنة وغيره من العراقيين العالمين بكتاب أحمد ولا رواها المعروفون بنقل كلام الإمام لا سيما مثل هذه الرسالة الكبيرة وإن كانت راجت على كثير من المتأخرين». اهـ.

١٦٦ ـ ذكر المصنف الدنو والتدلي ونسبها إلى الله تعالى بصيغة الجزم:

(١/ ٧٦): «وبكل حال فالمشهور عند أصحاب الإمام أحمد أنهم لا يتأولون الصفات التي من جنس الحركة كالمجيء والإتيان والنزول والهبوط والدنو والتدلي كما لا يتأولون غيرها متابعة للسلف الصالح وكلام السلف في هذا الباب يدل على إثبات المعنى المتنازع فيه». اهـ.

١٦٧ ـ هل يسأل الله بـ (أين)؟

(١/ ١٢٦): «وقوله[3] من آواه محل أدركه أين استدلال منه على

---

(١) هو: حرب بن إسماعيل بن خلف الحنظلي الكرماني، رجل جليل من أتباع الإمام أحمد بن حنبل، سمع منه بعض المسائل، ونقلها عنه أتباع الإمام أحمد كالخلال وغيره، وهو فقيه بلده، وجعل إليه السلطان أمر الحكم في بلده. انظر: طبقات الحنابلة (١/ ١٤٥).

(٢) هو: أحمد بن محمد بن هارون، أبو بكر، من كبار أتباع الإمام أحمد، سمع عن تلاميذ الإمام وأبنائه، وعني بأقواله ومسائله، ورحل في سبيل ذلك، وكتبها عالية ونازلة، فنال منها وسبق غيره فيها، حتى صار إماماً في مذهب أحمد، توفي رحمه الله سنة (٣١١هـ). انظر: طبقات الحنابلة (٢/ ١٢ ـ ١٥)، ترجمة رقم (٥٨٢).

(٣) أي القشيري، وهو عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن، أبو نَصْر القشيري النيسابوري الواعظ، زار بغداد ووعظ بها، فبالغ في التعصب للأشاعرة، وغَضَّ =

انتفاء إيواء المحل بانتفاء الأين وهذه ساقطة فإن العلم به أظهر من العلم بانتفاء الأين عنه فإن عامة أهل السنة وسلف الأمة وأئمتها لا ينفون عنه الأين مطلقاً لثبوت النصوص الصحيحة الصريحة عن النبي ﷺ بذلك سؤالاً وجواباً، فقد ثبت في الصحيح عنه أنه قال للجارية: «**أين الله**؟ قالت: في السماء»[1] وكذلك قال ذلك لغيرها[2]». . اهـ.

= من الحنابلة، فوقعت بسببه فتنة عظيمة، فاستدعاه نظام الملك إلى أصبهان إطفاءً للفتنة ببغداد، توفي بنيسابور سنة (٥١٤هـ)، سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٢٤ ـ ٤٢٦).

(١) عن معاوية بن الحكم السلمي قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله! فرماني القوم بأبصارهم فقلت: واثكل أمياه! ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي! ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»، أو كما قال رسول الله ﷺ، قلت يا رسول الله إني حديث عهد بجاهلية وقد جاء الله بالإسلام وإن منا رجالاً يأتون الكهان. قال: «فلا تأتهم». قال ومنا رجال يتطيرون.

قال: «ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم». قال ابن الصباح: «فلا يصدنكم». قال: قلت: ومنا رجال يخطون. قال: «كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك». قال: وكانت لي جارية ترعى غنماً لي قبل أحد والجوانية فاطلعت ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون لكني صككتها صكة فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علي قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها قال: «ائتني بها». فأتيته بها فقال لها: «أين الله؟». قالت: في السماء. قال: «من أنا». قالت: أنت رسول الله. قال: «أعتقها فإنها مؤمنة». رواه مسلم، كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته.

(٢) عن أبي هريرة أن رجلاً أتى النبي ﷺ بجارية سوداء أعجمية فقال: يا رسول الله إن علي عتق رقبة مؤمنة فقال لها رسول الله ﷺ: أين الله فأشارت، إلى السماء بإصبعها السبابة فقال لها: من أنا؟ فأشارت بإصبعها إلى رسول الله ﷺ وإلى السماء أي أنت رسول الله، فقال: أعتقها. رواه أحمد في المسند (١٣/ ٢٨٥).

١٦٨ ـ مسألة الاستثناء في الإيمان:

(١/ ١٤٩ ـ ١٥٠): «وقال أبو بكر الواسطي: من قال أنا مؤمن بالله حقاً.

قيل له: الحقيقة تشير إلى إشراف واطلاع وإحاطة، فمن فقده بطل دعواه منها».

قال أبو القاسم[1]: «يريد بذلك ما قاله أهل السنة من أن المؤمن الحقيقي من كان محكوماً له بالجنة فمن لم يعلم ذلك من سر حكمة الله تعالى فدعواه بأنه مؤمن حقاً غير صحيحة.

قلت: الاستثناء في الإيمان سنة عند عامة أهل السنة وقد ذكره طائفة من المرجئة وغيرهم وأوجبه كثير من أهل السنة ومن وجوهه وجهان حسنان:

أحدهما: أن الإيمان الذي أوجبه الله على العبد من الأمور الباطنة أو الظاهرة لا يتيقن أنه أتى بها على الوجه الذي أمر به كاملاً بل قد يكون أخل يبعضه فيستثنى لذلك.

والوجه الثاني: أن المؤمن المطلق من علم الله أنه يوافى بالإيمان فأما الإيمان الذي تتعقبه الردة فهو باطل كالصوم والصلاة الذي يبطل قبل فراغه فلا يعلم العبد أنه مؤمن حتى يقضى جميع إيمانه وذلك إنما يكون بالموت.

وهذا معنى ما يروى عن ابن مسعود أنه قيل له إن فلاناً يقول إنه مؤمن قال: فقولوا له أهو في الجنة فقال: الله أعلم قال: فهلا وكلت الأولى كما وكلت الثانية.

وهذا الوجه تختاره طائفة من متكلمي أهل الحديث المائلين إلى

(١) المراد به القشيري.

الإرجاء كالأشعري وغيره ممن يقول بالاستثناء ولا يدخل الأعمال في مسمى الإيمان فيجعل الاستثناء يعود إلا إلى النوايا فقط وهو الذي ذكره أبو القاسم وفسر به كلام أبي بكر الواسطي وكلام الواسطي يحتمل الوجهين جميعاً فإن الإشراف والاطلاع قد يكون على الحقيقة التي هي عند الله في هذا الوقت وقد يكون على ما يوافى به العبد وأما كلام أبي العباس فظاهر في أنه راعى الخاتمة». .اهـ.

١٦٩ ـ مسألة تعاطي الأسباب، هل ينافي التوكل؟

(١/ ١٥١ ـ ١٥٧): «فإن قيل: فإذا كان القدر السابق لا ينافي الأسباب فما وجه ما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة ﷺ قال: قلت يا رسول الله إني رجل شاب وأنا أخاف على نفسي العنت ولا أجد ما أتزوج به النساء فسكت عني ثم قلت مثل ذلك فسكت عني ثم قلت مثل ذلك فسكت عني ثم قلت مثل ذلك فقال النبي ﷺ: **«يا أبا هريرة جف القلم بما أنت لاق فاختص على ذلك أو دع»**[١].

فهذا يقتضي أن اختصاءه الذي قصد أن يمتنع به من الفاحشة لا يدفع المقدور.

وكذلك في الصحيح عن أبي سعيد الخدري أنهم سألوا النبي ﷺ عن العزل فقال النبي ﷺ: **«لا عليكم أن تفعلوا فما من نسمة كتب الله أن تكون إلا وهي كائنة»**[٢].

فهذا يقتضي أن عزل الماء وهو سبب لعدم العلوق لا فائدة فيه لدفع ما كتبه الله من الأولاد.

---

(١) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والخصاء.

(٢) رواه البخاري، كتاب العتق، باب من ملك من العرب رقيقاً فوهب وباع وجامع، وكتاب النكاح، باب العزل. ومسلم، كتاب النكاح، باب حكم العزل.

وفي الصحيحين عن ابن عباس وهو في مسلم عن عمران بن حصين وهذا لفظه أن النبي ﷺ قال: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب قال: ومن هم يا رسول الله؟ قال: هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**».

فقال عكاشة: «ادع الله يجعلني منهم» قال: «**أنت منهم**».

فقام رجل فقال: «يا نبي الله ادع الله أن يجعلني منهم».

فقال: «**سبقك بها عكاشة**»[1].

فقد جعل التوكل ها هنا موجباً لترك الاكتواء والاسترقاء وهما من الأسباب.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قالت أم حبيبة زوج النبي ﷺ: «اللّهم أمتعني بزوجي رسول الله وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية».

قال: فقال النبي ﷺ: «**قد سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة لن يعجل الله شيئاً قبل أجله ولن يؤخر شيئاً عن أجله ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب في النار أو عذاب في القبر كان خيراً وأفضل**».

قال: وذكرت عنده القردة والخنازير هي من مسخ فقال: «**إن الله لم يجعل لمسخ نسلاً ولا عقباً وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك**»[2].

---

(١) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب البرود والحبرة والشملة، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب.

(٢) رواه مسلم، كتاب القدر، باب بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر.

وفي رواية: «قال رجل: يا رسول الله القردة والخنازير هي مما مسخ فقال النبي ﷺ: **إن الله لم يهلك قوماً أو يعذب قوماً فيجعل لهم نسلاً**»[1].

فهذا الحديث أخبر فيه أن الدعاء وهو من الأسباب لا يفيد في إطالة الأعمار ويفيد في النجاة من عذاب الآخرة.

قيل ليس كل ما يظنه الإنسان سبباً يكون سبباً وليس كل سبب مباحاً في الشريعة بل قد تكون مضرته أعظم من منفعته فينتهي عنه وليس كل سبب مقدوراً للعبد فالعبد يؤمر بالسبب الذي أحبه الله ويؤذن له فيما أذن الله فيه مع أمره بالتوكل على الله تعالى فأما ما لا قدرة له فيه فليس فيه إلا التوكل على الله والدعاء له وذلك من أعظم الأسباب التي يؤمر بها العبد أيضاً.

وما كان من الأسباب محرماً لرجحان فساده على صلاحه أو غير نافع لا يفيد بل يظن أنه نافع فإنه لا يؤمر به أيضاً فلا يؤمر بما لا فائدة فيه وما كان فساده راجحاً نهى عنه.

وجماع الأمر أن الأسباب إما أن تكون مقدورة أو غير مقدورة فغير المقدور ليس فيه إلا الدعاء والتوكل والمقدور إما أن يكون فساده راجحاً أو لا يكون فإن كان فساده راجحاً نهى عنه وإن لم يكن فساده راجحاً فينهى عنه كما ينهى عن إضاعة المال والعبث وأما السبب المقدور النافع منفعة راجحة فهو الذي ينفع ويؤمر فقه به ويندب إليه الأحاديث.

وأيضاً فينبغي أن التوكل على الله من أعظم الأسباب فربما كان بعض الأسباب يضعف التوكل فإذا ترك ذلك كمل توكله فهذا التقسيم

(١) رواه مسلم، كتاب القدر، باب بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر.

حاصر والقدر يأتي على جميع الكائنات وبهذا يتبين فقه الأحاديث.

أما حديث الاختصاء فإن الاختصاء محرم لرجحان مفسدته وقد ثبت في الصحيح عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال «زجر رسول الله ﷺ عثمان بن مظعون عن التبتل ولو أذن لاختصينا»(١)، وبين النبي ﷺ أنه مع ركوب الاختصاء المحرم لا يسلم من الزنا بل لا بد أن يفعل ما كتب عليه منه كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال **«كتب الله على ابن آدم حظه من الزنا فهو مدرك ذلك لا محالة فالعينان تزنيان وزناهما النظر واللسان يزني وزناه المنطق والأذنان تزنيان وزناهما الاستماع واليد تزني وزناها البطش والرجل تزني وزناها الخطا والنفس تتمنى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه»**(٢).

وأما حديث العزل فالعزل لا يمنع انعقاد الولد ولا تركه يوجب الولادة ولهذا لو عزل عن سريته وأتت بولد ألحق به فإن الماء سباق مع ما فيه من ترك لذة الجماع فأخبر النبي ﷺ بأن الولد المكتوب يكون عزلت أو لم تعزل كما قال: **«ليس من كل الماء يكون الولد»**(٣)، فلا يكون ترك العزل سبباً للولادة ولا العزل سبباً لمنعها والقدر ماض بالأمرين فلا فائدة فيه.

ومثل هذا ما ثبت في الصحيح أنه نهى عن النذر وقال: **«لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل»**(٤)، فأخبر أن النذر ليس من الأسباب

---

(١) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والخصاء.

(٢) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب زنا الجوارح دون الفروج، ومسلم، كتاب القدر، باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره.

(٣) رواه مسلم، كتاب النكاح، باب حكم العزل، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٤) رواه البخاري، كتاب القدر، باب إلقاء النذر العبد إلى القدر، ومسلم، كتاب النذر، باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئاً.

التي تجتلب بها المنفعة وتدفع بها المضرة ولكن نلقيه إلى ما قدر له فنهى عنه لعدم فائدته.

وأما حديث السبعين ألفاً فلم يصفهم بترك سائر التطبب وإنما وصفهم بترك الاكتواء والاسترقاء والاكتواء مكروه وقد نهى عنه في غير هذا الحديث لما قال: «وأنا أنهى أمتي عن الكي» والمسترقي لم يفعل شيئاً إلا اعتماده على الراقي فتوكله على الله سبحانه وحده لا شريك له أنفع له من ذلك.

وهذا الجواب الآخر وهو أن المسترقى يضعف توكله على الله فإنه إنما طلب دعاء الغير ورقيته فاعتماد قلبه على الله وحده وتوكله عليه أكمل لإيمانه وأنفع له.

وأما حديث أم حبيبة ففيه أن الدعاء يكون مشروعاً نافعاً في بعض الأشياء دون بعض وكذلك هو ولهذا لا يحب الله المعتدين في الدعاء فالأعمار المقدرة لم يشرع الدعاء بتغييرها بخلاف النجاة من عذاب الآخرة فإن الدعاء مشروع له نافع فيه وقد كتبت مسألة زيادة العمر بصلة الرحم في غير هذا الموضع ولا يلزم من تأثير صلة الرحم ونحو ذلك أن يزيد العمر كما قد يقال بزيادة العمر بتأثير الدعاء ولذلك كان يكره أحمد أن يدعى له بطول العمر ويقول هذا فرغ منه».اهـ.

١٧٠ ـ مسألة حلق الرأس في غير حج ولا عمرة:

الأهواء (١/ ٢٥٥ ـ ٢٥٧): «وهذا أصل عظيم من أصول سبيل الله وطريقه يجب الاعتناء به وذلك أن كثيراً من الأفعال قد يكون مباحاً في الشريعة أو مكروهاً أو متنازعاً في إباحته وكراهته وربما كان محرماً أو متنازعاً في تحريمه فتستحبه طائفة من الناس يفعلونه على أنه حسن مستحب ودين وطريق يتقربون به حتى يعدون من يفعل ذلك أفضل ممن لا يفعله وربما جعلوا ذلك من لوازم طريقتهم إلى الله أو جعلوه شعار

الصالحين وأولياء الله ويكون ذلك خطأ وضلالاً وابتداع دين لم يأذن به الله.

مثال ذلك حلق الرأس في غير الحج والعمرة لغير عذر فإن الله قد ذكر في كتابه حلق الرأس وتقصيره في النسك وذكر حلقه لعذر في قوله ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وأما حلقه لغير ذلك فقد تنازع العلماء في إباحته وكراهته نزاعاً معروفاً على قولين هما روايتان عن أحمد ولا نزاع بين علماء المسلمين وأئمة الدين أن ذلك لا يشرع ولا يستحب ولا هو من سبيل الله وطريقه ولا من الزهد المشروع للمسلمين ولا مما أثنى الله به على أحد من الفقراء.

ومع هذا فقد اتخذه طوائف من النساك الفقراء والصوفية ديناً حتى جعلوه شعاراً وعلامة على أهل الدين والنسك والخير والتوبة والسلوك إلى الله المشير إلى الفقر والصوفية حتى أن من لم يفعل ذلك يكون منقوصاً عندهم خارجاً عن الطريقة المفضلة المحمودة عندهم ومن فعل ذلك دخل في هديهم وطريقهم.

وهذا ضلال عن طريق الله وسبيله باتفاق المسلمين واتخاذ ذلك ديناً وشعاراً لاهل الدين من أسباب تبديل الدين بل جعله علامة على المروق من الدين أقرب فإن الذي يكرهه وإن فعله صاحبه عادة لا عبادة يحتج بأنه من سيماء الخوارج المارقين الذين جاءت الأحاديث الصحاح عن النبي ﷺ بذمهم من غير وجه وروى عنه ﷺ: **«سيماهم التحليق»**(١).

فإذا كان هذا سيماء أولئك المارقين وفي المسند والسنن عن

---

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم وتلاوتهم لا تجاوز حناجرهم، ومسلم، كتاب الزكاة، باب الخوارج شر الخلق والخليقة، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

النبي ﷺ أنه قال: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»[1]، كان هذا على بعده من شعار أهل الدين أولى من العكس.اهـ.

١٧١ ـ تخريج وتوجيه ما جاء من استماعه ﷺ من غناء الجاريتين:

(١/ ٢٨٦ ـ ٢٨٨): «ومن المشهور الظاهر حديث الجاريتين وذكر حديث الجاريتين اللتين كانتا تغنيان في بيت عائشة بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث[2] فقال أبو بكر: مزمور الشيطان فقال النبي ﷺ «**دعهما يا أبا بكر فإن لكل قوم عيداً وعيدنا هذا اليوم**»[3].

وقد تقدم أن الرخصة في الغناء في أوقات الأفراح للنساء والصبيان أمر مضت به السنة كما يرخص لهم في غير ذلك من اللعب ولكن لا يجعل الخاص عاماً ولهذا لما قال أبو بكر أمزمور الشيطان في بيت رسول الله ﷺ لم ينكر النبي ﷺ هذه التسمية والصحابة لم يكونوا يفضلون شيئاً من ذلك ولكن ذكر النبي ﷺ أمراً خاصاً بقوله إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا.

ومثل هذا قوله لعمر «**لو رآك سالكا فجاً لسلك فجاً غير فجك**»[4]

---

(١) رواه أبو داود في السنن، كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، من حديث عبد الله بن عمر.
وهو حديث صحيح مشهور.

(٢) بعاث موضع بالمدينة، كانت فيه وقعة عظيمة قتل فيها خلق من أشراف الأوس والخزرج وكبرائهم، ولم يبق من شيوخهم إلا القليل.

(٣) رواه البخاري، كتاب العيدين، باب الحراب والدرق يوم العيدين، ومسلم، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه أيام العيد.

(٤) عن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: «استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب فأذن له رسول الله ﷺ فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله =

لما خاف منه النساء فيما كن يفعلنه بحضرة النبي ﷺ فعلم أن هذا وإن كان من الشيطان لكن الرخصة فيه لهؤلاء لئلا يدعوهم إلى ما يفسد عليهم دينهم إذ لا يمكن صرفهم عن كل ما تتقاضاه الطبائع من الباطل.

والشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها فهي تحصل أعظم المصلحتين بفوات أدناهما وتدفع أعظم الفسادين باحتمال أدناهما فإذا وصف المحتمل بما فيه من الفساد مثل كونه من عمل الشيطان لم يمنع ذلك أن يكون قد وقع به ما هو أحب إلى الشيطان منه ويكون إقرارهم على ذلك من المشروع فهذا أصل ينبغي التفطن له.

والشيطان يوسوس لبني آدم في أمور كثيرة من المباحات كالتخلي والنكاح وغير ذلك وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم فلا يمكن حفظ جميع بني آدم من كل ما للشيطان فيه نصيب لكن الشارع يأمر بالتمكن من ذلك كما شرع التسمية والاستعاذة عند التخلي والنكاح وغير ذلك ولو لم يفعل الرجل ذلك لم نقل إنه يأثم بالتخلي ونكاح امرأته ونحو ذلك.

وكذلك ذكر العرس وقول النبي ﷺ: «**إن الأنصار فيهم غزل ولو أرسلتم من يقول: أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم ...**»[(1)].

وقد تقدم أن «الخاص لا يجعل عاماً». اهـ.

= فقال النبي ﷺ: «عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب»، فقال عمر: «فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله ثم قال عمر: يا عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ؟ فقلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: إيهاً يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً غير فجك».

رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، وكتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب.

(١) رواه أحمد (٣٧٩/٢٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وابن ماجة، كتاب النكاح، باب الغناء والدف، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. =

١٧٢ ـ توجيه واعتذار عن زلات بعض العلماء الذين أباحوا المتعة أو الغناء أو النبيذ:

(١/ ٢٩٩ ـ ٣٠٢): «وهنا أصل يجب اعتماده وذلك أن الله سبحانه عصم هذه الأمة أن تجتمع على ضلالة ولم يعصم آحادها من الخطأ لا صديقاً ولا غير صديق لكن إذا وقع بعضها في خطأ فلا بد أن يقيم الله فيها من يكون على الصواب في ذلك الخطأ لأن هذه الأمة شهداء على الناس وهم شهداء الله في الأرض وهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فلا بد أن تأمر بكل معروف وتنهى عن كل منكر فإذا كان فيها من يأمر بمنكر متأولاً فلا بد أن يكون فيها من يأمر بذلك المعروف.

فأما الاحتجاج بفعل طائفة من الصديقين في مسألة نازعهم فيها أعدائهم فباطل بل لو كان المنازع لهم أقل منهم عدداً وأدنى منزلة لم تكن الحجة مع أحدهما إلا بكتاب الله وسنة رسوله فإنه بذلك أمرت الأمة.

كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ﴾ [سورة النساء: ٥٩] فإذا تنازعت الأمة وولاة الأمور من الصديقين وغيرهم فعليهم جميعهم أن يردوا ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله.

ومن المعلوم أن الصديقين الذين أباحوا بعض المسكر كانوا أسبق من هؤلاء وأكثر وأكبر وكذلك الذين استحلوا المتعة والصرف وبعض المطاعم الخبيثة والحشوش والذين استحلوا القتال في الفتنة متأولين معتقدين أنهم على الحق وغير ذلك هم أسبق من هؤلاء وأكثر وأكبر.

= قال البوصيري في الزوائد: «هذا إسناد رجاله ثقات، إلا أن الأجلح مختلف فيه، وأبو الزبير قال فيه ابن عيينة: يقولون: إنه لم يسمع من ابن عباس، وقال أبو حاتم: رأى ابن عباس رؤية».

فإذا نهي عما نهى الله عنه ورسوله لم يكن لأحد أن يقول هذا إنكار على كذا وكذا رجلاً من السابقين والتابعين فإن هذا الإنكار كان من نظرائهم ومن هو فوقهم أو قريباً منهم وعند التنازع فالمرد إلى الله ورسوله.

ولكن من ذهب إلى القول المرجوح ينتفع به في عذر المتأولين فإن عامة ما حرمه الله مثل قتل النفس بغير حق ومثل الزنا والخمر والميسر والأموال والأعراض قد استحل بعض أنواعه طوائف من الأمة بالتأويل وفي المستحلين قوم من صالحي الأمة وأهل العلم والإيمان منهم.

لكن المستحل لذلك لا يعتقد أنه من المحرمات ولا أنه داخل فيما ذمه الله ورسوله فالمقاتل في الفتنة متأولاً لا يعتقد أنه قتل مؤمناً بغير حق والمبيح للمتعة والحشوش ونكاح المحلل لا يعتقد أنه أباح زناً وسفاحاً والمبيح للنبيذ المتأول فيه ولبعض أنواع المعاملات الربوية وعقود المخاطرات لا يعتقد أنه أباح الخمر والميسر والربا.

ولكن وقوع مثل هذا التأويل من الأئمة المتبوعين أهل العلم والإيمان صار من أسباب المحن والفتنة فإن الذين يعظمونهم قد يقتدون بهم في ذلك وقد لا يقفون عند الحد الذي انتهى إليه أولئك بل يتعدون ذلك ويزيدون زيادات لم تصدر من أولئك الأئمة السادة والذين يعلمون تحريم جنس ذلك الفعل قد يعتدون على المتأولين بنوع من الذم فيما هو مغفور لهم ويتبعهم آخرون فيزيدون في الذم ما يستحلون به من أعراض إخوانهم وغير أعراضهم ما حرمه الله ورسوله فهذا واقع كثير في موارد النزاع الذي وقع فيه خطأ من بعض الكبار». اهـ.

١٧٣ ـ كلام بديع عن الغناء وأثره في النفوس ولماذا سمي غناء؟

(١/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩): «وظهر تحقيق قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل.

بل أفضى الأمر إلى أن يجتمع في هذا السماع على الكفر بالرحمن والاستهزاء بالقرآن والذم للمساجد والصلوات والطعن في أهل الإيمان والقربات والاستخفاف بالأنبياء والمرسلين والتحضيض على جهاد المؤمنين ومعاونة الكفار والمنافقين واتخاذ المخلوق إلهاً من دون رب العالمين، وشرب أبوال المستمعين، وجعل ذلك من أفضل أحوال العارفين، ورفع الأصوات المنكرات إلى أصحابها شر من البهائم السائمات، الذين قال الله في مثلهم ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩] الذين يفعلون في سماعاتهم ما لا يفعله اليهود والنصارى ولهذا يتولون من يتولاهم من اليهود والنصارى والصابئة والمشركين والمجوس ويجعلونهم من إخوانهم وأصحابهم وأهل خرقتهم مع معاداتهم للأنبياء والمؤمنين.

فصار السماع المحدث دائراً بين الكفر والفسوق والعصيان ولا حول ولا قوة إلا بالله وكفره من أغلظ الكفر وأشده وفسوقه من أعظم الفسوق.

وذلك أن تأثير الأصوات في النفوس من أعظم التأثير يغنيها ويغذيها حتى قيل إنه لذلك سمى غناء لأنه يغني النفس.

وهو يفعل في النفوس أعظم من حمياً الكؤوس حتى يوجب للنفوس أحوالاً عجيبة يظن أصحابها أن ذلك من جنس كرامات الأولياء وإنما هو من الأمور الطبيعية الباطلة المبعدة عن الله، إذ الشياطين تمدهم في هذا السماع بأنواع الإمداد، كما قال تعالى: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٢]، وقال للشيطان: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ

﴿ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤]، فربما يخف أحدهم حتى يرقص فوق رؤوسهم ويكون شيطانه هو المغوى لنفوسهم». . اهـ.

١٧٤ ـ أول مسألة فرقت بين الأمة مسألة الفاسق الملي:

(١/ ٤٣١): «فأول مسألة فرقت بين الأمة مسألة الفاسق الملي فأدرجته الخوارج في نصوص الوعيد والخلود في النار وحكموا بكفره ووافقتهم المعتزلة على دخوله في نصوص الوعيد وخلوده في النار لكن لم يحكموا بكفره فلو كان الشيء خيراً محضاً لم يوجب فرقة ولو كان شراً محضاً لم يخف أمره لكن لاجتماع الأمرين فيه أوجب الفتنة». . اهـ.

١٧٥ ـ القدرية ثلاثة أقسام: مجوسية، مشركية، إبليسية:

(١/ ٤٣٣): «وانقسموا ـ أي القدرية ـ إلى قدرية مجوسية تثبت الأمر والنهي وتنفي القضاء والقدر وإلى قدرية مشركية شر منهم تثبت القضاء والقدر وتكذب بالأمر والنهي أو ببعض ذلك، وإلى قدرية إبليسية تصدق بالأمرين لكن ترى ذلك تناقضاً مخالف للحق والحكمة». . اهـ.

١٧٦ ـ مراتب ذكر الله تعالى ثلاثة:

(٢/ ١٧): «فأعظم المراتب ذكر الله بالقلب واللسان ثم ذكر الله بالقلب ثم ذكر الله باللسان». . اهـ.

١٧٧ ـ دعاء العبد لربه تعالى ثلاثة أنواع واجب، ومستحب، ومحرم:

(٢/ ١٢٩): «الوجه الثاني أنهم لم يفرقوا بين الدعاء الذي أمروا به أمر إيجاب وأمر استحباب وبين الدعاء الذي نهوا عنه أو لم يؤمروا به ولم ينهوا فإن دعاء العبد لربه ومسألته إياه ثلاثة أنواع: نوع أمر به العبد إما أمر إيجاب وإما أمر استحباب، مثل قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] ومثل دعائه في آخر الصلاة كالدعاء الذي كان النبي ﷺ يأمر به أصحابه فقال: «**إذا قعد أحدكم في التشهد فليستعذ بالله من أربع من**

عذاب جهنم وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال»[1]، فهذا دعاء أمر به النبي ﷺ الصحابة أن يدعوا به في آخر صلاتهم وقد اتفقت الأمة على أنه مشروع يحبه الله ورسوله ويرضاه وتنازعوا في وجوبه فأوجبه طاووس وطائفة وهو قول في مذهب أحمد والأكثرون قالوا هو مستحب.

والأدعية التي كان النبي ﷺ يدعو بها أو يعلم أصحابه أن يدعوا بها لا تخرج عن أن تكون واجبة أو مستحبة وكل واحد من الواجب والمستحب فالله يحبه ويرضاه ومن فعله ﷺ وأرضاه فهل يكون من الرضا ترك ما يحبه ويرضاه.

ونوع من الدعاء ينهي عنه كالاعتداء في الدعاء مثل أن يسأل الرجل ما لا يصلح له مما هو من خصائص الأنبياء وليس هو بنبي وربما هو من خصائص الرب ﷻ مثل أن يسأل لنفسه الوسيلة التي لا تصلح إلا لعبد من عباده أو يسأل الله أن يجعله أفضل من أولياء الله حتى يكون أفضل من أبي بكر وعمر أو يسأل الله أن يجعله بكل شيء عليم أو على كل شيء قدير أو يرفع عنه كل حجاب يمنعه من مطالعة الغيوب وأمثال ذلك أو مثل من يدعوه ظاناً أنه محتاج إلى عباده وأنهم يبلغون ضره ونفعه فيطلب منه ذلك الفعل ويذكر إنه إذا لم يفعله حصل له ضير من الخلق فهذا ونحوه جهل بالله واعتداء في الدعاء وان وقع في نحو ذلك طائفة من الشيوخ.

ومثل أن يقول اللّهم اغفر لي إن شئت فيظن أن الله قد يفعل الشيء مختاراً وقد يعقله مكرهاً كالملوك فيقول اغفر لي إن شئت.

---

(١) رواه البخاري من حديث عائشة ﵂، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، من حديث أبي هريرة وابن عباس ﵄.

وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك وقال: «**لا يقل أحدكم اللّهم اغفر لي إن شئت اللّهم ارحمني إن شئت ولكن ليعزم المسألة فإن الله لا مكره له**»[1] ومثل أن يقصد السجع في الدعاء ويتشهق ويتشدق وأمثال ذلك.

فهذه الأدعية ونحوها منهي عنها ومن الدعاء ما هو مباح كطلب الفضول التي لا معصية فيها».. اهـ.

١٧٨ ـ مسألة تلحين مناجاة الله تعالى:

(٢/١٤٧ ـ ١٤٨): ومن أقوى الأسباب المقتضية للسكر سماع الأصوات المريبة من وجهين من جهة أنها في نفسها توجب لذة قوية ينغمر معها العقل ومن جهة أنها تحرك النفس إلى نحو محبوبها كائناً ما كان فتحصل بتلك الحركة والشوق والطلب مع ما قد تخيل المحبوب وتصوره لذات عظيمة تقهر العقل أيضاً فتجتمع لذة الألحان والأشجان.

ولهذا يقرن سماع الألحان بالشرب كثيراً إما شراب الأجسام وإما شراب النفوس وإما شراب الأرواح وهو ما يقترن بالصوت من الأقوال التي فيها ذكر الحب والمحبوب وأحوالهما فإن سماع الأقوال شراب وغذاء وقوت للقلوب فيجتمع سماع الحروف الطيبة والأصوات الطيبة فإن ذلك أقوى مما إذا انفرد أحدهما مثل سماع كلام يطيب للمستمع بلا أصوات ملحنة مثل من يناجي بحديث لحنه أو يجهر به جهراً قريباً ومثل سماع أصوات طيبة لا حروف فيها كأصوات الطيور الطيبة وأصوات الآلات المصنوعة من العيدان والأوتار والشبابة والصوت الذي يلحنه

---

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب العزم بالدعاء..، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الآدمي بلا حروف ونحو ذلك فأما إذا اجتمع هذا وهذا فهو أقوى ويؤثر في النفوس تأثيراً عظيماً كتأثير الخمر أو أشد». اهـ.

١٧٩ ـ مسألة لفظ السنة عند السلف، ماذا يتناول؟

(٢/ ٣١١): «ولفظ السنة في كلام السلف يتناول السنة في العبادات وفي الاعتقادات وإن كان كثير ممن صنف في السنة يقصدون الكلام في الاعتقادات وهذا كقول ابن مسعود وأبي بن كعب وأبي الدرداء ﷺ «اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة»[1] وأمثال ذلك». اهـ.



(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢٠٨)، والمروزي في السنة رقم (٨٨ و٨٩)، واللالكائي في شرح الاعتقاد رقم (١١٥)، عن ابن مسعود. ورواه ابن بطة في الإبانة رقم (٢٥٩) عن أبي بن كعب. ورواه اللالكائي في شرح الاعتقاد (١١٦)، والمروزي في السنة رقم (١٠٠) عن أبي الدرداء.

الفهرس

الموضوع أو الفائدة	رقم الصفحة

الموضوع أو الفائدة	رقم الصفحة

الموضوع أو الفائدة	رقم الصفحة

الموضوع أو الفائدة	رقم الصفحة

الموضوع أو الفائدة	رقم الصفحة

الموضوع أو الفائدة	رقم الصفحة